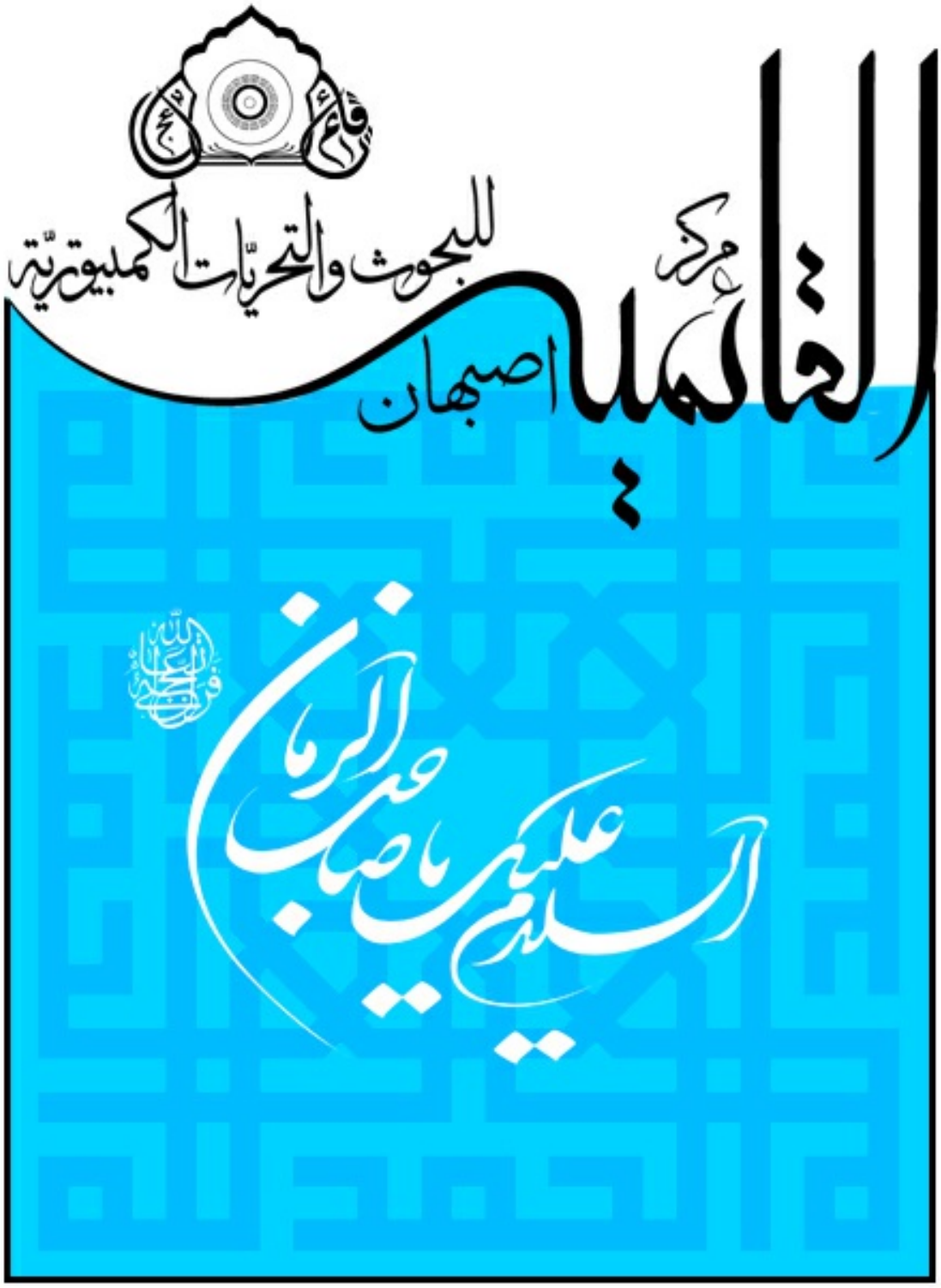

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

آيات عتاب الأنبياء في القرآن الكريم

دراسة تحليلية

زين العابدين عبد علي الحكيم

١٩٩

بسم الله الرحمن الرحیم

آيات عتاب الانبياء عليهم السلام فى القرآن الكريم

كاتب:

زين العابدين عبد على الكعبى

نشرت فى الطباعة:

العتبه الحسينيه المقدسه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
آیات عتاب الانبیاء علیهم السلام فی القرآن الکریم ----- ۱۲
اشاره ----- ۱۲
هویه الکتاب ----- ۱۲
الإهداء ----- ۱۷
المقدمه ----- ۱۸
الفصل الاول: دلالات العتاب فی اللغه والاستعمال القرآنی والتراث الإسلامی ----- ۲۲
اشاره ----- ۲۲
تمهید ----- ۲۴
المبحث الأول: العتاب ومرادفاته فی لغه العرب ----- ۲۶
أولاً: العتاب والتأصیل اللغوی ----- ۲۶
ثانیاً: المفردات اللغویه ل - (العتاب) ----- ۳۰
ثالثاً: الصیغ المجازیه للعتاب ----- ۳۳
المبحث الثانی: دلالات العتاب فی ضوء المنهج القرآنی ----- ۳۴
توطئه ----- ۳۴
الدلاله الأولی: الاستعمال القرآنی لمفرده العتاب ----- ۳۴
اشاره ----- ۳۴
(۱) بیان ما یتعلق بمفرده العتاب ----- ۳۵
(۲) ما یتعلق بمفرده اللوم ----- ۳۵
(۳) ما یتعلق بمفرده التثریب ----- ۳۵
اشاره ----- ۳۵
(۱) استفهام العتاب ----- ۳۷
(۲) استفهام التبکیت ----- ۳۷
(۳) استفهام التوبیخ ----- ۳۸

اشاره ---- ۳۸
معانی مفرده العتاب فی الاستعمال القرآنی ---- ۳۹
الاستعمال القرآنی لمفرده اللوم ---- ۴۱
الاستعمال القرآنی لمفرده التثریب ---- ۴۵
الدلاله الثانیه: تنوع الخطاب القرآنی للعتاب ---- ۴۶
اشاره ---- ۴۶
الأول: العتاب الخفیف ---- ۴۷
الثانی: العتاب الشدید ---- ۴۸
المبحث الثالث: صیغ العتاب ومرادفاته فی القصص القرآنی والحدیث الشریف ---- ۵۱
الأول: العتاب فی القصص القرآنی ---- ۵۱
اشاره ---- ۵۱
(أ) عتاب إبراهیم علیه السلام ---- ۵۱
(ب) عتاب موسی علیه السلام ---- ۵۳
(ج) عتاب نبی الله لوط علیه السلام لقومه ---- ۵۴
ثانیاً: ما ورد عن النَّبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم ---- ۵۵
ثالثاً: العتاب فی حدیث أهل البیت علیهم السلام (نهج البلاغه أنموذجاً) ---- ۵۹
الفصل الثانی: نماذج من آیات العتاب فی القرآن الکریم ---- ۶۴
اشاره ---- ۶۴
المبحث الأول: نماذج من عتاب الأنبیاء والرُّسل علیهم السلام ---- ۶۶
نماذج من عتاب الرسل أولی العزم علیهم السلام ---- ۶۶
توطئه ---- ۶۶
عتاب الله تعالی لنبیه نوح علیه السلام ---- ۶۸
عتاب الله لنبیه موسی علیه السلام ---- ۶۹
نماذج من آیات (عتاب الله لنبیّه الأکرم مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم) ---- ۷۳
نماذج من عتاب الأنبیاء علیهم السلام غیر أولی العزم ---- ۸۷
توطئه ---- ۸۷

عتاب النبیّ آدم علیه السلام ---- ۸۷
عتابُ النبیّ یونس علیه السلام ---- ۹۰
عتابُ النبیّ داود علیه السلام ---- ۹۳
المبحث الثانی: نماذج من آیات عتاب الله لسائر الناس ---- ۹۶
عتاب زوجات النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم ---- ۹۶
نماذج من آیات عتاب المسلمین ---- ۱۰۱
الآیه الأولی ---- ۱۰۱
الآیه الثانیه ---- ۱۰۳
الآیه الثالثه ---- ۱۰۴
الآیه الرابعه ---- ۱۰۵
الآیه الخامسه ---- ۱۰۷
الآیه السادسه ---- ۱۰۹
نماذج من آیات عتاب الیهود والنصاری ---- ۱۱۰
توطئه ---- ۱۱۰
الآیه الأولی ---- ۱۱۰
الآیه الثانیه ---- ۱۱۳
الآیه الثالثه ---- ۱۱۵
نماذج من آیات عتاب المشرکین ---- ۱۱۷
توطئه ---- ۱۱۷
الآیه الأولی ---- ۱۱۷
الآیه الثانیه ---- ۱۱۹
الآیه الثالثه ---- ۱۲۰
الآیه الرابعه ---- ۱۲۱
الآیه الخامسه ---- ۱۲۲
المبحث الثالث: نماذج من آیات عتاب الله لغیر البشر من مخلوقاته ---- ۱۲۴
المطلب الأول: نماذج من آیات عتاب الملائکه ---- ۱۲۴

المطلب الثانی: نماذج من آیات عتاب الجن ---- ۱۲۹
الآیه الأولی ---- ۱۲۹
الآیه الثانیه ---- ۱۳۱
الآیه الثالثه ---- ۱۳۲
الفصل الثالث: عصمه الأنبیاء علیهم السلام وإمکانیه العتاب مع استلزامه المخالفه ---- ۱۳۴
اشاره ---- ۱۳۴
توطئه ---- ۱۳۶
اشاره ---- ۱۳۶
العصمه فی اللغه والاصطلاح ---- ۱۳۷
العصمه لغه ---- ۱۳۷
العصمه اصطلاحاً ---- ۱۳۷
اشاره ---- ۱۳۷
(أولاً) الإمامیه ---- ۱۳۸
(ثانیاً) المعتزله ---- ۱۴۰
(ثالثاً) الأشاعره ---- ۱۴۱
المطلب الأول: الأدله النقلیه علی القول بالعصمه المطلقه ---- ۱۴۳
أولاً: الأدله القرآنیه ---- ۱۴۳
اشاره ---- ۱۴۳
الآیه الأولی ---- ۱۴۳
الآیه الثانیه ---- ۱۴۵
الآیه الثالثه ---- ۱۴۹
الآیه الرابعه ---- ۱۵۳
الآیه الخامسه ---- ۱۵۶
الآیه السادسه ---- ۱۵۸
الآیه السابعه ---- ۱۵۹
ثانیاً: أدله العصمه من السنّه المطهره ---- ۱۶۰

اشاره ---- ۱۶۰
الدلیل الأول ---- ۱۶۱
الدلیل الثانی ---- ۱۶۱
الدلیل الثالث ---- ۱۶۲
الدلیل الرابع ---- ۱۶۵
الدلیل الخامس ---- ۱۶۶
الدلیل السادس ---- ۱۶۶
الدلیل السابع ---- ۱۶۷
الدلیل الثامن ---- ۱۶۸
المطلب الثانی: الأدله العقلیه للقول بالعصمهِ المطلقه ---- ۱۶۹
اشاره ---- ۱۶۹
الدلیل الأول: دلاله المعجز ---- ۱۶۹
الدلیل الثانی: امتناع إیذاء المعصوم علیه السلام ---- ۱۷۲
الدلیل الثالث: الاحتیاج للمعصوم ---- ۱۷۴
الدلیل الرابع: وجوب متابعه المعصوم علیه السلام ---- ۱۷۶
الدلیل الخامس ---- ۱۷۸
المبحث الثانی: القول بالعصمه الجزئیه للأنبیاء علیهم السلام وأدلتهم ---- ۱۷۹
المطلب الأول: الأدله النقلیه ---- ۱۷۹
أولاً: الأدله القرآنیه ---- ۱۷۹
اشاره ---- ۱۷۹
الطائفه الأولی: ما یمس ظاهرها عصمه الأنبیاء جمیعهم علیهم السلام ---- ۱۷۹
الطائفه الثانیه: ما یمس ظاهرها عصمه بعض الأنبیاء علیهم السلام ---- ۱۸۵
الأول: ما یتعلق بنبی الله آدم علیه السلام ---- ۱۸۵
الثانی: ما یتعلق بنبی الله نوح علیه السلام ---- ۱۹۰
الثالث: الآیات التی تتعلّق بنبی الله إبراهیم الخلیل علیه السلام ---- ۱۹۲
الرابع: الآیات التی تتعلّق بنبی الله موسی علیه السلام ---- ۱۹۴

الخامس: النَّبی الأکرم مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم ---- ۱۹۶
ثانیاً: الأدله النقلیه من السنه للقول بالعصمه الجزئیه ---- ۲۰۰
اشاره ---- ۲۰۰
الأول: تکذیب الأنبیاء علیهم السلام ---- ۲۰۰
الثانی: نسیان النَّبی للصلاه وصدور السب والشتم منه صلی الله علیه وآله وسلم ---- ۲۰۲
الثالث: النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم ومزامیر الشیّطان ---- ۲۰۳
الرابع: النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم وصلاه الصبح ---- ۲۰۵
الخامس: صلاه النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم جنباً ---- ۲۰۷
السادس: الأنبیاء علیهم السلام وحُبُّ النساء ---- ۲۰۸
السابع: موسی علیه السلام وملک الموت ---- ۲۰۸
الثامن: موسی علیه السلام یغتسل عریاناً ---- ۲۱۰
التاسع: یوسف علیه السلام والمراوده ---- ۲۱۱
المطلب الثانی: الأدله العقلیه للقائلین بالعصمه الجزئیه للأنبیاء علیهم السلام ---- ۲۱۱
المبحث الثالث: توجیه آیات العتاب علی القول بالعصمه ---- ۲۱۷
اشاره ---- ۲۱۷
مدخل ---- ۲۱۸
المطلب الأول: توجیه آیات العتاب علی القول بالعصمه المطلقه ---- ۲۱۹
اشاره ---- ۲۱۹
الأول: ما یتعلق بنبی الله آدم علیه السلام ---- ۲۱۹
الثانی: توجیه ما یتعلق بنبی الله نوح علیه السلام ---- ۲۲۴
الثالث: توجیه ما یتعلق بنبی الله یونس علیه السلام ---- ۲۲۷
الرابع: توجیه ما یتعلق بنبی الله سلیمان علیه السلام ---- ۲۲۸
الخامس: توجیه ما یتعلق بنبینا الأکرم مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم ---- ۲۲۹
اشاره ---- ۲۲۹
الآیه الأولی ---- ۲۳۰
الآیه الثانیه ---- ۲۳۲

الآیه الثالثه ---- ۲۳۵
الآیه الرابعه ---- ۲۳۸
المطلب الثانی: توجیه آیات العتاب علی القول بالعصمه الجزئیه ---- ۲۴۰
مدخل ---- ۲۴۰
الأول: توجیه ما یتعلق بنبی الله آدم علیه السلام ---- ۲۴۱
الثانی: توجیه ما یتعلق بنبی الله یونس علیه السلام ---- ۲۴۳
الثالث: توجیه ما یتعلق بنبی الله موسی علیه السلام ---- ۲۴۵
الرابع: توجیه ما یتعلق بنبینا الأکرم مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم ---- ۲۴۶
اشاره ---- ۲۴۶
الآیه الأولی ---- ۲۴۶
الآیه الثانیه ---- ۲۵۱
الآیه الثالثه ---- ۲۵۳
الآیه الرابعه ---- ۲۵۷
الخاتمه ---- ۲۶۰
المصادر والمراجع ---- ۲۶۲
المحتویات ---- ۲۷۷
تعریف مرکز ---- ۲۸۹

آیات عتاب الانبیاء علیهم السلام فی القرآن الکریم

اشاره

سرشناسه: الکعبی، زین العابدین عبدعلی

عنوان و نام پدیدآور: آیات عتاب الانبیاء علیهم السلام فی القرآن الکریم / تالیف زین العابدین عبد علی الکعبی

مشخصات نشر: کربلای معلی - عراق

ناشر: العتبهالحسینیهالمقدسه، قسم الشوون الفکریه والثقافیه ۱۴۳۷

مشخصات ظاهری: ۲۷۰ص

یادداشت:عربی.

یادداشت:کتابنامه.

موضوع: عصمت - احادیث

موضوع: انبیاء - شبهات - احادیث موضوعی

ص :۱

هویه الکتاب

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق - وزاره الثقافه العراقيه لسنه ٢٠١٥-٢٤٤٤

مصدر الفهرسه: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

رقم استدعاء مكتبه الكونجرس:

المؤلف الشخصى: الكعبى، زين العابدين عبدعلى

العنوان: آيات عتاب الانبياء عليهم السلام فى القرآن الكريم: دراسه تحليليه

بيانات الطبعه: الطبعه الأولى

بيانات النشر: كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه - قسم الشؤون الفكريه والثقافيه. شعبه الدراسات والبحوث الاسلاميه ١٤٣٦ ه -= ٢٠١٥ م

الوصف المادى: ٢٧٠ ورقه؛ ٣٠ سم

سلسله النشر: قسم الشؤون الفكريه والثقافيه؛ (١٦٦)

تبصره عامه: الكتاب فى الاصل رساله ماجستير.

تبصره ببليوغرافيه: يحتوى على هوامش - لائحه المصادر (الصفحات ٢٥١-٢٦٣).

مصطلح موضوعى: الانبياء - العصمه - دراسه وتعريف.

مصطلح موضوعى: العصمه - من الناحيه القرآنيه.

مصطلح موضوعى: العصمه - أحاديث.

مصطلح موضوعى: الانبياء - العصمه - شبهات وردود.

مصطلح موضوعى: العصمه - (اسلام) - الاحاديث الموضوعه

تمت الفهرسه قبل النشر فى مكتبه العتبه الحسينيه المقدسه

(وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنا وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسى وَ هارُونَ وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيى وَ عِيسى وَ إِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصّالِحِينَ * وَ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً وَ كلًّا فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ * وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّيّاتِهِمْ وَ إِخْوانِهِمْ وَ اجْتَبَيْناهُمْ وَ هَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ)

سوره الأنعام آیه (۸۴-۸۷)

ص:۵

الإهداء

إلى من سهرا على تربيتى وتعليمى،

وتمنّيا لى سبيل المعرفه والعلم، وسهلّا لى طُرقه

إلى روح أبى وأمى (طيب الله ثراهما)

أهدى جهدى المتواضع هذا

الباحث

ص:۶

المقدمه

من الموضوعات المهمه والحساسه التى طالما دار الحوار حولها موضوع عصمه الأنبياء الملازمهُ لنفى كل ما من شأنه أنَّ يطعن من خلاله بشخص النَّبى أو سلامته الفكريه والعقديه وتكاملهُ الأخلاقى فى مطلق شؤون حياته وذلك، لأن هذا الموضوع - أعنى العصمه - يتصل بالمصدر الثانى الذى يبنى عليه الإنسان دينه وعقيدته، ويسيّر عليه شؤون حياته جميعها، وهو «النبوه» والاختلاف حول هذا الموضوع الذى يعد من أصول الدين عند كل الموحدين ينتج عنه اختلاف واسع فى التفريعات الناشئه عن هذا الأصل.

والباحث فى موضوع النبوه يجد أنَّ هناك خلافاً بين المسلمين فى هذا الموضوع يظهر بشكله الواضح حين يدور الحديث حول عصمه الأنبياء عليهم السلام.

الأمر الذى دعا إلى ذلك هو أنَّ جماعه مخطئه استغلت بعض الآيات ذريعه للأنبياء إذ تمسكوا بظاهرِ بعضها الذى يمسُّ على وفق تطبيقهم بِعصمه الأنبياء عليهم السلام من آدم حتى نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فتطاولوا وتجاوزوا فى المس بالأنبياء عليهم السلام والقول إنّهُ قد ورد فى حقهم اللوم والعتاب والتوبيخ... إلخ وزعموا أنّ العتاب الذى له المساس المباشر بالأدله على

خلاف عصمه الأنبياء عليهم السلام يتخذ درجات متفاوته فى الشده أو اللين بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حين جوّزوا على الأنبياء عليهم السلام ارتكاب بعض الذنوب والمعاصى، ونجد كتبهم التى عُنيت بهذه الموضوعات تزخر بتلك الشُبَه، فتاره ينطلقون من التوبه وأخرى من الاستغفار وثالثه من الإنابه ويزعمون أنَّ الأنبياءفى هذه المواقف وغيرها حصل منهم ما يجعلهم كغيرهم من البشر يخطئون ويذنبون ويتوبون ثم أنّهم يعاتبون كما يعاتب سائر الناس.

وانطلاقاً من واجب الدفاع عن عصمه الأنبياء عليهم السلام وعموم رسالاتهم الخالدات وكمال نفوسهم الشريفه أجد لزاماً علىَّ فى دراستى هذه أنَّ أدفع عنهم قدر ما يسعفنى جهدى وما تحمله جعبتى أنواع الشبه كلها عند من تأول وأثبت وقوع ألوان اللوم والعتاب الوارد فى حقهم كما زعمه أولئك المخطئون من خلال جمودهم على ظواهر النص وتوظيفها بما يعضّد دعوتهم وزعمهم لهم وسيأتى فى أثناء البحث تفصيل ذلك سائلاً المولى القدير أنَّ يتقبل هذا الجهد الطيّب إنّهُ نِعْم المعين.

ولقد خصصنا عدداً من الأنبياء عليهم السلام وليس جميعهم مراعاه الضروره الموضوعيه والزمانيه واختيار الحالات التى تمثل قواسم مشتركه ودلالات متشابه، واكتفت الدراسه باستقراء آراء المذاهب الكبرى المنضبطه فى فهمها لموارد الدلالات فى الآيات الكريمات موضوعه الدراسه واضطرنا إلى استبعاد التوسع فى عرض آراء المناهج الأُخَر تحاشياً للإطاله ليشكل كل ذلك محاوله ربما خذلتها الأدوات وربما قصرت بها الاستعدادات الشخصيه المحدده جاءت الدراسه موسومه ب - ((آيات عتاب الأنبياء فى القرآن الكريم دراسه تحليليه)).

على أنَّ الأسباب التى دعت الباحث لاختيار هذا الموضوع أهميته الكبيره واستعيابه لقضايا حساسه تكاد تكون متجدده فى سماء الفكر والعقيده، ولأنه جاءَ على حد علمى جديداً فى عرضه إذ لم نجد بحسب حدود الإطلاع أنّ هناك من كتب فيه بشكل متخصص، وندره ما كتب فى ملامحه العامه بشكل متفرق فى أثناء كتب التفسير وعلم الكلام، لذا نرى أنّه سيكون بكراً فى عرضه ومادته، زياده على كثره الشبهات التى أثيرت من بعض الكُتَّاب المعاصرين وغيرهم ممن سبقهم عن مسيره الأنبياء عليهم السلام، وخاصه فيما يتعلق بفهم الآيات التى وردت مورد الدراسه والجدل إذ تسللوا فى خلالها إلى محاوله الإخلال بعصمه الأنبياء عليهم السلام، وهو أمر يدعو إلى الوقفه والتأمل تجاه هذه الآراء ومحاوله فحصها والتعامل معها من منطلق الدفاع عن الأنبياء عليهم السلام بما هو حق.

ومن الصعوبات التى واجهت الدراسه، خصوصيه موضوعتها إذ لم يتّخذ سياقاً علمياً محدداً، ولم يكن مختصاً بعلم بذاته وإنما أخذ سياقاً متنوعاً فى دلالته ومضامينه فكان قرآنياً من جانب، وكلامياً من جانب آخر، كما استوجب لمحةً تاريخيةً، وأخرى حديثيه، وهو أمر دعا إلى تنوع مصادر البحث ومراجعه إذ شملت مصادر تفسير القرآن الكريم، والكلام والعقيده ومصادر اللغه والفقه والأصول والتأريخ الأمر الذى أضفى على البحث حسنه التنوع على الرُّغم من تحمل المعاناه.

وقد جاء البحث منتظماً فى مقدمه وتمهيد وثلاثه فصول وخاتمه. فكان الفصل الأول محاوله للكشف عن دلالات العتاب ومعانيه فى لغه العرب وفى ضوء المنهج القرآنى فى توظيف المفرده وقد انقسم الفصل على ثلاثه مباحث.

وجاء الفصل الثانى على ثلاثه مباحث أيضاً فعالج عرض نماذج من الآيات التى وردت مورد (العتاب) للأنبياء والرسل عليهم السلام ومحاوله بيان مضامينها ودلالاتها.

أما بحث الفصل الثالث فيدرس قضيه العصمه بكون ارتباطها ب - (العتاب) المدعى مع عرض نماذج من الآيات التى تمسك بها المخطئه وبنوا عليها دعوتهم وزعمهم وحاولوا البحث فى توجيهها على ضوء المنهج الحق القائل بالعصمه المطلقه وفى مقابلهم المنهج القائل بالعصمه الجزئيه فى أسلوب عرض تحليلى لتخلص الدراسه بخاتمه حاولت أنَّ تلم شتات الموضوع وتلمس أهم النتائج المتحصله من الخوض فى عباب مناهج المفسرين ومحاولات المتكلمين فى فهمه.

ولا يسعنى إلا أنَّ أتقدم بخالص شكرى وامتنانى إلى كلّ من قدّم إلى الدراسه ولو بكلمه.

وختاماً نسأل الله تعالى أنَّ تكون الدراسه قد وفقت فى أنَّ تأتى بجديد أو مفيد، وأن تكون جلوت ما لم يكن قد أخذ حقه من الظهور، وأن تكون فى ذلك كله قد أخلصت النيه، ونأيت بالنفس عن الأهواء وتجردت عن كل ما لا يليق بالبحث الموضوعى، وعليه فأدعوا أدعو الله القدير أنَّ يوفقنى إلى الاستمرار فى مسيره العلم لما يعود بالنفع والفلاح وأداء الواجب تجاه ديننا الحنيف والله من وراء القصد وآخر دعوانا أنَّ الحمد لله رب العالمين.

الباحث

الفصل الاول: دلالات العتاب فی اللغه والاستعمال القرآنی والتراث الإسلامی

اشاره

المبحث الأول: العتاب ومرادفاته فی لغه العرب

المبحث الثانی: دلالات العتاب فی ضوء المنهج القرآنی

المبحث الثالث: صیغ العتاب ومرادفاته فی القصص القرآنی والحدیث الشریف

تمهيد

ليس سهلاً أنْ يَضَع الباحث يده على بغيته فى المعجمات اللغويه وهو يتحرى المدلول اللغوى ل - (لفظه) ما؛ وذلك لأسباب منها: (١) كثره المعانى المتراكمه لكلّ جذرٍ لغويّ، (٢) وكثره ما أُلّفَ فى لغه العرب من المعجمات اللغويه، (٣) اختلاف مناهج مؤلفى هذه المعجمات، فلا مندوحه - إذن - من الوقوف على بعض تلك المعجمات المعتمده سبيلاً لجلاء المعنى وإدراك مدلول اللفظه فى إطار وحده الكلام، وهذا ما سعت الدراسه إليه.

إن المفرده - آيه مفرده - لها معنىً مركزى (مُعجمى) هو المعنى الأوليّ بيد أنّ السياق يحملّ اللفظه معانى هامشيةً تتضمن من المعنى المركزى (الأصلى) وهذه المعانى الهامشيه قد تكون متحركه وقابله للتفاعل مع القراءات والتأويل لذا فهى متغيره مُتجدده على وفق السياقات التى احتوتها، فالسياق - إذن - يقود المفرده إلى معانٍ هامشيهٍ مضافهٍ إلى المعنى المركزى.

فالمفرده - تبعاً لذلك - لم تقف عند معناها الأوليّ فقد تحلّق فى آفاقٍ واسعهٍ من المعانى الفرعيه - إن جاز التعبير.

ومعروف عندنا أنّ المعجمات - غالباً - ما تُشير إلى المعانى المركزيه -

المعياريه – الثابته وقد تشير إلى التطور الدلالى الذى يطرأ على اللفظه، أما المعانى السياقيه والهامشيه فلا نجدها بكثره فى متون المعجمات؛ لأنّ المعجمات مبنيّه ومؤلفه على أساس جذر المفرده وتقلباته وليس على أساس الجمله ودلالتها.

ونظره عجلى إلى أمهات المعجمات العربيه، كالعين للخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٥ ه –)، وتهذيب اللغه للأزهرى (ت ٣٧٠ ه –)، والمحكم لابن سيده (ت ٤٥٨ ه –)، والصحاح للجوهرى (ت ٣٩٣ ه –)، ولسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ ه –)، وتاج العروس للزبيدى (ت ١٢٠٥ ه –)، تطلعنا على المعانى المركزيه للمفردات وما يطرأ عليها من تطور دلالى فى سياق النصوص التى أوردها مؤلفو تلك المعجمات.

وفى هذا الفصل نقفُ مُطولاً عند المعانى والدلالات اللغويه للفظه (عتاب) موضوعه الدراسه بغيه استقرائها وتحرى الدلالات السياقيه، فضلاً عن دلالاتها القاموسيه المركزيه، ليكون هذا الفصل منطلقاً للدراسه، وساندا فى كشف الدلالات المتعلقه بموضوعها التى قيدنا أنفسنا بها (آيات عتاب الأنبياء فى القرآن الكريم – دراسه تحليليه).

ص:١٤

المبحث الأول: العتاب ومرادفاته فى لغه العرب

أولاً: العتاب والتأصيل اللغوى

يرجع العتاب فى أصله اللغوى إلى الجذر الثلاثى (ع، ت، ب)(١). ولما كان الجذر اللغوى وهو الأحرف الأساس التى تتكون منها مجموعه الألفاظ يشترك فى أسس دلاليه واحده، لأنه حال الكلمه قبل التركيب فلابّد أنَّ نتابع هذا الجذر اللغوى للوقوف على التأصيل اللغوى لهذه المفرده.

و «عَتَبَ» الفحلُ يعتبُ عتباً وعتاباً وتعتاباً: خَلع أو عُقِل أو عُقر فمشى على ثلاث قوائم كأنه يقفز قفزاً(٢) ، وعتب العُوْدُ ما عليه أطراف الأوتار من مقدّمه(٣) ، وعتب البرق عتاباً: بَرَقَ برْقاً ولاءً(٤) والعتبُ يشير إلى ما دخل فى الأمر

١- (١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقى المصرى (ت ٧١١ ه -) لسان العرب، ماده (عتب) ١: دار صادر بيروت ١٩٨٦، ظ: الخليل بن أحمد الفراهيدى، كتاب العين، ماده (عتب) ٥٩٧، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

٢- (٢) المصدر نفسه: ماده (عتب) ظ: العين: ماده (عتب).

٣- (٣) المصدر نفسه: ماده (عتب).

٤- (٤) المصدر نفسه: ماده (عتب).

من فساد(١) ، وقال الشاعر(٢):

أعددت للأمر صارماً ذكَرَا مُجرب الوقع غير ذى عَتَب

ويأتى العتبُ بمعنى (الالتواء) و (النَبوْة) و (العيب)(٣) ومن معانيه اللغويه (التجّنى)، فالعتب هو (التجنىّ) تعتّب عليه وتجنى عليه بمعنى واحد، وتعتب عليه أى وجد عليه(٤) وهو بمعنى (الموجده).

عتب عليه يعتب ويعتب وعتاباً ومعتبه ومعتباً أى وجد عليه، ويستشهد ابن منظور على هذا المعنى بقول الغطمش الضّبى(٥).

أقول وقد فاضتْ بعينى عبرةٌ أرى الدهر يَبقى والأخلاءُ تذهبُ

أخلاى لو غير الحمامُ أصابكم عتبتُ ولكن ليس للدهر مَعَتبُ

أى لو أجستم فى الحرب لأدركنا ثأركم وانتصرنا لكم، ولكن الدهر لا يُنتصر منه ومن معانيه المعنويه (اللوم) عاتبهُ مُعاتبةً وعِتاباً، كل ذلك لامهُ (٦).

ومنه قول الشاعر:

أعاتبُ ذا الموده من صديقٍ إذا ما رابنى منه اجتيابُ

إذا ذهب العتاب فليس ودٌ ويبقى الودّ ما بقى العتابُ

فواضح أنَّ السياق هو الذى هيّأ لهذه المفرده المعنى الجديد بدلاله قول

١- (١) المصدر نفسه: ماده (عتب).

٢- (٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٥٧٦.

٣- (٣) المصدر السابق: ماده (عتب).

٤- (٤) المصدر نفسه: ماده (عتب).

٥- (٥) المصدر نفسه: ماده (عتب).

٦- (٦) المصدر نفسه: ماده (عتب).

الشاعر (ويبقى الود).

ومن اشتقاقات هذه المفرده «الاعتاب والعتبى» وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يُرضى العاتب(١) ، والاستعتاب، طلبك إلى المسيء الرجوع عن إساءته ومنه (العتب والتعاتب، والمعاتبه) وهى تواصف الموجده(٢).

ومن الصفات المشتقه منه (العِتْب) وهو الرجل الذى يعاتب صاحبه، أو صديقه فى كل شيء إشفاقاً عليه ونصيحةً لهُ (٣) ، و (العَتوب) الذى لا يعمل فيه العتاب(٤) و (الأعتوبهُ) ما تعُتِبَ به(٥).

والعُتبى (الرضا)(٦) ومنه أعتبهُ، أعطاه العُتبى ورجع إلى مَسَرّتهِ. كقول الشاعر:

إذا ذهب العتاب فليس ودٌّ ويبقى الود ما بقى العتابُ (٧)

وقد أتضح هذا المعنى من خلال السياق الحاضن للمفرده.

ويقال استعتب فلان إذا طلب أنَّ يُعتبَ أى يرضى والمعتْبُ المرضى(٨)

١- (١) المصدر نفسه: ماده (عتب)، ظ: العين: ماده (عتب).

٢- (٢) المصدر نفسه: ماده (عتب) ظ: الإمام محيى الدين ابن فيض السيد محمد مرتضى: تاج العروس، ماده (عتب) ٢:٢٠٠-٢٠١ تحقيق على شيرى، دار الفكر بيروت، ١٩٩۴ م - ١۴١۴ ه -.

٣- (٣) المصدر نفسه: ماده (عتب) ظ: العين ماده (عتب)

۴- (۴) المصدر نفسه: (ماده عتب).

۵- (۵) المصدر نفسه: (ماده عتب).

۶- (۶) المصدر نفسه: (ماده عتب).

٧- (٧) ظ: شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسى، العقد الفريد، ۶۵:۴ دار ومكتبه الهلال بيروت ط ١، ١٩٨۶ م.

٨- (٨) لسان العرب، ماده (عتب).

والاعتتاب الانصراف عن الشيء كقول الكميت(۱).

فاعتب الشوق من فؤادى وال - شعرُ إلى مَنْ إليه مُعَتَبُ

وفى صحاح الجوهرى، واعتبتُ الطريق إذا تركتُ سهله وأخذت فى وعره، واعتتبْ أى أقصد قال الحطيئه:

إذا مخارمُ أحناءٍ عرضن له لم ينبُ عنها وخاف الجورَ فاعتتبا

معناه اعتتب من الجبل أى ولم ينبُ عنه قال الفرّاء، اعتتبَ فلان إذا رجع عن أمرٍ كان فيه إلى غيره(۲).

ويصاغ منه (عتّابٌ وعتابٌ ومُعتَّب وعتبهٌ وعُتيبه) كلّها(۳) أسماء ومنها أيضاً (عتيبه وعتّابه) وهى من أسماء النساء(۴).

مما تقدم اتضح أنَّ لكل لفظٍ معنيين: أولهما المادى، وثانيهما (المعنوى)، والمادى هو أسبق فى الظهور من المعنى (المعنوى) وعلى سبيل المثال، فالمعنى المادى الذى أشرنا إليه فى الفقره الأولى (المشى على ثلاث قوائم، وهذا المعنى يرشح لأن يكون هو المعنى الأولى وهو أصل الاستعمال، وأما ما ورد من معانٍ أُخَر ك - (دخول الفساد فى الأمر) فهو معنى معنوى تطور عن المعنى الأولى، وذلك لأن المشى على ثلاث خلاف الأصل فى مشيه البعير أو الفحل فهو فساد فى مشيته، وهذا المعنى تطور إلى أنَّ أصبح الفساد فى الأمر (عتباً) وحاصل ما قدّمناه فى هذا

۱- (۱) هاشميات الكميت: تحقيق داود سلوم.

۲- (۲) إسماعيل بن حماد الجوهرى، (ت ۳۹۸ ه -) الصحاح - تاج اللغه وصحاح العربيه، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ماده: (عتب).

۳- (۳) لسان العرب: ماده (عتب)، ظ: العين: ماده (عتب).

۴- (۴) المصدر السابق: ماده (عتب) ظ: العين: ماده (عتب).

الموجز أنَّ (العتاب) يشير إلى أمرٍ فيه صعوبةٌ من كلامٍ أو غيره(۱) ، ويعبّر العرب بوساطه العتب، عن الوقوع فی مشقه وتكرّر أو صار فيه عيب وغلظ (۲).

والعتوب هی الأرض الغليظه، وفی رساله التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسی يُطلق علی تابع امرئ القيس (الجنیّ) اسم: عتيبه بن نوفل أخذاً من معنی (العتوب) وهو الصعوبه فی شق طريق الشعر إذْ إنّه أول من بكی واستبكی ووقف علی الديار(۳).

ونلحظ أنَّ مفرده العتاب ومشتقاتها وردت بكثره بالصيغ المسبوقه بالأداه (لا) أو (ما) مما يدل علی أنَّ العتاب فيه نوع من التلطف والامتنان فی أحيان كثيره.

ثانياً: المفردات اللغويه ل – (العتاب)

للمفرده العربيه مرادفاتها التی ذكرها علماء اللغه فی مصنفاتهم سواءً أكانت المفرده قرآنيه(۴) أم مفرده من العربيه لم ترد فی السياق القرآنی(۵) فقد كان جميُعها

۱- (۱) ظ: أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا (ت ۳۹۵ ه –) مقاييس اللغه ۲: ماده (عتب) تحقيق عبد السلام هارون، مكتب الإعلام الإسلامی، ط ۱۴۰۴ ه –.

۲- (۲) ابن القطاع: (ت ۵۱۵ ه –)، الأفعال: ماده (عتب) دار الكتب العلميه بيروت ۱۴۲۴ ه –.

۳- (۳) بطرس البستانی، رساله التوابع والزوابع بيروت ۱۹۶۰.

۴- (۴) ظ: الفراء (ت ۲۰۴ ه –) معانی القرآن، تحقيق أحمد يوسف بخاتی، دار الكتب القاهره ۱۹۹۵، إسماعيل بن أحمد النيسابوری (ت ۴۲۱ ه –) وجوه القرآن تحقيق د. نجف عوش، مطبعه الاستانه الرضويه، مشهد – ۱۴۲۲ ه –، الراغب الأصفهانی (ت ۴۲۵ ه –)، مفردات ألفاظ القرآن تحقيق صفوان داودی، دار القلم، دمشق (د. ت).

۵- (۵) ظ: أبی منصور محمد بن أحمد الأزهری (ت ۳۷۰ ه –)، تهذيب اللغه، تحقيق، عبد السلام هارون (د. ت).

محل عنايتهم واستقصائهم لدلالاتها الثابته والمتحركه، وقد خصصوا لهذا البحث كتباً، وعقدوا له فصولاً طوالاً.

ومفرده العتاب واحده من تلك المفردات التى نالت عنايه الباحثين القُدماء وحظيت باهتمامهم الملحوظ. وكشف صاحب كتاب (الألفاظ الكتابيه) مرادفات هذه اللفظه فى مقدمه مفرداته فى باب (اللوم) إذ قال(١): (يقال لُمتُ الرّجُلَ لَوْماً وعذلته عذلاً، وأنبتهُ تأنيباً، وقرّعتُهُ تقريعاً، وفندتُهُ تفنيداً، ووبختُهُ توبيخاً، وبكيتهُ تبكيتاً، ولحيتُهُ لحياً وعنفتُهُ تعنيفاً، فهى المعاتبه ثم اللوم ثم التقريع ثم التوبيخ ثم التأنيب).

بيد أنَّ هذه المفردات، وان كانت تنتمى إلى فعل دلالى واحد هو (اللوم)، لكن كل مرادف له معنىً دقيق يومىء إلى دلاله تبتعد قليلاً ـ أو كثيراً عن مركز الدلاله (اللوم) فاللوم غير العذل، وكلاهما غير التأنيب، وهذه تختلف فى دلالتها عن مدلول لفظه (التقريع)، و (التفنيد)، و (التوبيخ)، و (التبكيت)، و (اللّحو) واعلاها كلها (التعنيف).

نستطيع أنَّ نرصد (التصاعديه فى المعانى - إن جاز التعبير - لأن ثمّه فوارق دلاليةً لابد من تحريها واعتمارها أساساً فى تحليل النصوص ودراستها والحكم عليها ورصد ارتباطها بمفرده (اللوم).

ومِنْ ثَمَّ (العتاب) موضوع البحث. ولا تعدم الدراسه أنَّ تجد فى لغه العرب مفردات تنتمى إلى الحقل الدلالى نفسه (اللوم) وتومىء إلى معانيه التصاعديه على سبيل المثال كمفرده (الذمو) وهو اللوم والحض معاً، والذم وهو اللوم فى الإساءه.

١- (١) عبد الرحمن بن عيسى الهمذانى، الألفاظ الكتابيه ص ٧-٨، دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان ١۴٠٠ ه -- ١٨٩٠ م.

ونلحظ فرقاً فی دلالات الألفاظ المنتميه إلی حقل (العتاب) فالتثريب شبيه بالتقريع والتوبيخ ولا يكون إلّا علی فعل قبيح ومعناه الأصلی الأخذ علی الذنب.

أما اللوم فيكون علی الفعل الحسن(۱) ، والعتاب غلظه يجدها الإنسان فی نفسه علی غيره كما قال الراغب الأصفهانی (ت ۵۰۲ ه -)(۲).

ومن الجدير بالذكر أنَّ لكل دلاله من تلك المفردات المرادفه للفظه (اللوم) معنیً دقيقاً تنفرد به فی المعجمات العربيه أو فی سياق الكلام النثری أو الشعری كما يجب الانتباه إلی أنّ هذه الكلمات كلّها لا تعبّر بدقه عن معنی (العتاب) فالعتاب نوع من أنواع اللوم.

ويبقی للتأويل دوره الرئيس فی إداره هذا المعنی أو سواه من معانی ألفاظ المفردات اللغويه فی كثير من الأحيان، مثلما يأخذ السياق دورهُ فی التنوع الدلالی لكن التأويل فی - حد نفسه - تابع من السياق والسياق هو الذی يوجه المعنی ويدفع به إلی جهات معينه يكشف عنها المؤول فی إطار قدراته الخاصه ومؤهلاته.

ولذا يورد عبد الرحمن بن عيسی الهمذانی هذه المفردات فی تدرج تصاعدی يبدأ باللوم وينتهی بالتأنيب فيقول:

(قرضتهُ بعض القرض، وعذمته بعض العذم واستبطأته، ويقال استذم الرجل واستلام والأم إذا فعل فعلاً يلام عليه فهو، مليم، ولا زلت أتجرع فيك الملائم والملاوم واللوائم أيضاً.

۱- (۱) ظ: مقاييس اللغه، ابن فارس، ماده (ألام).

۲- (۲) ظ: مفردات الراغب ماده (عتب).

ويقال: لام فلان غير مليم، وذم غير ذميم، وأنحى فلان على فلان باللائمه وأحال عليه بالتعنيف، وتقول لمتُه وقبّحت فعله وقبلت رأيه، وذممتُ إليه رأيه وفى الأمثال (ربّ لائم مليم ورب ملوم لا ذنب له)(١).

ثالثاً: الصيغ المجازيه للعتاب

المجاز فى العربيه - وفى غيرها - باب وسيع فى التعبير عمّا يحتاج إليه الإنسان فى إغراضه المختلفه إذ تقصر اللغه بألفاظها المعجميه ومفرداتها المعياريّه عن بلوغ المراد، فتتفتح الألفاظ والتعابير المجازيه عن معانٍ لا حصر لها، لتتكامل دائره التعبير المفضّل، وليس أدل على ذلك من اعتماد المجاز أسلوباً للتعبير فى كتاب الله العزيز، فالمجاز - فضلاً عن كونه يُثرى المعنى ويعمقه ويحيط بالمعانى المتشعبه التى لا تؤديها ألفاظ القاموس - أبلغ من الحقيقه، وأقدر على التأثير فى المتلقى وتأسيساً على هذا يدخل المجاز ساحه التعبير عن العتاب ومضامينه فى أنَّ أساليب خبريّه أو إنشائيه أو بهما معاً حين يخرج الخبر إلى أغراض إنشائيه تعطى الدلالات الواضحه على هذا المعنى، وقد تحدث علماء البلاغه واللغويون عن المجاز وعقدوا له فصولاً فى مؤلفاتهم عن فاعليه المجاز سواء فى القرآن الكريم أو فى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو فى كلام الفصحاء، وليس بنا حاجه هنا إلى التفصيل فى أمر مفروغ منه ولا بأس أنَّ نذكر ما هو وطيد الصله بهذا الأمر من مؤلفات القدماء، وفى طليعه هذه المؤلفات يقف (مجاز القرآن) لأبى عبيده معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ ه -)، وفى مجال الحديث الشريف نجد (المجازات النبويه) للشريف الرضى الموسوى رحمه الله (ت ٤٠٦ ه -) واحداً من المصادر التى عالجت هذا الأمر.

١- (١) الألفاظ الكتابيه، مصدر سابق ص ٨ وما بعدها.

المبحث الثانی: دلالات العتاب فی ضوء المنهج القرآنی

توطئه

وردت مفرده العتاب بصیغتها اللغویه والصریحه فی ثلاث مواضع فی القرآن الکریم کما وردت مرادفاتها داله علی معان تنتمی إلی معانی العتاب فی سیاقات الآیات القرآنیه.

الدلاله الأولی: الاستعمال القرآنی لمفرده العتاب

اشاره

جاء لفظ العتاب فی التنزیل فی ثلاثه معان ظاهره هی:

أولاً: ما ورد صراحه بلفظ العتاب.

ثانیاً: ما ورد بلفظ اللوم.

ثالثاً: ما ورد بلفظ التثریب.

وهناک مرادفات أخری وردت یفهم من سیاقاتها لحن العتاب کالتی تدخل فی إطار الاستفهام.

ولغرض الإحاطه بسیاقات هذه الألفاظ لابد من معرفه معانیها ودلالاتها اللغویه وموقعها فی القرآن، لذا ستتوقف عندها الدراسه تباعاً.

(۱) بیان ما یتعلق بمفرده العتاب

ذکر أصحاب المعجمات العتاب فی کتبهم ضمن ماده (عتب) وتعمق کثیر منهم فی جذر هذه المفرده ونحن هنا نأخذ موضع الحاجه إلی الضروره الدراسه فقط.

ذکر صاحب المجمع الوسیط معنی العتاب فقال: (عتب علیه عتباً وعتیاناً ومعتباً، ومعتبهً، لامه وخاطبهُ مخاطبه الإذلال طالباً حسن مراجعته ومذکراً إیاه بما کرهه منه، وفلان عتبٌ وعتبانٌ، وتعاتبٌ)(۱).

(۲) ما یتعلق بمفرده اللوم

أما اللوم: فأصله (ل. و. م) العذْل تقول (لامه) علی کذا من باب قال و (لَوْمَهُ) أیضاً فهو (مَلومٌ) و (لوّمهُ) مشدّده للمبالغه أیضاً و (اللوّمُ) جمع (لائم) کراکع ورکّع و (اللائمهُ) الملامه یقال: ما زلت اتجرع فیک (اللوائم) و (الملاوم) جمع (ملامه) و (ألام) الرجل أتی بما یُلام علیه.

وفی المثل: رب لائم (مُلیمَ) أبو عبیده: (ألامهُ) بمعنی یلومه الناس و (لوَمه) بفتح الواو یلوم الناس. و (التلّوّم) الانتظار والتمکّث(۲).

(۳) ما یتعلق بمفرده التثریب

اشاره

التثریب یکون شبیه بالتقریع والتوبیخ ولا یکون إلّا علی فعل قبیح.

ومعناه: الأخذ علی الذنب، والتثریب شحم قد غشی الکرش والأمعاء

۱- (۱) ظ: إنعام نوال، المجمع المفصل فی علوم البلاغه (۱۲۵) دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان ط ۲، ۱۴۱۷ ه -- ۱۹۹۶.

۲- (۲) محمد بن أبی بکر بن عبد القادر الرازی (ت ۷۲۱ ه -) مختار الصحاح، باب اللوم ۳۵۳، دار إحیاء التراث العربی، تدقیق محمد علاق ط ۱، ۱۴۱۹، ۱۹۹۹ م.

رقیق(۱) والتثریب هو اللوم وقد جاء فی الذکر الحکیم:(لا تَثْرِیبَ عَلَیْکُمُ) (یوسف/ ۹۲).

ویقول أبو هلال العسکری: (إنَّ التثریب شبیه بالتقریع، والتوبیخ: تقول: وبّخه وقرّعه وثربه بما کان منه، واللوم قد یکون لما یفعله الإنسان فی الحال.

ولا یقال لذلک تقریع وتثریب وتوبیخ، واللوم یکون علی الفعل الحسن، ولا یکون التثریب إلا علی قبیح، والتفنید تعجیز الرأی: یُقال فنّده إذا عجز رأیه وضعه)(۲). والاسم الفند وأصل الکلمه اللفظ ومنه للقطعه من الجبل فِنْد، ویجوز أنَّ یقال: التثریب الاستقصاء فی اللوم والتعنیف(۳) وأصله من الثرب وهو شحم الجوف(۴) لأنّ البلوغ إلیه هو البلوغ إلی الموضع الأقصی من البدن.

ولقد أفاد أهل اللغه وأصحاب البلاغه والفصاحه من استعمالات الآیات القرآنیه کثیراً من الأسرار البلاغیه التی لا تحصی. وما یهمنا منها فی هذه الدراسه هو (الاستفهام) إذ له الأثر فی فهم سیاق الآیات وتوجیه الصیاغه الأدبیه والتمثیل الفنی فیها، فلذا نجد أنَّ معانی العتاب تنجلی فی الاستفهام وهو باب واسع من أبواب الإنشاء ومنها:

۱- (۱) ظ: ابن فارس: المقاییس: ماده «ثرب».

۲- (۲) ظ: أبو هلال العسکری (ت ۳۹۵ ه -) الفروق اللغویه: ۶۵، تعلیق محمّد باسل عیون السود، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان ط ۲، ۲۰۰۵ م - ۱۴۲۶ ه -.

۳- (۳) لسان العرب ماده (فند).

۴- (۴) المصدر نفسه ماده (ثرب).

(۱) استفهام العتاب

وفی شأن هذا العتاب أشار السیوطی فی حدیثه إلی استفهام العتاب، متمثلاً بقوله جل ثناؤه:(أَ لَمْ یَأْنِ لِلَّذِینَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِکْرِ اللّهِ) (الحدید/ ۱۶) ففی هذه الآیه الکریمه استفهام العتاب فی شأن الصحابه لما أکثروا المزاح.

ومن اللّطف ما عاتب به خیر خلقه مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم قوله تعالی:(عَفَا اللّهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳). ففی الآیه عتاب الخالق لرسوله مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم وکان أذن لجماعه فی التخلّف عن الجهاد باجتهاد منه، فنزل عتاباً له، وقدمّ العفو تطمیناً لقلبه(۱).

والعتاب خیر من الحقد ولا یکون إلا علی زله فقد مدحه قوم فقالوا: العتاب حدائق المتحابین ودلیل علی بقاء الموده(۲).

(۲) استفهام التبکیت

وهذا الاستفهام مما أشار إلیه الزرکشی فی کتابه (البرهان فی علوم القرآن) فی حدیثه عن الاستفهام، ومثل له بقوله تعالی:(أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّی إِلهَیْنِ) (المائده / ۱۱۶).

وقد جعل السکاکی تمثیل الآیه الکریمه من باب التقریر، وفیه تقصیر

۱- (۱) ظ: جلال الدین السیوطی الشافعی (ت ۹۱۱ ه -)، الاتقان فی علوم القرآن، ۲:۴۱۰، دار الفکر، بیروت - لبنان ۱۴۲۶- ۲۰۰۵.

۲- (۲) ظ: أحمد بن علی القلقشدی (ت ۸۲۱ ه -)، صبح الأعشی فی صناعه الإنشاء ۹:۱۸۹ تحق د. یوسف علی، دار الفکر، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۹۸۷ م.

وإمعان لأنّ هذا القول لم يقع منه عليه السلام تنزيهاً لله عما لا يليق من شريك وغيره(۱).

(۳) استفهام التوبيخ

اشاره

التوبيخ لغه من فعل وبخ، والوبخه اسم من التوبيخ: العذل المحرقه، ووبخّه لامه وعيّره، قيل إن استفهام التوبيخ جعله يعظهم من قبل الإنكار إلا أنّ الأول إنكار إبطال وهذا إنكار توبيخ، والمعنى أنّ ما بعده واقع جدير بأن ينفى، فالنفى هنا قصدى والإثبات قصدى.

ويعبّر عن ذلك بالتقريع أيضاً وقد مثل مبرهناً قوله بهذه الآيه الكريمه من قوله تعالى:(أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِى) (طه/ ۹۲) بمعنى، بإقامتك بين من يعبد الله تعالى، على سبيل التوبيخ الاستفهامى الإنكارى لإبطال ما أمرك الله به من عباده الأوثان والأصنام.

وكقوله تعالى أيضاً:(لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ) (الصف/ ۲) على سبيل التوبيخ والإنكار عندما هزموا فى معركه أحد(۲).

هذا ما أردنا بيانه على سبيل الإيجاز غاضِ الطرف عن كثير ممن له صله بمفهوم العتاب أو اللوم، كالنهى وغيره من الأنواع التى تحراها علماء البلاغه العربيه.

۱- (۱) ظ: د. نوال عكاوى، المجمل المفصّل: ۱۲۷، السيوطى، الإتقان ۲:۴۱۰، عبد القاهر الجرجانى دلائل الإعجاز، ۸۸-۸۹، دار المعرفه، بيروت - لبنان، قم إيران ۱۴۰۴ ه -- ۱۹۷۸ م.

۲- (۲) ظ: السيوطى: الإتقان ۲:۴۱۰، د. إنعام نوال عكاوى، المعجم المفصّل ۱۳۵.

معانی مفرده العتاب فی الاستعمال القرآنی

(أ) ورد معنی العتاب بلفظ (یستعتبون) فی ثلاث سور من القرآن الکریم هی:

(الروم / ۵۷) (الجاثیه / ۳۵) (النحل / ۸۴)

(۱) قال تعالی:

(فَیَوْمَئِذٍ لا یَنْفَعُ الَّذِینَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لا هُمْ یُسْتَعْتَبُونَ) (الروم/ ۵۷) أرید بها هنا (لا یطلب منهم الإعتاب والرجوع إلی الحق)(۱).

وأما الزمخشری (ت ۵۳۸ ه –) فیستفید من دلاله لفظه (یستعتبون) بما نصّه قال: (من قولک استعتبنی فلان فأعتبته أی استرضانی فأرضیته، وذلک إذا کنت جانیاً علیه وحقیقه أعتبته أزلت عتبه، إلا تری إلی قوله(۲):

غَضِبَتْ تَمیمٌ أَنْ تُقَتَّلَ عَامِرٌ یَوْمَ النِّسارِ، فَأَعْتَبُوا بالصّیْلَمِ

کیف جعلهم غضاباً، ثم قال فاعتبوا، أی أزیل غضبهم والغضب فی معنی العتب.

والمعنی لا یقال لهم أرضوا ربّکم بتوبه وطاعه، ومثله قوله تعالی:(وَ إِنْ یَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِینَ) (فصلت / ۲۴) قلت، أما کونهم غیر مستعتبین: فهذا معناه، وأما کونهم غیر معتبین، فمعناه أنهم غیر راضین بما هم فیه، فشبهت

۱- (۱) أبو علی الفضل بن الحسن الطبرسی (ت ۵۴۸ ه –) مجمع البیان ۲۰۲:۲، تحقیق هاشم رسول المحلاتی، دار إحیاء التراث العربی، بیروت – لبنان، ط ۱، ۱۴۱۲، ۱۹۹۲ م.

۲- (۲) فصل المقال فی شرح کتاب الأمثال، أبو عبید البکری ج ۱ ص ۲۷۲، مؤسسه الرساله ۱۹۷۱، لبنان – بیروت.

حالهم بحال قوم جنى عليهم، فهم عاتبون على الجانى غير راضين عنه)(۱).

هذا ما أفاده الزمخشرى من دلاله اللفظه على العتاب إذ إنّه أرجع الأصل فيها إليه.

(۲) قوله تعالى:(ذلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللّهِ هُزُواً وَ غَرَّتْكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) (الجاثيه / ۳۵).

استفيد منها لفظ العتاب الصريح كما يراها الطبرسى رحمه الله (ت ۵۴۸ ه -) قال: (أى لا يطلب منهم العتبى أو الاعتذار لأنّ التكليف قد زال وقيل معناه لا يقبل منهم العتبى(۲).

وجاء بمعنى الرضا كما فى الكشاف (ولا يطلب منهم أنَّ يعتبوا ربهم أى يرضوه)(۳).

(۳) قوله تعالى:(وَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ شَهِيداً ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) (النحل / ۸۴).

يُرجع القرطبى (ت ۶۷۱ ه -) أصل الكلمه إلى العتب (وأصل الكلمه من العتب وهى الموجده، يقال عتبت عليه، يعتب إذا وجد عليه، فإذا فاوضه ما عتب عليه فيه فقيل عاتبه، فإذا رجع إلى حسرتك فقد أعتب، والاسم العُتبى وهو

۱- (۱) الكشّاف ۴۹۴:۳، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان، ط ۲، ۱۴۳۱ ه -- ۲۰۰۱ م، ظ: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت ۶۰۷ ه -)، الجامع لأحكام القرآن ۳۵۰:۷، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان، تصحيح هاشم سمير النجارى، ط ۱، ۱۴۲۲ ه -- ۲۰۰۲ م.

۲- (۲) مجمع البيان: ۱۰۴:۹.

۳- (۳) الزمخشرى ۲۹۶:۴، مصدر سابق.

رجوع المعتدی علیه إلی ما یرضی العاتب..)(۱).

- ب - وردت لفظه العتاب کذلک فی معنیین فی سوره واحده وهی فصّلت وهما (یستعتبوا) و (المعتبین).

قال تعالی:(فَإِنْ یَصْبِرُوا فَالنّارُ مَثْوىً لَهُمْ وَ إِنْ یَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِینَ) (فصلت/ ۴).

قال فی المجمعَ مستفیداً من دلاله الآیه علی العتابِ: (والاستعتاب طلب العتبی وهی الرضا وهو الاسترضاء والأعتاب الإرضاء وأصل العتاب عند العرب استصلاح الجلد بإعادته فی الدباغ ثم استعیر فیما یستعطف به بعضه بعضاً لإعادته ما کان من الألفه)(۲) ثم یری فی بیان الآیه (أی وأن یلبوا العتبی وسألوا الله تعالی أنَّ یرضی عنهم فلیس لهم طریق إلا الإعتاب فما هم ممن یقبل عذرهم ویرضی عنهم)(۳).

الاستعمال القرآنی لمفرده اللوم

وردت ماده (لوم) فی القرآن الکریم فی عشر سور تعطی معنی (اللوم) وبصیغ مختلفه وهی:

(۱) [لُمْتُنَّنِی] قال تعالی:(قالَتْ فَذلِکُنَّ الَّذِی لُمْتُنَّنِی فِیهِ...) (یوسف/ ۳۲).

۱- (۱) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاری القرطبی، الجامع لأحکام القرآن ۱۰۷:۵، تصحیح هشام سمیر النجاری، دار إحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان ط ۱، ۱۴۲۲ ه -- ۲۰۰۲ م.

۲- (۲) الطبرسی، مجمع البیان ۱۳:۹-۱۴.

۳- (۳) المصدر نفسه ۱۵:۹، ظ: القرطبی، الجامع ۲۷۷:۸.

(۲) [تَلُومُونِی] قال تعالی:(وَ قالَ الشَّیْطانُ لَمّا قُضِیَ الْأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَکُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُکُمْ فَأَخْلَفْتُکُمْ وَ ما کانَ لِی عَلَیْکُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاّ أَنْ دَعَوْتُکُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِی فَلا تَلُومُونِی) (إبراهیم / ۲۲).

(۳) [وَلُومُوا] قال تعالی:(وَ قالَ الشَّیْطانُ لَمّا قُضِیَ الْأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَکُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُکُمْ فَأَخْلَفْتُکُمْ وَ ما کانَ لِی عَلَیْکُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاّ أَنْ دَعَوْتُکُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِی فَلا تَلُومُونِی وَ لُومُوا أَنْفُسَکُمْ) (إبراهیم / ۲۲).

(۴) [مَلُوماً] وردت فی سوره الإسراء فی آیتین هما:

* قال تعالی:(وَ لا تَجْعَلْ یَدَکَ مَغْلُولَةً إِلی عُنُقِکَ وَ لا تَبْسُطْها کُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً) (الإسراء/ ۲۹).

* قال تعالی:(ذلِکَ مِمّا أَوْحی إِلَیْکَ رَبُّکَ مِنَ الْحِکْمَةِ وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقی فِی جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً) (الإسراء / ۲۹).

(۵) [لَوْمَهَ] قال تعالی:(یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَأْتِی اللّهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّةٍ عَلَی الْکافِرِینَ یُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ لا یَخافُونَ لَوْمَهَ لائِمٍ) (المائده/ ۵۴).

(۶) [لائِم] قال تعالی:(یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَأْتِی اللّهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّةٍ عَلَی الْکافِرِینَ یُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ لا یَخافُونَ لَوْمَهَ لائِمٍ) (المائده/ ۵۴).

(۷) [مَلُومِینَ]: وردت فی موضعین هما:

قال تعالی:(إِلاّ عَلی أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَکَتْ أَیْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَیْرُ مَلُومِینَ)

(المؤمنون/ ۶).

قال تعالی:(إِلاّ عَلی أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَکَتْ أَیْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَیْرُ مَلُومِینَ) (المعارج / ۳۰).

(۸) [مُلِیمٌ] وردت فی سورتین هما:

قال تعالی:(فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِیمٌ) (الصافات/ ۱۴۲).

قال تعالی:(فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِی الْیَمِّ وَ هُوَ مُلِیمٌ) (الذاریات/ ۴۰).

(۹) [مَلُومٍ] قال تعالی:(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ) (الذاریات/ ۵۴).

(۱۰) [یَتَلاَوَمُونَ] قال تعالی:(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلی بَعْضٍ یَتَلاوَمُونَ) (القلم/ ۳۰).

هذا ما ورد فی القرآن الکریم من ألفاظ اللوم، ونرید أنَّ نعرض الآن أُنموذجاً ل - (اللوم) فی السیاق القرآنی وسعه إفاده أهل الاختصاص منه فی توجیه الآیات المبارکات.

قال تعالی فی سوره الصافات:(فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِیمٌ) (الصافات/ ۱۴۲).

قال الطبرسی رحمه الله فی وجه الإفاده من هذه الآیه ومعرفه سیاقها اللغوی والتفسیری و ((ألام الرجل فهو ملیم آت بما یلام علیه))(۱) هذا فی بیان اللغه أما فی وجه الإفاده منها فیقول:[(وَ هُوَ مُلِیمٌ) أی مستحق اللّوم لوم العتاب لا لوم العقاب](۲) فکأنّهُ صنف اللوم وأمال للعتاب تنزیهاً للنبی یونس علیه السلام، لأنّ

۱- (۱) مجمع البیان ۷:۵۹۰.

۲- (۲) المصدر نفسه ۵۹۱/۷.

المفرده دلالتها فيما لا ينبغى فعله.

وما يراه الصافى فى ذكره لكلمه (مليم) أنّهُ داخل فى الملامه أو آتٍ بما يلام عليه ومليم نفسه أحد أمرين:

الأول: أنّه عليه السلام حدّث نفسه بما آل إليه الأمر فى هذه السفينه.

الثانى: أنّه لوم أهل السفينه له باعتبار أنّهم استنتجوا وجود عاص بينهم(۱) ، أو بهم مشؤوم كما يراه الصنعانى(۲) ، وأما الرضى رحمه الله فيرى فى شرحه على الشافيه وهو (الام) عقبى صار صاحب قوم يلومونه فإذا صار له لوّام قبل هو مليم(۳).

وقال فى الكشاف: (داخل فى الملامه) يقال: (رب لائم مليم، أى يلوم غيره وهو أحق باللوم، وقرىء (مَليم) بفتح الميم، من ليم فهو مليم، كما جاء، مشيب فى مشوب...)(۴).

والقرطبى يرى أنَّهُ (أتى بما يلام عليه، فأما الملوم فهو الذى يلام، استحق ذلك أم لم يستحق، وقيل المليم المعيب، يقال: لام الرجل إذا عمل شيئاً فصار معيباً بذلك العمل)(۵).

۱- (۱) ظ: المولى محسن الفيض الكاشانى (ت ۱۰۹۱ ه -)، تفسير الصافى، ۲۸۳:۴، دار المرتضى للنشر، إيران - مشهد ۳، ۱۴۱۵ ه -- ۱۳۷۳ ش.

۲- (۲) ظ: عبد الرزاق بن همام الصنعانى (ت ۲۱۱ ه -) تفسير القرآن الكريم (تفسير الصنعانى) ۱۵۴:۳، تحقيق محمود محمد عبده، دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان ط ۱، ۱۴۱۹ ه -- ۱۹۹۹ م.

۳- (۳) ظ: رضى الدين الاسترآبادى، شرح شافيه ابن الحاجب ۸۸:۱.

۴- (۴) الزمخشرى ۶۳:۴.

۵- (۵) الجامع لأحكام القرآن ۸۱:۸.

الاستعمال القرآنی لمفرده التثریب

وردت هـذه المفرده فی القرآن الکریم فی سوره یوسف التی تعطی معنی العتب قـال تعـالی:(قالَ لا تَثْرِیبَ عَلَیْکُمُ الْیَوْمَ یَغْفِرُ اللّهُ لَکُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِینَ) (یوسف/ ۹۲).

فی ذکر هـذه الآیه المبـارکه یرجع الطبرسـی رحمه الله عنـد التفسـیر اللغوی لهـا إلی أصـل الکلمه کی یبنی علیهـا أسـاس بیـان تفسـیرها، فیقول: (التثریب التوبیـخ یقال ثرب وأثرب عن ابن الأعرابی وقیل التثریب اللّوم والإفساد والتقریر بالذنب قال أبو عبیده وأصله الإفساد وأنشد(۱):

فعفوت عنهم عفو غیر مُثربِ وترکتهم لعقاب یوم سرمدٍ

وقال ثعلب واثرب فلان علی فلان أی عـدد علیه ذنوبه، وقال أبو مسـلم مأخوذ من الثرب وهو شم الجوف فکأنّه موضوع للمبالغه فی اللوم والتعنیف والبلوغ بذلک أقصی غایاته)(۲).

وهو یری أنّ الثریب مقارناً للتوبیـخ والتقریع والتعییر فیقول:((لا تَثْرِیبَ عَلَیْکُمُ الْیَوْمَ) (أی لا تعییر ولا توبیخ ولا تقریع علیکم الآن فیما فعلتم)(۳).

وأمـا الزمخشـری فأفـاد منها معنی العتاب وغیره مما فیه دلاله علی الامتعاض قال: ((لا تأنیب علیکم ولا عتب، وأصل التثریب من الثرب وهو الشحم الذی هو غاشیه الکرش، ومعناه إزاله الثرب، کما أنَّ التجلید والتقریع إزاله الجلد

۱- (۱) لسان العرب، ابن منظور، ج ۱، ص ۲۳۵.

۲- (۲) مجمع البیان ۵:۳۳۵.

۳- (۳) المصدر نفسه ۵:۳۳۷.

والقرع لأنّه إذا ذهب كان ذلك غايه الهزل والعجف الذى ليس بعده فلضرب مثلاً للتقريع الذى يمزق الإعراض ويذهب بماء الوجه))(۱).

وهكذا فإنّ الدراسه وقفت على استعمال القرآن لمفرده العتاب بصيغها المختلفه التى أدت أو قاربت معنى العتاب بوضوح مكتفٍ بها عن غيرها لقصر البحث بما يمكن معه انتفاء الإخلال فى أصله مما يمكن أنَّ يطيله ويخرجه عن إطاره الموضوعى المحدد.

الدلاله الثانيه: تنوع الخطاب القرآنى للعتاب

اشاره

ينص القرآن الكريم فى غير آيه على أنّ الأنبياء عليهم السلام ليسوا على درجه واحده من جهه الكمالات التى يمتع بها كل واحد منهم.

قال تعالى:(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ) (البقره / ۲۵۳).

وقال تعالى:(وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ) (الإسراء / ۵۵).

وبناءً على ذلك فَهُمْ عليهم السلام متفاضلون ومتفاوتون سواء فى البعد المعرفى أم فى البعد العملى للحياه اليوميه، وهذا ما يفسّر إطلاق خطاباتهم عليهم السلام مع الله إذ قد نجد قضيه واحده تختلف بياناتها من نبى لآخر، وهذا التنوع الخطابى أثر فى تصور بعضهم أنَّ ذلك يعكس انتفاء العصمه المطلقه للأنبياء عليهم السلام ففى ضوئه صنف الخطاب أو بالأحرى جعل من بعض الخطابات من الشده والقساوه التى تلقاها الأنبياء من مجتمعهم الذى أرسلهم.

فنوّعوا الخطاب الذى يحمل بين طياته نوعاً من العتب فى بعض الآيات التى

۱- (۱) الكشاف ۴۷۳:۲.

وردت فی لحن ذلک ونحن نتناول هذا الجانب دون الجانب الإیجابی الآخر، وهذه الأنواع هی:

الأول: العتاب الخفیف

یری بعضهم أنّ الله سبحانه وتعالی خاطب أنبیاءه معاتباً لهم بعتاب فیه نوع من التوجیه الممزوج بالود، وهو مما أظهرته الآیات المبارکات فیکون عتاباً خفیفاً.

قال تعالی:(عَفَا اللّهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتّی یَتَبَیَّنَ لَکَ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْکاذِبِینَ) (التوبه / ۴۳).

ندب النَّبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم المسلمین إلی جهاد الروم فلبّت دعوته جموع المؤمنین، إلا أنّ المنافقین أبوا الاشتراک فی صفوف المجاهدین، فتمسکوا بأسباب واهیه مستأذنین النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم فی التخلف، فإذن لهم صلی الله علیه وآله وسلم، فنزلت هذه الآیه المبارکه کما یراها بعضهم أنّها عتاب لنبیه صلی الله علیه وآله وسلم علی ذلک وکلمته عتاب خفیف فیه نوع من الود وهذا ما یراه الشریف المرتضی رحمه الله (ت ۴۳۶ ه -) من أنَّ المقصود به هنا هو التعظیم والملاطفه فی الخطاب(۱) وکذا یری الطبرسی رحمه الله أنّ هذا من لطیف المعاتبه إذ إنّ تصدیر الآیه بالعفو قبل العتاب دلیل علی ذلک(۲).

۱- (۱) ظ: الشریف المرتضی علی بن الحسین الموسوی العلوی، تنزیه الأنبیاء ۱۶۰، انتشارات الشریف الرضی، إیران - قم، ط ۱، ۱۳۷۶ ه -. ش.

۲- (۲) ظ: مجمع البیان ۴۶:۵، عماد الدین أبی الفداء إسماعیل بن کثیر الدمشقی (ت ۷۷۴ ه -)، مختصر تفسیر ابن کثیر ۱۴۹:۲ تحق محمد علی الصابونی، دار إحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان ط ۱.

قوله تعالى:(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَکَ تَبْتَغِی مَرْضاتَ أَزْواجِکَ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ) (التحریم / ۱).

قال الشریف الرضی رحمه الله: (لیس فی ظاهر الآیه ما یقتضی عتاباً وکیف یعاتبه الله علی ما لیس بذنب)(۱).

ولمزید من التأکید أنّ العتاب هنا کان من باب العتاب الخفیف قال: (فلو کان للآیه ظاهر یقتضی العتاب لجاز أنَّ یصرفه إلی غیره لقیام الدلاله علی أنَّهُ لا یفعل شیئاً من الذنوب)(۲) وهذا أدل دلیل علی أنّ العفو کان لطیفاً ذا ودٍّ.

وکذلک مما یؤید کون المرتضی رحمه الله یری أنّ هذا عتاباً لطیفاً ولیس فیه نوع لوم له صلی الله علیه وآله وسلم قولهُ: (إذا تُؤمل فی الحقیقه لم یکن فیه عتاب وإنما هو توجع له صلی الله علیه وآله وسلم)(۳).

الثانی: العتاب الشدید

ذکروا أنَّ هناک خطاباً حَوتْهُ بعض آیات الذکر الحکیم یکون فیه نوع من العتاب الشدید المصاحب للوم مما یدل معه علی خطأ المعاتب منها:

قال تعالی:(فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِیمٌ) (الصافات / ۱۴۲).

اعتبر بعضهم أنّ هذا الخطاب کان شدیداً ویحمل عتاباً ناشئاً عن ذنب أقترفه النَّبی یونس علیه السلام استحق معه العتاب الشدید.

۱- (۱) تنزیه الأنبیاء: ۱۶۸.

۲- (۲) المصدر نفسه: ۱۶۸.

۳- (۳) علی بن الحسین الموسوی العلوی، أمالی المرتضی ۳۳۲:۲ تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم، انتشارات ذوی القربی، إیران - قم، ط ۱، ۱۳۸۴ ش.

قال الزمخشری فی بیان شدّه العتاب (داخل فی الملامه)(۱).

وقال القرطبی: (أتی بما یلام علیه)(۲).

وقال تعالی:(ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْری حَتّی یُثْخِنَ فِی الْأَرْضِ تُرِیدُونَ عَرَضَ الدُّنْیا وَ اللّهُ یُرِیدُ الْآخِرَهَ وَ اللّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ * لَوْ لا کِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّکُمْ فِیما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ) (الأنفال / ۶۷-۶۸).

ذهب بعض المفسرین والمتکلمین(۳) إلی أنّ الآیه قد نطقت بعتاب شدید یحمل إنذاراً وتوعّداً إلی الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وجهود الصحابه الذین أشاروا علیه صلی الله علیه وآله وسلم بأخذ الفداء من أسری بدر، مؤثرین عرض الدنیا الفانیه علی نصره الدین لذلک یَرَون أنّ العتاب صیغ بصوره غیر مباشره إذ إنّها لم توجه الخطاب له مباشره، بل استهل الآیه بکون منفی تَلَتْهُ عباره تستعظم أنَّ یصدر ذلک عن نبی من الأنبیاء.

وعلل الزمخشری هذه الشده فی الخطاب لأنّهم ارتکبوا خطأ فی الفداء وترک القتل قال: (وکان هذا خطأ فی الاجتهاد)(۴).

ومما یؤکد أنّ العتاب فی الآیه هو من باب العتاب الشدید قول القرطبی: (فالعتاب والتوبیخ إنما کان متوجهاً بسبب من أشار علی النَّبی صلی الله علیه وآله

۱- (۱) الکشاف ۶۳:۴.

۲- (۲) الجامع لأحکام القرآن ۸۱:۸.

۳- (۳) ظ: فخر الدین محمد بن عمر بن الحسین بن الحسن بن علی التمیمی البکری الرازی الشافعی (ت ۶۰۶ ه -) مفاتیح الغیب ۱۵۸:۱۵، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان ط ۲، ۲۰۰۴ م، ۱۴۲۵ ه -.

۴- (۴) الکشاف ۲۲۵:۲.

وسلم بأخذ الفديه)(۱).

قوله تعالى:(عَبَسَ وَ تَوَلّى * أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى) (عبس / ۱-۲).

هـذه من الآيات التى ذكر فيها الخطاب الـذى يحمل عتاباً شديـداً للـذى اعرض عن الأعمى (ابن أم مكتوم) وَتَلَهى عنه وأعرض وتصدى لغيره، بعضـهم حملها على النَّبى صـلى الله عليه وآله وسلم والبعض الآخرس حملها على رجل من بنى أميه وسيأتى بيان ذلك مفصلاً.

وبغض النظر عمّن نزلت به أنّها تشير إلى عتاب شديد صدر من الله تعالى ضدّ من أعرض وعبس(۲).

۱- (۱) الجامع لأحكام القرآن ۶۲:۴.

۲- (۲) ظ: الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء ۱۶۶، الطبرسى، مجمع البيان ۵۵۷:۱۰ الزمخشرى، الكشاف ۷۰۱:۴، القرطبى، الجامع لأحكام القرآن ۱۴۱:۱۰ العلامه محمد باقر المجلسى (ت ۱۱۱۱ ه -) بحار الأنوار، ۸۵:۱۷، دار الكتب الإسلاميه، إيران - طهران (د. ت).

المبحث الثالث: صيغ العتاب ومرادفاته فی القصص القرآنی والحدیث الشریف

الأول: العتاب فی القصص القرآنی

اشاره

لقد ورد فی القرآن الکریم کثیر من المخاطبات بین الأنبیاء علیهم السلام وبین ذویهم أو أقوامهم وصلت إلی حد التوبیخ واللوم والتقریع من الأنبیاء نتیجه لبعض الحوادث الحاصله التی أثارت ما یستوجب تلک المخاطبات ونعرض هنا نماذج مختاره.

(أ) عتاب إبراهیم علیه السلام

ما حصل من عتاب لنبی الله إبراهیم الخلیل علیه السلام مع ذویه وقومه کما جاء فی الذکر الحکیم عند قوله تعالی:(إِذْ قالَ لِأَبِیهِ یا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا یَسْمَعُ وَ لا یُبْصِرُ وَ لا یُغْنِی عَنْکَ شَیْئاً) (مریم / ۲۴).

أفاد الشوکانی من الاستفهام الوارد فی آیه العتاب المتوجه من النَّبی إبراهیم علیه السلام إلی أبیه (آزر) قال: (والاستفهام فی (لِمَ تَعْبُدُ) (مریم/ ۴۲)

للاستنكار والتوبيخ(۱).

وفی معرض عتاب إبراهيم عليه السلام لقومه نورد الآيه المباركه من قوله تعالی:(أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ) (الأنبياء / ۶۷).

قال الطوسی [أبو جعفر مُحَمَّد بن الحسن (ت ۴۶۰)] فی بيان نوع العتاب فی هذهِ الآيه (أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ) (الأنبياء/ ۶۷) إنّ إبراهيم عليه السلام: (قال مستهجناً مستقذراً لها(۲).

وأما الطبرسی رحمه الله فيری أنّ الاستهجانات والاستقذار من النَّبی إبراهيم عليه السلام لقومه كان نتيجةً لسوء صفاتهم إذ يقول: (ثم قال إبراهيم عليه السلام مهجناً لأفعالهم مستقذراً لها (أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ) (الأنبياء/ ۶۷) ثم يقول: قال الزجاج وهذا فيه عتاب شديد اللهجه...)(۳).

ويقول فی الميزان إنّ هذا (توبيخ لهم)(۴).

وقال الشيرازی فی الأمثل: (وانهال بسياط التقريع علی روحهم التی فقدت الإحساس)(۵).

۱- (۱) محمد بن علی بن محمد الشوكانی، فتح القدير ۳۳۵:۳ دار إحياء التراث العربی بيروت - لبنان (د. ت).

۲- (۲) التبيان ۲۶۲:۲ تحقيق أحمد حسن قصير العاملی، مكتب الإعلام الإسلامی، قم ط ۱، ۱۴۰۹ ه -.

۳- (۳) مجمع البيان ۷۵:۷.

۴- (۴) العلامه محمد حسين الطباطبائی، تفسير الميزان ۳۰۲:۱۴ منشورات الأعلمی بيروت - لبنان، بيروت لبنان ط ۱۳۹۴ ۳ ه -- ۱۹۷۴ م.

۵- (۵) ناصر مكارم الشيرازی ۱۲۲:۱۰، دار الأمير للطباعه والنشر، بيروت - لبنان ط ۱، ۱۴۲۶ ه -- ۲۰۰۵ م.

(ب) عتاب موسى عليه السلام

ذكر المفسرون أنّ القرآن الكريم حمل أو حَوَى فى بعض آياته عتاب النَّبى موسى لأخيه هارون عليهما السلام وأخرى عتاب موسى عليه السلام لقومه.

فمن عتاب موسى لهارون عليهما السلام ما ورد فى الآيه المباركه قوله تعالى: (يا هارُونُ ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلاّ تَتَّبِعَنِ أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِى) (طه / ۹۲-۹۳).

وممن ذهب إلى إثبات العتاب فى هذه الآيه المباركه المراغى إذ قال فى قصه عباده بنى إسرائيل للعجل والتنكير عليهم: (وزاد عليهم فى التشنيع ببيان أنهم قد عصوا الرسول الذى نبأهم إلى خطأ ما فعلوا، ثم حكى معاتبه موسى لهارون عليهما السلام على سكوته على بنى إسرائيل وهم يعبدون العجل)(۱).

وأفاد الشوكانى من الاستفهام أنّ هناك إنكاراً وتوبيخاً لهم لفعلهم هذا، قال: (الاستفهام للإنكار التوبيخى)(۲) قاصداً به ما ورد فى قوله تعالى:(أَ لَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً) (طه/ ۸۶).

ويرى الشيخ مُحَمَّد جواد مغنيه رحمه الله أنّ (هذا ظاهره لوم أو عتاب لهارون عليه السلام أما فى واقعه فهو تقريع للذين عبدوا العجل)(۳).

ومن الآيات التى يذكرها القرآن فى سياق العتاب ما جرى من عتاب موسى عليه السلام لقومه بعد أنَّ أضلهم السامرى من بعده..

۱- (۱) أحمد مصطفى المراغى، تفسير المراغى، ۱۱۲:۱۶، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان (د. ت).

۲- (۲) فتح القدير: ۳۸۰:۳.

۳- (۳) محمد جواد مغنيه، التفسير الكاشف ۲۳۹:۵، دار الكتاب الإسلامى، ط ۱، ۱۴۲۴ ه -- ۲۰۰۳ م.

وخصوصاً عنـد قوله تعالى:(يا قَوْمِ أَ لَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكَمْ وَعْداً حَسَناً أَ فَطالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي) (طه / ۸۶).

قـال الرازى فخر الـدين (ت ۶۰۶ ه -) فى بيـان ذلـك: (ثم أنّ الله تعـالى حكى عن موسـى عليه السـلام أَنَّهُ عـاتبهم بعـد رجوعه إليهم)(۱).

(ج) عتاب نبى الله لوط عليه السلام لقومه

عـاتب لوط عليه السـلام قومه فى بعض آيـات الـذكر الحكيم كمـا هو فى سوره هود إذ قـال تعـالى حاكيـاً على لسـان نـبيه عليه السلام:(أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) (هود / ۷۸).

قال فى صفوه التفاسير إنّ الاستفهام (استفهام توبيخ أى أليس فيكم رجل عاقل يمنع عنى القبيح)(۲).

وفى قوله تعالى:(أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ) (النمل / ۵۴).

قال فيها الفخر الرازى: (فهو على وجه التكبّر وإن كان بلفظ الاستفهام وربما كان التوبيخ يمثل هذا اللفظ أبلغ)(۳).

وفى معرض قوله تعالى:(بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) (النمل / ۵۵).

يرى صـاحب الميزان أنّ الاسـتفهام للإنكـار قـال فيهـا (أى مسـتمرون على الجهـل لا فائـده فى توبيخكم والإنكار عليكم فلسـتم بمرتدعين)(۴).

۱- (۱) مفاتيح الغيب ۸۸:۲۲ مصدر سابق.

۲- (۲) محمد على الصابونى ۴۲:۲، دار الفكر بيروت - لبنان، ط ۱۴۲۰ ۳ ه -- ۲۰۰۰ م.

۳- (۳) مفاتيح الغيب ۱۷۵:۲۳.

۴- (۴) الطباطبائى ۳۷۶:۱۵.

ثانياً: ما ورد عن النَّبی الأكرم صلی الله علیه وآله وسلم

للنبی علیه الصلاه والسلام وقفه من العتاب مع أهله، ولاسیما لبعض أزواجه إذ بدر منه صلی الله علیه وآله وسلم العتاب بأجلی صوره تجاه عائشه وحفصه حینما تعاونا علی إیذائه والتظاهر علیه صلی الله علیه وآله وسلم، مما تطلب الأمر إلی إبداء التوبه منهما وترک العود إلی مثل هذا الإیذاء المقصود، وقد أشار القرآن الكریم إلی هذا الحدث فی قوله تبارک وتعالی:(إِنْ تَتُوبا إِلَی اللّهِ) (التحریم/ ۴) وكذا (وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَیْهِ) (التحریم/ ۴) وكذلک قوله تعالی:(فَلَمّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللّهُ عَلَیْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) (التحریم/ ۳).

ورد فی التسهیل فی بیان عتاب النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم لبعض نسائه عند مروره بالآیه الكریمه (عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) (التحریم/ ۳)، أی عاتب حفصه علی بعض وأعرض عن بعض حیاءً وتكرماً(۱).

وكذا فی صفوه التفاسیر، (أی أعلمها وأخبرها رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ببعض الحدیث الذی أفشته معاتباً لها ولم یخبرها بجمیع ما حصل منها)(۲).

فكان سیاق الخطاب لهما إذ بدا ذلک جلیاً عند قوله سبحانه وتعالی: (إِنْ

۱- (۱) أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبی (ت ۴۷۱) ۴۶۳:۲ تحقیق محمد سالم هاشم ط ۱، ۱۴۱۵ ه -- ۹۹۵ م، ظ: مجمع البیان ۴۰:۱، ظ: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعیب النسائی (ت ۳۰۲ ه -)، سنن النسائی ۵۷۸، دار إحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان، أبو عبد الله إسماعیل البخاری (ت ۲۵۶ ه -) صحیح البخاری: ۹۶۷ دار إحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان ط ۱، ۱۴۲۲ ه -- ۲۰۰۱ م، أبو زكریا یحیی بن شرف النووی الدمشقی (ت ۶۷۶ ه -) شرح صحیح مسلم ۷۱:۵ دار الفكر، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۲۱ ه -- ۲۰۰۰ م.

۲- (۲) محمد علی الصابونی ۳۸۳:۳.

تَتُوبا إِلَى اللّهِ) (التحريم/ ۴) وكذا قوله تعالى:(وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ) (التحريم/ ۴) أى حفصه وعائشه(۱).

وقال الزمخشرى فى بيان عتاب النَّبى لحفصه حين أفشت سره إلى عائشه إذ روى أَنَّهُ قال لحفصه: ألم أقل لكِ أكتمى علىّ؟ قالت: والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى(۲).

ومن عتابه لعائشه فى سوره التحريم وغيرها ما أكده الطبرى فى خروج عائشه لقتال على عليه السلام إذ أنّ النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم عاتبها ذات يوم وأنبأها بلزوم حصيرها وترك مغادره البيت إذ قال جل ذكره:(وَ قَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ) (الأحزاب/ ۳۳).

وفى هذا ما ذكره ابن سعد بسنده عن عطاء بن يسار، أنّ النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لأزواجه: (أيتكن اتقت الله ولم تأتِ بفاحشه مبينه ولزمت ظهر حصيرها فهى زوجتى فى الآخره)(۳).

وقالت أم سلمه لعائشه، حذّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساءه من الانحراف عن الصراط، فقلنا نعوذ بالله وبرسوله من ذلك، فضرب على ظهرك فقال: إياك أنَّ تكونيها يا حميراء)(۴).

۱- (۱) هاشم البحرانى ت: (۱۱۰۷ ه -) البرهان فى تفسير القرآن ۵۶۷:۹ تحقيق قسم الدراسات الإسلاميه ط ۱، ۱۴۲۱ ه -- ۲۰۰۰ م، ظ: محمد حسين الطباطبائى، الميزان ۲۳۲:۱۹ الأعلمى للمطبوعات، بيروت - لبنان ط ۲، ۱۳۹۰ ه -- ۱۹۷۱ م، مجمع البيان ۱۰۱:۹.

۲- (۲) الكشاف ۵۰۷:۴.

۳- (۳) ظ: محمد بن سعد بن منيع الزهرى (ت ۲۳۰ ه -) الطبقات الكبرى ۱۵۰:۸، تحقيق رياض عبد الله عبد الهادى، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان ط ۱، ۱۴۱۷ ه -- ۱۹۹۶ م.

۴- (۴) ظ: عز الدين ابى حامد عبد الحميد بن هبه الله مدائنى الشهير بابن أبى الحديد (ت ۶۵۶ ه -)

وشاهد ثانٍ على العتاب النبوى هو ما ذكره المفسرون ومؤرخو الأحداث من أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد غضب لما أبداه بعض صحابته من عصيان فى حمله أسامه بن زيد عندما أمرّه النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم عليهم، وامتعض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتمردهم ولما صدر منهم من قيل وقال فى زعامه أسامه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد عصّب رأسه بعصابه وصعد المنبر وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

((أيها الناس مقاله بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامه بن زيد؟ والله أنَّ طعنتم فى إماره أسامه لقد طعنتم فى إماره أبيه من قبل، وأيم الله لقد كان للإماره خليقاً وإنّ ابنه من بعده لخليق للاماره))(١).

وفى كلامه (صلوات الله عليه) عتاب واضح لأولئك الطاعنين فى الإماره(٢).

كما عاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوليد بن عتبه بن أبى

١- (١) ظ: ابن الأثير على بن إبراهيم بن أبى الكرم الشيبانى، الكامل فى التأريخ: دار صادر بيروت - لبنان ط ١٩٦٥، المقريزى (ت ۴۸۵ ه -) امتاع الأسماع ١٢٣:٢، تحقيق محمد عبد الحميد الميس، دار الكتب العلميه بيروت - لبنان ط ١، ١۴٢٠ ه -- ١٩٩٩ م، على بن برهان الدين الحلبى (ت ١٠۴۴ ه -) السيره الحلبيه ٢٠٧:٣، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان ط ١، البخارى، صحيح البخارى ٨٧۶ مصدر سابق.

٢- (٢) ظ: محمد بن عمر الواقدى (ت ٢١٢ ه -) المغازى: ١١٨:٢، دار المعرفه الإسلاميه ط ١۴٠۵ ه -.

معیط، ثم سمّاه الله بعد ذلک بالفاسق ونزل فیه الذکر الحکیم:(یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ جاءَکُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا أَنْ تُصِیبُوا قَوْماً بِجَهالَهٍ فَتُصْبِحُوا عَلی ما فَعَلْتُمْ نادِمِینَ) (الحجرات / ۶)(۱).

کما عاتب النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم انس بن مالک فی حدیث الطائر المشوی(۲).

ولذا روی عنه صلی الله علیه وآله وسلم أنّه یقول: (عاتبوا أرقّاءکم علی قدر عقولهم)(۳).

واستعار النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم لفظ (تثریب) الوارده فی سوره یوسف علیه السلام فی حدیثه عن قریش بعد فتح مکه عند وقوفه علی باب الکعبه مخاطباً لهم.

قال صلی الله علیه وآله وسلم: (یا معشر قریش ماذا تقولون؟ وماذا تظنون؟ قالوا: نظن خیراً، أخ کریم وابن أخٍ کریم، قال: فإنّی أقول لکم کما قال أخی یوسف لا تثریب علیکم الیوم یغفر الله لکم وهو أرحم الراحمین أذهبوا فأنتم الطلقاء)(۴).

۱- (۱) ظ: محمد بن عبد الله النیسابوری الحاکم (ت ۴۰۵ ه -)، مستدرک الحاکم ۱۲۲:۳، دار الکتب العلمیه بیروت - لبنان (د. ت)، شمس الدین الذهبی (ت ۴۷۸ ه -) سیر أعلام النبلاء ۳۵۲:۱۶ انتشارات مؤسسه الرساله، بیروت - لبنان (د. ت).

۲- (۲) ظ: النیسابوری مستدرک الحاکم ۱۴۲:۳، مجمع البیان ۳۱۶:۱.

۳- (۳) محمد بن درّام، تنبیه الخواطر، مجموعه درّام، ۵۸:۱ (د. ت).

۴- (۴) أبو جعفر محمد بن علی بن بابویه القمی، الصدوق (ت ۳۸۱ ه -) من لا یحضره الفقیه ۲۴۰:۲-۲۴۶، انتشارات الإمام المهدی، إیران - قم (د. ت)، أحمد زینی دحلان (ت ۱۳۰۴ ه -) السیره النبویه (سیره ابن دحلان) دار إحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان (د. ت).

فدّلَ استعمال النَّبی علیه السلام لمفرده التثریب أنها من صیغ العتاب ومرادفاته التی وردت فی لسان النَّبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم کما هی فی القرآن فی سوره یوسف علیه السلام.

ثالثاً: العتاب فی حدیث أهل البیت علیهم السلام (نهج البلاغه أنموذجاً)

یدرس فی هذا المطلب العتاب مقتطفاً ثماره من کلام سید البلغاء والفصحاء أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام مکتفیاً به، لأن کلامه علیه السلام هو الکلام الذی علیه مسحه العلم الإلهی وفیه عبق من الکلام النبوی والجامع المانع.

فقد وردت عنه علیه السلام فی نهج البلاغه معاتبات عده وقفنا علی بعض منها رعایه لتحمّل البحث فمنها ما ورد فی هذا الصدد معاتباً القوم بعد مقتل عثمان بن عفان قائلاً:

[وَاعْلَمُوا أَنِّی إِنْ أَجَبْتُکُمْ رَکِبْتُ بِکُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَی قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَکْتُمُونِی فَأَنَا کَأَحَدِکُمْ; وَلَعَلِّی أَسْمَعُکُمْ وَأَطْوَعُکُمْ لِمَنْ وَلَّیْتُمُوهُ أَمْرَکُمْ، وَأَنَا لَکُمْ وَزِیراً، خَیْرٌ لَکُمْ مِنِّی أَمِیراً](۱).

لقد میز علیه السلام بین لونین من الناس «قائل» «عاتب» وهو فصل بین نوعین من الکلام صدرا عن نوعین من الناس نستشف من ظاهره أنَّ العتاب من محبیه والقول ربما ما کان من غیرهم وهم کثیر.

وقوله أیضاً: [فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ! فَإِنَّ الْدُّنْیَا مَاضِیَهٌ بِکُمْ عَلَی سَنَن، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَهُ فِی قَرَن، وَکَأَنَّهَا قَد جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِکُمْ عَلَی سِرَاطِهَا، وَکَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِکَلَاکِلِهَا، وَانْصَرَمَتِ الدُّنْیَا بِأَهْلِهَا،

۱- (۱) ظ: ابن أبی الحدید، شرح النهج ۲۷:۷، مصدر سابق.

وَأَخْرَجَتْهُمْ مَنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيوْم مَضَى وَشَهْر انْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً، وَسَمِينُهَا غَثّاً، فِي مَوْقِف ضَنْكِ الْمَقَام، وَأُمُور مُشْتَبِهَه عِظَام، ونَار شَدِيد كَلَبُهَا، عَال لَجَبُهَا، سَاطع لَهَبُهَا، مُتَغَيِّظ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّج سَعِيرهَا، بَعِيد خُمُودُهَا، ذَاكٍ وُقُودُهَا، مَخُوف وعِيدُهَا، عُم قَرارُهَا، مُظْلِمَه أَقْطَارُهَا، حَامِيَه قُدُورُهَا، فَظِيعَه أُمُورُهَا، (وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّهِ زُمَراً)، قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدّارُ، وَرَضُوا المَثْوَى وَالْقَرَارَ، الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيهً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيهً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً، تَخَشُّعاً وَاسْتِغفَاراً، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً، تَوَحُّشاً وَانَقِطَاعاً، فَجَعَلَ اللهُ لَهُمُ الْجَنَّهَ [مَآباً، وَالْجَزَاءَ] ثَوَاباً، (وَ كانُوا أَحَقَّ بِها وَ أَهْلَها) فى مُلْك دَائِم، وَنَعِيم قَائِم](١).

ومن كتاب له عليه السلام كَتَبهُ بين ربيعه واليمن: [هذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْل الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا، وَرَبِيعَهُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا: أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ، لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً، وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلاً، وَأَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَهٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ، أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْض، دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَهٌ، لَايَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَهِ عَاتِب، وَلَا لِغَضَبِ غَاضِب، وَلَا لِاسْتِذْلَالِ قَوْم قَوْماً، وَلَا لِمَسَبَّه قَوْم قَوْماً! عَلَى ذلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ، [وَسَفِيهُهُمْ وَعَالِمُهُمْ] وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذلِكَ عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ، إِنَّ عَهْدَ اللهِ كَانَ مسْؤولاً](٢).

ومما جاء فى حكمه عليه السلام قوله: [مَا كُلُّ مَفْتُون يُعَاتَبُ](٣).

١- (١) نهج البلاغه، تعليق د. صبحى الصالح، ٢٠٨، انتشارات أنوار الهدى، إيران - قم، ط ٢، ١۴٢۴ ه -.

٢- (٢) المصدر نفسه: ۴۶٣.

٣- (٣) ظ: عبد الواحد الآمدى التميمى، غرر الحكم ودرر الكلم، ٢:٢۵٩، مؤسسه الأعلمى،

وقال عليه السلام: [عَاتِبْ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ](۱).

وهنا اقتران ظاهر جلّى بين العتاب والأخوّه فهو الحبل الواصل بين الأخوّه والمرجع لما بينهما من ودٍ إن تقطعت بهم الضغائن والأحقاد.

ويرد الإمام عليه السلام فى كلام له فى نهج البلاغه على من عتب عليه فى تسويته بالعطاء، إذْ قال: [أَتَأْمُرُونِّى أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِى السَّمَاءِ نَجْماً! لَوْ كَانَ الْمَالُ لى لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ لَهُمْ].

ثمّ قال عليه السلام: [أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِى غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِى الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِى الآخِرَهِ، وَيُكْرِمُهُ فِى النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ، وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِى غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ وَكَانَ لِغَيْرِهِ وَدُّهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيل وَأَلْأَمُ خَدِين](۲).

فنرى الإمام عليه السلام هنا يوّبخهم ويقرّعهم، وما ذنبه إلا أَنَّهُ كان فى سيرته كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قومه فقد ساوى فى العطاء بين المسلمين سواء كان المال من الغنائم أو الزكاه أو غيرها، أما من جاء بعده ممن أدعى الخلافه فكانوا يتفاضلون، خلاف سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى جاء الإمام على عليه السلام فأخذ فى التسويه وذلك ممّا لم يرق للذين اعتادوا الفضل فى أزمنه غيره عليه السلام، فعاتبوه بما فعل.

۱- (۱) ظ: صبحى الصالح، نهج البلاغه ص ۵۰۰.

۲- (۲) ظ: ابن أبى الحديد، شرح النهج ۸:۸۸، مصدر سابق.

ومن كلام له عليه السلام موبخاً لطلحه والزبير بعد بيعته بالخلافه وقد عتبا عليه فى ترك مشورتهما والاستعانه فى الأمور بهما فقال عليه السلام:

[لَقَدْ نَقَمْتُما يَسِيراً، وَأَرْجَأْتُما كَثِيراً، أَلَا تُخْبِرَانِى، أَىُّ شَىْ ء لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ وأَىُّ قَسْم اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَىُّ حَقّ رَفَعَهُ إِلَىَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهِلْتُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ؟!](١).

ومن ذلك عتابه عليه السلام لسليمان بن صردرحمه الله عندما دخل عليه أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب عليهما السلام فعاتبه وعذّله وقال له: [أتيت وتربّصت وراوغت، وقد كنت من أوثق الناس فى نفسى وأسرعهم - فيما أظن - إلى نصرتى، فما قعد بك عن أهل بيت نبيك، وما زهدك فى نصرتهم؟].

فقال: يا أمير المؤمنين، لا تردنَّ الأمور على أعقابها، ولا تؤنبنى بما مضى منى، واستبق مودّتى يخلص لك نصحى وقد بقيت أمور تعرف فيها وليك من عدوّك، فسكت عنه عليه السلام، وجلس سليمان قليلاً، ثم نهض فخرج إلى الحسن بن على عليه السلام وهو قاعد فى المسجد، فقال: ألا أعجبك من أمير المؤمنين ما لقيت منه من التبكيت والتوبيخ؟

فقال له الحسن عليه السلام: «إنما يعاتب من ترجى مودته ونصيحته»(٢).

وهذا قليل من سيل المعاتبات التى وردت فيه عليه السلام فى الأحداث المؤلمه التى مرّت به عليه السلام(٣).

١- (١) ظ: ابن ابى الحديد ٩:١١.

٢- (٢) ظ: نصر بن مزاحم المنقرى (ت ٢١٢ ه -)، وقعت صفين ٦:١، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المؤسسه العربيه الحديثه للطباعه والتوزيع، مصر - القاهره، ط ٢، ١٣٨٢ ه -.

٣- (٣) ظ: المصدر نفسه ٦٨٩:٣.

الفصل الثانی: نماذج من آیات العتاب فی القرآن الکریم

اشاره

المبحث الأول: نماذج من عتاب الأنبیاء والرُّسل علیهم السلام

المبحث الثانی: نماذج من آیات عتاب الله تعالی لسائر الناس

المبحث الثالث: نماذج من آیات عتاب الملائکه والجن

ص:۵۳

المبحث الأول: نماذج من عتاب الأنبياء والرُّسل عليهم السلام

نماذج من عتاب الرسل أولى العزم عليهم السلام

توطئه

ذهب الإماميه إلى أنّ هناك فرقاً بين النبيّ والرسول، إذ إنّ النبيّ أعمّ من الرسول أيّ إنّ كلّ رسول نبيّ وليس كلّ نبيّ رسولاً.

وفى هذا الصدد يقول الشيخ المفيد رحمه الله: (النبيّ هو الإنسان المخبر عن الله بغير واسطه أحد من البشر، وهو أعمّ من أنَّ يكون مأموراً من الله بتبليغ الأوامر والنواهى إلى قوم أم لا، والرسولُ هو الإنسان المخبرُ عن الله تعالى بغير واسطه أحد من البشر مأموراً من الله بتبليغ الأوامر والنواهى إلى قوم)(١).

وليس بنا حاجه إلى أنَّ نذكر مزيداً من آراء الإماميه أو سواهم إذْ إنَّ هذا الأمر ليس فيه اختلافٌ كبيرٌ بينهم.

فالنبى أو الرسول هو الذى اختاره الله واصطفاه لمهمه كبرى تتطلب منه أنَّ

١- (١) محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى (ت ٤١٣ ه -)، أوائل المقالات ٤٧ (د. ت).

يكون متصفاً بصفات تفوق صفات سائر البشر لأنَّ من يتلقى أخبار السماء ويرويها للناس لابد أنَّ يكون أميناً صادقاً مأمون الجانب مبتعداً عن الزلل لا يفعل المعصيه - آيه معصيه - وهذا ما أطلق عليه علماء الكلام اسم (العصمه).

إذن الرسول والنبى كلاهما يعمل بوحى من الله تبارك وتعالى والله هو المسدد لأفعاله وأقواله.

فالعلاقه بينهما كما يقول المناطقه علاقه عموم وخصوص مطلق كما بيَّنا آنفاً.

ويمكن أنَّ يستدل له بما: ((روى عن أبى ذر رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلت له: كم النبيون؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: مئه ألف وأربعه وعشرون ألف نبى، قلت كم المرسلون منهم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: ثلاثمئه وثلاثه عشر))(١).

وهو واضح الدلاله على المقصود لكون المرسلين جزءاً من الأنبياء عليهم السلام.

وقد يطول بنا المقام لو تعرضنا لعصمه الأنبياء ووقفنا على حدودها وسعتها من خلال القرآن الكريم، فقد كتب الباحثون القدماء والمحدثون كتباً وعقدوا فصولاً بينوا ماهيه العصمه، وهل العصمه تسلب الاختيار أم هى إراديه بوساطتها يكون المعصوم مُنزّهاً عن الخطأ قادراً على السلوك السوىّ فى كل حين وقد أفردنا ما يفصل ذلك.

١- (١) الشيخ على النمازى الشاهرودى (ت ١۴٠۵ ه -) مستدرك سفينه البحار ٥١١:٩، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين بقم المشرفه ط ١۴١٩ ه -.

عتاب الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام

عندما نتأمل قصه نوح عليه السلام مع ولده الذى هلك مع مَن هلك بمناشده النبىّ عليه السلام ربّه بإنقاذ ولده من الغرق لاعتبار الأبوّه وأنّه أحد أفراد أُسرته فيُجاب النَّبى نوحٌ عليه السلام بذلك الجواب الإلهىّ القاطع لتلك الرابطه لتحلّ محلّها رابطه العقيده والإيمان وفى هذا الحدث يرى بعض المفسرين أنّ النبىّ نوح عليه السلام عوتب على سؤاله هذا وقوله مخاطباً ربه:(رَبِّ إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى) (هود/ ۴۵).

ويرى هؤلاء أنّ ظاهر صدور السؤال منه غير لائق بمقام النبوه؛ لأنّ تغليب العاطفه على الحق والعدل أمر لا يُنتظر من النبيين وهم الصفوه المختاره ولأجل ذلك كلّه - كما يرى المفسرون - خُوطب بالعتاب وهو ظاهر قوله تعالى: (فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ) (هود / ۴۶).

إذ ذهب غير الإماميه إلى تحليل دلالات الآيه الكريمه وما تتضمنه من حوار بين نوح عليه السلام وربّه سبحانه وتعالى على أنّه كان عتاباً، فهذا الزمخشرى يتأمل العتاب فى الآيه قائلاً:

((إنّ الله عزّ وعلا قدم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم، فكان عليه أنَّ يعتقد أنّ فى جمله أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح، وأنّ كلّهم ليس بناجين، أنّ لا تخالجه شُبهه حين شارف ولده على الغرق فى أنّه من المستثنيين لا من المستثنى منهم فعوتب على أنَّ اشتبه عليه ما يجب إلاّ يشتبه))(۱).

۱- (۱) الكشاف ۳۷۹:۲.

بید أنّ الفخر الرازی فی تفسیره یوردُ وجوهاً لمن قدح فی عصمه الأنبیاء فیما یتعلق بخطابه سبحانه لنبیه نوح علیه السلام:(إِنِّی أَعِظُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْجاهِلِینَ) (هود / ۴۶) ومن هذه الوجوه المتضمنه قدحاً بالعصمه قوله: ((یدلّ علی أنّ ذلک السؤال کان محض الجهل وهذا یدل غایه التقریع ونهایه الزجر))(۱).

نری فی الآیه الکریمه عتاباً واضحاً إذ إنّ نوحاً علیه السلام کان فی نزاع نفسی بین وجوب طاعه الله تبارک وتعالی فی هذا الحدث الکونی - حدث الطوفان - وهو حدث فاصلٌ بین فئتین فئه ناجیه ترکب سفینه النجاه التی أعدت بأمر الله وتکلیف نوح علیه السلام، وبین فئه هالکه غرقاً لا محاله، أقول بین وجوب هذه الطاعه وبین تفکیره بمصیر ابنه الذی رفض الرکوب فی السفینه، تنازعت العاطفه مع قوه العقیده فکانت العقیده هی الغالبه ولم یکن هناک خروج عن الطاعه فی مناشده نوح علیه السلام لربه أنَّ یستثنی ابنه من القرار الحاکم العادل فکان أنَّ جاء ردّه سبحانه وتعالی عتاباً لنوح علیه السلام (إِنِّی أَعِظُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْجاهِلِینَ) (هود: ۴۶).

عتاب الله لنبیه موسی علیه السلام

من نماذج الآیات الوارده فی عتاب الأنبیاء علیهم السلام - کما یراها مفسرون کُثُر وبعض متکلمی المذاهب الإسلامیه آیات عتاب النَّبی موسی علیه السلام حینما عوتب لمّا قام خطیباً فی بنی إسرائیل وسُئِل عن أعلم الناس فرأی علیه السلام أنّه الأعلم کما فی إحدی الروایات التی تناقلها المفسرون منه فی المصادر المعتبره.

۱- (۱) فخر الدین محمد بن عمر الرازی، مفاتیح الغیب ۴:۱۸.

فقد جاء فی صحیح البخاری وغیره ((حدثنا الحمیری حدثنا سفیان حدثنا عمر بن دینار قال أخبرنی سعید بن جبیر قال: قلتُ لابن عباس إنّ نوف البکالی یزعمُ أنّ موسی صاحب الخضر لیس هو موسی صاحب بنی إسرائیل فقال ابن عباس کذب عدو الله حدّثنی أبی بن کعب أنّه سَمِع من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یقول: أنّ موسی قام خطیباً فی بنی إسرائیل فَسُئِل أیّ الناس أعلم؟

فقال أنا: فعتب الله علیه إذ لم یردّ العلم إلیه، فأوحی الله إلیه أنّ لی عبداً بمجمع البحرین هو أعلم منک...))(۱).

وقال الزمخشری ما نصُّه ((وروی أنّه لما ظهر موسی علی مصر مع بنی إسرائیل واستقروا بها بعد هلاک القبط، أمره الله أنَّ یذکر قومه النعمه، فقام فیهم خطیباً فذکر نعمه الله وقال: إنّه اصطفی نبیّکم وکلمه فقالوا له قد علمنا هذا، فأیّ الناس أعلم؟ قال أنا: فَعَتَب الله علیه حین لم یردّ العلم إلی الله، فأوحی إلیه: (بل أعلم منک عبد لی عند مجمع البحرین وهو الخضر)(۲).

أما القرطبی فقد علّق علی الآیه الکریمه (وَ إِذْ قالَ مُوسی لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتّی أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَیْنِ أَوْ أَمْضِیَ حُقُباً) (الکهف/ ۶۰) موعزاً سبب العتاب الموجه من الباری عزّ وجلّ إلی نبیه موسی علیه السلام قائلاً: ((وسبب هذه القصه ما

۱- (۱) ظ: صحیح البخاری: باب حدیث الخضر مع موسی (علیه السلام) ص ۶۰۷، وأنظر کذلک: مجمع البیان فی تفسیر القرآن: الطبرسی ۶:۶۲۱، القاضی أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفی العمادی الخیفی (ت ۹۸۲ ه -) تفسیر أبی السعود أو أرشاد العقل السلیم إلی مزایا الکتاب الکریم ۵:۳۳۲، دار الکتب العلمیه بیروت - لبنان ط ۱۲، ۱۴۱۹ ه -- ۱۹۹۹ م، أبو محمد الحسین بن مسعود الفراء الیعقوبی الشافعی (ت ۵۱۴)، تفسیر الیعقوبی أو معالم التنزیل ۳:۱۷، دار الکتب العلمیه ۱۴۱۴ ه -- ۱۹۹۳ م.

۲- (۲) الکشاف: ۲:۶۸۳.

أخرجه الصحيحان عن أبى بن كعب أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إنّ موسى عليه السلام قام خطيباً فى بنى إسرائيل فَسُئِلَ أىّ الناس أعلم؟ فقال أنا، فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه فأوحى الله إليه: أنّ لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك...))(۱).

وعن ((أحمد بن مُحَمَّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبدى، عن عبد الله بن أبى يعفور قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إنّى أخالط الناس فيكثر عجبى من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانا وفلانا، لهم أمانه و صدق ووفاء، وأقوام يتولونكم، ليس لهم تلك الأمانه ولا الوفاء والصدق؟ قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً فأقبل على كالغضبان، ثم قال: لا دين لمن دان الله بولايه إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولايه إمام عادل من الله، قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء؟! قال: نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء، ثم قال، ألا تسمع لقول الله عزّ وجلّ:(اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ) (البقره/ ۲۵۷) يعنى [من] ظلمات الذنوب إلى نور التوبه والمغفره لولايتهم كل إمام عادل من الله وقال:(وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ) (البقره/ ۲۵۷) إنّما عنى بهذا أنّهم كانوا على نور الإسلام فلما أنَّ تولوا كل إمام جائر ليس من الله عزّ وجلّ خرجوا بولايتهم [إيّاه] من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار من الكفار، ف -(أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ) (البقره/ ۲۵۷))(۲).

۱- (۱) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت ۶۷۱ ه -) الجامع لأحكام القرآن ۵:۲۷۸.

۲- (۲) ظ: ثقه الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى الرازى (ت ۳۲۹ ه -) الكافى

وعنـد التـدبّر فی دلاله الآیه الکریمه الماره الذکر من سوره الکهف فیما یخصّ نبی الله موسـی علیه السـلام والعبد العالم الخضـر علیه السلام باعتماد علی ما ورد من روایات عن أهل البیت علیهم السلام نجد للأمر تحلیلاً آخر.

فعن ((إسـحق بن عمار عن أبی عبـد الله علیه السـلام إنّ مَثل علی بن أبی طالب علیه السـلام ومثلنا من بعده فی هذه الأُمه کمثل موسـی النبیّ والعـالم علیهما السـلام إذ لقیَه واسـتنطقه وسأله الصـحبه فکان من أمرهما ما أقتصه الله لنبیه فی کتابه، إلی أنَّ یقول علیه السلام: ((وکان موسی علیه السلام یظنّ أنّ جمیع الأشیاء التی یحتاج إلیها فی نبوته وجمیع العلم قد کُتب له فی الألواح...)) ثم یقول علیه السلام بعد أسطر: ((ولا والله ما حسد موسی العالم وموسی نبی الله یُوحی إلیه إذ لقیه واستنطقه وعرّفه بالعلم بل أقرّ له لعلمه ولم یحسده...))(۱).

قـد یبـدو هـذا تعارضـاً فی توجیه مغزی الآیه وسـبب نزولها لکنّنا ننطلق من أنّ العتابَ قـد یقع ضـمن إطار الحکمه الموجه لسائر الناس من ذوی الأبصار کی یعلموا علم الیقین أنّ الله یریـد لهم الخیر فلا یشـغلهم إلاّ السـعی لیوم الحساب؛ ولـذا أظهر لهم النبیّ المنزّه موسی علیه السلام وهو فی اختبار إلهی وأصبح تلمیذاً عند

۱- (۱) ظ: أبو النظر محمـد بن مسـعود ابن عبـاس السـلمی السـمر قنـدی المعروف بالعیاشـی (ت ۹۳۲) تفسـیر العیاشی ۲:۳۳۰، الأـعلمی، بیروت - لبنان ط ۱، ۱۴۱۱ ه - ۱۹۹۱ م وینظر المیرزا حسـین النوری الطبرسی، مستدرک الوسائل، ۲۶۵:۱۷، المتوفی سنه ۱۳۲۰ ه تحقیـق مؤسـسه آل الـبیت علیهم السـلام لإحیـاء الـتراث، الطبعه الثـانیه ۱۴۰۹ ه - ۱۹۸۸ م، السـید هـاشم البحرانی الموسوی التوبلی ۳۲۱:۴، تحقیق السید علی عاشور.

من هو ذو علم (فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً) (الكهف / ۶۵) وإلاّ ـ فالأنبياء معصومون منزهّون لا ينطقون عن هوىً بل عن وحىّ يُوحى.

نماذج من آيات (عتاب الله لنبيّه الأكرم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم)

من ذلك ما فى سوره التوبه إذ قال تبارك وتعالى:(عَفَا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكاذِبِينَ) (التوبه / ۴۳).

عند عرض آراء بعض المفسرين وتعليقاتهم على هذا النصّ القرآنى نجد ضروره الإفاده من سياق الآيات القرآنيه فى ضوء الوحده القرآنيه التى تنظم سور القرآن بأسرها من دون إغفال لعصمه الأنبياء وسموّ سلوكهم وعلوّ مكانتهم.

فقد ذهب الشريف المرتضى الموسوى رحمه الله إلى أنّ ذلك السياق: ((فليس يقتضى وقوع معصيه ولا غفران عقاب، ولا يمتنع أنَّ يكون المقصود به التعظيم والملاـطفه فى المخاطبه...))(۱) وأما قوله عزّ وجلّ:(لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳) فظاهره الاستفهام والمراد به التقريع واخراج ذكر عله إذْنَهُ وليس بواجب حمل ذلك على العتاب....))(۲).

ويرى المجلسى أنّ مضمون الآيه الكريمه يدلّ على المبالغه فى تعظيم النَّبى مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وتوقيره وزياده فى التعجيل والتعظيم ويرى أنّ قوله تعالى (لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳) محمول على ترك الأولى وأنَّ إذنه لهم

۱- (۱) أبو القاسم على بن الحسين الموسوى المعروف بالشريف المرتضى (ت ۴۳۶ ه -)، تنزيه الأنبياء، ۱۶۰.

۲- (۲) المصدر نفسه: ۱۶۰.

موافق لأمره تعالى ويكون العتاب متوجهاً إلى المستأذنين الذين علم الله من قبلهم النفاق))(١).

وعن الإمام الرضا عليه السلام فى جواب سؤال المأمون عن عصمه الأنبياء قال عليه السلام: ((هذا مما نزل بإياك أعنى واسمعى يا جاره خاطب الله عزّ وجلّ بذلك نبيّه وأراد به أمته))(٢).

ويعرض ابن كثير هذه الآيه المباركه قائلاً: ((قال ابن أبى حاتم حدّثنا أبى حدّثنا أبو حصين بن سليمان الرازى حدّثنا سفيان بن عُينيه عن مسعر عن عون قال: هل سمعتم بمعاتبه أحسن من هذا؟ نداء بالعفو قبل المعاتبه فقال جلّ ذكرُه:(عَفَا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه / ۴۳) ثم يقول: وقال قتاده: عاتبه كما تسمعون))(٣).

وابن كثير رصد هذه الإضاءه التى أضفت على قراءته تحليلاً رائعاً ذلك أنّ العفو قد تحقق له قبل التساؤل مما يرجّح أنّ هذا التساؤل قد يرشّح إلى معنىً ينأى عن الغلظه والتقريع واللوم بدلاله الاستهلال بالصفح فى قوله عزّ وجلّ:(عَفَا اللّهُ عَنْكَ) (التوبه / ۴۳) وربما على سبيل إبعاد القلق وما يحتمل الاهتمام به.

والفخر الرازى هو الآخر يرى أنّ العتاب هنا من باب التلطف بالمخاطبه

١- (١) بحار الأنوار ۴۵/۱۷-۴۶.

٢- (٢) ظ: الشيخ أبو جعفر الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى، (ت ٣٨١ ه -) عيون اخبار الرضا ١:١٨٠، منشورات الشريف الرضى، قم ط ١، ١٣٧٨ ش. ق، هاشم البحرانى، البرهان فى تيسير القرآن ۴۶۷:۴.

٣- (٣) ظ: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى (ت ٧٧۴ ه -) تفسير ابن كثير ٣٧۴:٢ تحقيق عبد الرزاق المهدى، دار المعرفه بيروت - لبنان ط ١۴١٢ ه -- ١٩٩٢ م.

ويرجح أنّه من باب ترك الأفضل وتارك الأفضل قد يقرّع وقد يوبّخ(١).

أما الشوكانى فيرى أنّ ((الاستفهام فى (عَفَا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳) للإنكار من الله تعالى على رسولِهِ صلى الله عليه وآله وسلم حين وقع منه الإذن لما استأذنه فى القعود قبل أنَّ يتبيّن من هو صادق منهم فى عذره الذى أبداه ومن هو كاذب فيه))(٢).

وفى تفسير القاسمى تنبيهات بصدد هذه الآيه الكريمه، يقول فى التنبيه الأول (اعلم أنّ فى تصديره تعالى خاتمه الخطاب ببشاره العفو من دون ما يوهم العتاب من مراعاه جانبه (عليه الصلاه والسلام)، وتعهد بحسن المفاوضه، ولطف المراجعه ما لا يخفى على أولى الألباب)(٣).

ثم يدفع شبهه من يرى أنّ العفو نتيجه الذنب ويرى (أى القاسمى) أنّ الواجب تفسيره بما يناسب المقام، ثم يستدل على ذلك بقول الشهاب والسخاوند والقاضى عياض إذ يقول: (قال الشهاب: وهو يستهل إذ لا ذنب، كما تقول لمن تُعظّمه: عفا الله عنك ما صنعت فى أمرى، وقال السخاوند مشيراً إلى هذا التعظيم، ولولا تصدير العفو فى الخطاب لما قام بصوله العتاب، وقال القاضى عياض فى (الشفاء) وأما قوله تعالى:(عَفَا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه / ۴۳) فأمر لم يتقدم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فيه من الله نهى فيعدّ معصيه

١- (١) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى فخر الدين الرازى (ت ۶۰۶ ه -)، عصمه الأنبياء ١٠٧ منشورات كتبى النجفى قم المقدسه (د. ت).

٢- (٢) محمد بن على بن محمد الشوكانى فى فتح القدير ٣۶۵:٢.

٣- (٣) ظ: محمد جمال الدين القاسمى (ت ١٣٢٢ ه -) محاسن التأويل ١۴٣:۴ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان، ط ١، ١۴١۵ ه -- ١٩٩۴ م.

ولا عدّه الله عليه معصيه بل لم تعده أهل العلم معاتبه)(۱).

وأمّا البيضاوی (ت ۷۹۱ ه -) فيری أنّ العفو فی الآيه المباركه كنايه عن (خطئهِ)(۲) صلی الله عليه وآله وسلم فی الأذن، فإنّ العفو من روادفه، ثم يری أنّ الله سبحانه وتعالی قد عاتب نبيّه بقوله تعالی:(لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳)(۳).

ويذكر القرطبی أقوالاً متعدده فی تأويل هذه الآيه وتوجيهها كقول المهداوی والنحاس ثم يذكر العتاب الوارد فی الآيه المباركه قائلاً: وهذا عتاب تلطُّف(۴).

وينضمُّ القُشيری إلی المفسرين القائلين إنّ ذلك (من باب ترك الأولی) إذ يری أنّ فی قوله تعالی:(عَفَا اللّهُ عَنْكَ) (التوبه/ ۴۳) لم يكن منه صلی الله عليه وآله وسلم فرق حدّ أو تعاطی محظور وإنما يُنتظر منه إلّا يترك ما هو أولی وهو ترك الأذن لهم لكنّه صلی الله عليه وآله وسلم ترك ما هو أولی وأفضل ليس إلاّ؛ فلذا قدّم الله سبحانه ذكر العفو علی الخطاب المتضمن صوره العتاب بقوله:(لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳)(۵).

وقال الإحسائی: ((وهذا من لطيف المعاتبه، وإن كان العتاب علی فعلٍ جائز مثل المراد فی هذه الآيه، وليس العفو متعلّق إلاّ التلطف فی العتاب، لأنّه يقول له: لو إذنت لهم فی القعود ليتبيّن لك الصادقون من الكاذبين يعنی لعَرفَ مَن

۱- (۱) المصدر نفسه: ۱۴۳:۴.

۲- (۲) الأولی أن يقال: كنايه عمّا بدر منه فی إطلاق الأذن لهم.

۳- (۳) ظ: ناصر الدين أبی سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازی البيضاوی (ت ۶۸۲ ه -) تفسير البيضاوی ۱۴۸:۳، الأعلمی بيروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۱۰ ه -- ۱۹۹۰ م.

۴- (۴) الجامع لأحكام القرآن ۱۳۰:۴.

۵- (۵) أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيری النيسابوری الشافعی (ت ۴۶۵ ه -) تفسير القشيری ۴۲۴:۱ دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان، ط ۱، ۱۲۴۰ ه -- ۲۰۰۰ م.

يقعد عن عذرٍ وعن غير عذر، وهذا إرشادٌ له لأجل استبصاره بهم وليس ذنباً، وإنّما قصاره أنَّ يكون ترك الأولى))(١).

ومن كبار المفسرين المحدثين السيد الطباطبائى رحمه الله يرى أنّ: ((مناسبات هذا المقام إلقاء العتاب على المخاطَب وتوبيخه والإنكار عليه كأنّه هو الذى ستر عليه فضائح أعمالهم وسوء سريرتهم وهو نوع من العنايه الكلاميه يتبيّن به ظهور الأمر ووضوحه لإيراد أزيد من ذلك فهو من أقسام البيان على طريق (إياك أعنى واسمعى يا جاره) فالمراد بالكلام إظهار هذه الدعوى لا الكشف عن تقصير النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم)(٢).

ومن الآيات الأخرى التى يرى المفسرون أنّ فيها عتاباً للنبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى:(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التحريم / ١).

فقد ورد فى سبب نزول هذه الآيه روايات عدّه أشار كلّ منها إلى انّ النبىّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم قد حرّم على نفسه شيئاً عاتبه الله عليه.

لكن الشريف المرتضى رحمه الله لا يرى أنّ هنالك ما يشير إلى عتاب النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ ((ليس فى ظاهر الآيه ما يقتضى عتاباً وكيف يعاتبه الله تعالى على ما ليس بذنب، لأنّ تحريم الرجل بعض نسائه لسبب أو لغير سبب ليس بقبيح ولا داخل فى جمله الذنوب، وأكثر ما فيه أنّه مُباح، ولا يمتنع أنَّ يكون قوله تعالى:(لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ) (التحريم/ ١)

١- (١) الشيخ أحمد بن زيد الدين الإحسائى العصمه، ۴۳، منشورات مكتبه العلامه الحائرى، كربلاء ط ٢، ١٣٩٠ ه -.

٢- (٢) الميزان ٢٨٥:٩.

خرج مخرج التوجّع من إذ يتحمّل المشقه فی إرضاء زوجاته وإن کان ما فعل قبیحاً...)(۱).

ونطالع نصّاً للشیخ الطوسی رحمه الله بصدد الآیه هو قوله: ((هذا خطاب من الله تعالی للنبی صلی الله علیه وآله وسلم علی تحریم ما أباحه الله له وأحلّه له، ولا یدلّ علی أنّه وقعت منه معصیه لأنّ العتاب قد یکون علی أمر قد یکون الأولی خلافه))(۲).

أما الشیخ الطبرسی رحمه الله فهو لا یری فی الآیه دلاله علی وقوع ذنب منه صلی الله علیه وآله وسلم صغیراً کان أو کبیراً(۳).

والفخر الرازی لا یری فی الآیه عتاباً عن ذنب بل هو عتاب تشریف قائلاً: ((وامّا العتاب فإن النهی عن فعل ذلک لاتقاء مرضاه النساء أو لیکون زجراً لهنّ عن مطالبته مثل ذلک))(۴).

والمفسر الصاوی یستدل علی العتاب فی الآیه الکریمه قائلاً: ((هذا الخطاب مشعرٌ بأنَّهُ صلی الله علیه وآله وسلم علی غایه من التفخیم والتعظیم إذ عاتبه علی إتعاب نفسه والتضییق علیها من أجل مرضاه أزواجه))(۵).

۱- (۱) تنزیه الأنبیاء: ۱۶۸.

۲- (۲) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علی الطوسی (ت ۴۶۰ ه -)، التبیان ۴۴:۱۰ تحقیق أحمد حسن قصیر العاملی، مکتب الأعلام الإسلامی، قم ط ۱، ۱۴۰۹ ه -.

۳- (۳) ظ: مجمع البیان ۳۹۹:۱۰، هاشم البحرانی، البرهان فی تفسیر القرآن ۵۶۷:۹.

۴- (۴) عصمه الأنبیاء: ۱۱۱.

۵- (۵) ظ: العلامه الشیخ أحمد بن محمد الصاوی المصری المالکی، حاشیه الصاوی ۲۱۱:۴ تحقیق محمد عبدالسلام، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان ط ۴، ۱۴۲۷ ه -- ۲۰۰۶ م، المولی فتح الله بن شکر الشریف الکاشانی (ت ۹۹۸ ه -)، زبده التفاسیر ۱۰۸:۷ نشر مدرسه المعارف الإسلامیه ط ۱، ۱۴۳۳ ه -، الصابونی، صفوه التفاسیر ۳۸۳:۳-۳۸۴.

ومن مفسری الصوفیه القشیری الذی ذکر قائلاً: ((جاء فی القصه أنّ النبیّ حرّم علی نفسه ماریه القبطیه وفی الحال حلف إلاّ یطأها شهراً مراعاةً لقلب حفصه إذ رأت النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم معها فی یومها، وقیل حرّم علی نفسه شرب العسل لمّا قالت له زوجاته إنّا نَشَمُّ منک ریح المغافیر والمغافیر صمغٌ فی الباذیه کریه الرائحه، ویُقال بقله کریهه الرائحه فعاتبه اللهُ علی ذلک))(۱).

ومن المفسرین المتأخرین الطباطبائی رحمه الله أعرب قائلاً: ((خطاب مشوب بعتاب لتحریمه صلی الله علیه وآله وسلم علی نفسه بعض ما أحلّ الله له، ولم یصرّح تعالی به، ولم یتبیّن أنّه ما هو؟ وماذا کان؟)(۲).

غیر أنّ (تَبْتَغِی مَرْضاتَ أَزْواجِکَ) (التحریم/ ۱) یراها قرین علی أنّ العتاب بالحقیقه متوجّه إلیهُنّ))(۳).

وجاء فی بعض الروایات ما یدعم هذا التوجیه إذ أفادت بعض تلک الروایات أنّ شائعات انتشرت مفادها أنّ الرسول صلی الله علیه وآله وسلم عازم علی طلاق زوجاته، وهو أمرٌ أدی إلی کثره المخاوف فیما بینهنّ وندمن بعدها علی فعلهن(۴).

۱- (۱) ظ: تفسیر القشیری: ۳۳۲:۳ مصدر سابق.وانظر کذلک الفیروز آبادی: تنویر المقباس من تفسیر ابن عباس ۶۰۳، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان ۱۴۲۵ ه -- ۲۰۰۴ م، صحیح البخاری: ۸۹۹ مصدر سابق، أبو زکریا یحیی بن شرف النوری الدمشقی (ت ۶۷۶) صحیح مسلم بشرح النووی ۶۴:۵ کتاب الطلاق تحقیق صدقی العطار، دار الفکر، بیروت - لبنان ۱۴۲۱ ه -- ۲۰۰۰ م، أبی عبد الرحمن أحمد بن شعیب النسائی (ت ۳۰۳ ه -)، سنن النسائی ۵۷۸، البیضاوی ۲۹۲:۴ مصدر سابق.

۲- (۲) المیزان: ۳۲۹:۱۹-۳۳۰.

۳- (۳) المصدر نفسه ۳۳۰.

۴- (۴) سید قطب فی ظلال القرآن ۱۶۳:۸ دار إحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان ط ۷، ۱۳۹۰ ه -

ويتوجه مُحَمَّد جواد مغنيه رحمه الله إلى فهم العتاب فى الآيه فيقول: ((ومهما قيل عن سبب النزول فإنّ ظاهر الآيات يدلّ بوضوح على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان قد إمتنع عن شيء أحلّه الله بسبب من الأسباب وأنه قد أسرّ بذلك إلى بعض أزواجه وأمرها بالكتمان، ولكنها خالفت أو فشت فعاتب الله سبحانه نبيّه الكريم على إشاعه عمّا أحله الله له، وهدّد أزواجه اللائى لا يستمعن إلى أمره))(١).

وغنّى عن البيان أنّ الآيه الكريمه بما حوته من بلاغه وعمق جعلت المفسرين يذهبون مذاهب شتى فى توجيه المعنى على أنّنا نرى أنَّ ظاهر الآيه أفاد عتاباً دقيقاً عبّرت عنه صيغه الاستفهام الصريحه (لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ) (التحريم/ ١) ويبقى المغزى من هذا التوجيه الإلهى الوطيد الصله بأزواج النَّبى سرّاً من أسرار التعبير القرآنى وهدفاً دينياً عميقاً.

ومن الآيات قوله تعالى:(عَبَسَ وَ تَوَلّى * أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى...) (عبس/ ١-٢) التى نجد الشريف المرتضى رحمه الله يوجه معنى الآيه المباركه قائلاً: (أمّا ظاهر الآيه فغير دال على توجيهها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا فيها ما يدلّ على أنّهُ خطاب له، بل هى خبرٌ محضٌ لم يُصرّح بالمخبر عنه، وفيها ما يدلّ على التأمل على أنّ المعنىّ بها غير النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم)(٢).

وثمه اتجاه جمع فى فهم السوره بين العتاب وعدمه ومن أصحاب هذا الاتجاه

١- (١) محمد جواد مغنيه، التفسير الكاشف ٣٦١:٧-٣٦٢ دار العلم للملايين، بيروت - لبنان ط ٣، ١٩٨١ م.

٢- (٢) تنزيه الأنبياء: ١٦٦، مصدر سابق.

الطبرسی رحمه الله الذی یری أنّها نازلةٌ فی النبیّ الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم إذ نقل ما ورد فی سبب نزولها واجتماع صنادید قریش عنده صلی الله علیه وآله وسلم وانشغاله بدعوتهم إلی الإسلام... فجاء ابن أم مکتوم وهو لا یعلم تشاغلَهُ بالقوم فکره رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قطعه لکلامه صلی الله علیه وآله وسلم فعبس وأقبل علی القوم یکلمهم فنزلت الآیه، وینص الطبرسی رحمه الله مؤیداً نوعیه الخطاب بأنّه عتبٌ بحقه صلی الله علیه وآله وسلم عندما یورد قول الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم عندما یزوره ابن أم مکتوم ((أهلاً بمن عاتبنی فیه ربی))(۱).

بید أنّ الطبرسی رحمه الله نفسه فی مؤلف آخر یستبعد إسناد العبوس إلی النبیّ الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم ذلک أنَّهُ صلی الله علیه وآله وسلم مُنزّه من البارئ جلّ وعلا(۲).

ونری أنّ تأمل الطبرسی رحمه الله للآیه ومحاوله استمکان سرّ التعبیر فیها دفعه إلی إعاده قراءتها معتمداً السیاق وما صرّحت به آیات أخری فی تنزیه النَّبی مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم کقوله سبحانه:(وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْیٌ یُوحی...) (النجم/ ۳-۴).

علی أنّ بعض المفسرین من ذهب إلی أنّ الآیه المبارکه نزلت فی عثمان بن

۱- (۱) ظ: الشیخ أبی علی الفضل بن الحسن الطبرسی (ت ۵۴۹) جوامع الجامع ۸۰۶:۴ تحقیق مؤسسه دار النشر الإسلامی قم، ط ۱۲۴۰ ۳ ه -. ظ: ابن عطیه الاندلسی (ت ۵۴۶ ه -)؛ الوجیز فی تفسیر الکتاب العزیز ۴۳۵:۵ تحقیق عبد السلام عبد الشافی محمد، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان ط ۱، ۱۴۱۳ ه -- ۱۹۹۳ م.

۲- (۲) مجمع البیان: ۵۵۷/۱ مصدر سابق.

عفان لأنّه، عبس وأعرض عن الأعمى...(۱).

كما نرى أنّ هذا ليس ببعيد إذ إنّه بشر وغير معصوم مع إمكان صدور الخطأ والذنب منه وقد ضبط أصحاب الحديث والسير ما خالف به إلى أبعد من ذلك فى أثناء خلافته وقبلها.

ومنهم من رأى أنّها فى رجل من بنى أُميّه(۲).

وخلاصه الأمر - ومهما اختلف المفسرون فى سبب نزول الآيه وتوجيه المراد منها -: إنّ الآيه تشير إلى عتاب قد حصل وليمَ عليه فاعله.

ومما يمكن بحثه فى موضوع عتاب الله لنبيه الكريم مُحَمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله سبحانه وتعالى:(وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اللّهُ عَلَیْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِ أَمْسِکْ عَلَیْکَ زَوْجَکَ وَ اتَّقِ اللّهَ وَ تُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اللّهُ مُبْدِیهِ وَ تَخْشَی النّاسَ وَ اللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ...) (الأحزاب / ۳۷).

اختلف المفسرون فى مضمون هذه الآيه المباركه من جهه الخطاب الموجّه إلى النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم أكان يحمل عتاباً أم لا؟

ولنبدأ بتفسير الإماميه فى توجيه المعنى الذى تضمنه النصّ الكريم فالشريف

۱- (۱) ظ: على بن إبراهيم بن هاشم القمى (ت ۳۰۷) تفسير القمى ۴۰۴:۲ مؤسسه دار الكتاب للطباعه والنشر قم ط ۳، البرهان فى تفسير القرآن ۱۸۰:۱۰، المولى محسن الفيض الكاشانى (ت ۱۰۹۱ ه -) تفسير الصافى ۲۸۴:۵، دار المرتضى للنشر، مشهد ط ۱، الشيخ عبد على بن جمعه العروسى الحويزى (ت ۱۱۱۲ ه -) نور الثقلين ۵۰۸:۵، المطبعه العلميه، قم ط ۲، مير سيد على الحائرى الطهرانى، (ت ۱۳۴۰ ه -) مقتنيات الدرر دار الكتب الإسلاميه، طهران ۱۳۳۷ ش. ه -.
۲- (۲) ظ: الطبرسى: مجمع البيان: ۴۳۷/۵، البرهان: ۱۸۱/۱۰، المولى نور الدين محمد بن المرتضى الكاشانى (ت ۱۱۱۵ ه -) المعين ۱۶۳:۳ مكتبه آيه الله المرعشى النجفى، ط ۱، قم.

المرتضی رحمه الله بعد أنَّ یأتی علی تفصیلات القصّه المتعلقه بالآیه المبارکه یقول: ((أکثر ما فی الآیه إذا سلّمنا نهایه الإقتراح فیها أنَّ یکون صلی الله علیه وآله وسلم فَعَلَ ما غیره أولی منه ولیس أنَّ یکون صلی الله علیه وآله وسلم بترک الأولی عاصیاً))(۱).

ویستفید الطبرسی رحمه الله من تأویل روایه الإمام علی بن الحسین علیه السلام بأنّها مطابقه لتلاوه الآیه (علی أنّه إنماً عوتب علی قوله (أَمْسِکْ عَلَیْکَ زَوْجَکَ) (الأحزاب/ ۳۷) مع علمه بأنّها ستکون زوجه..(۲)

ومن متأخری الإمامیه السید الطباطبائی رحمه الله یعلّق علی النصّ الکریم قائلاً: ((فظاهر العتاب الذی یلوح منه قوله تعالی:(وَ تَخْشَی النّاسَ وَ اللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ) (الأحزاب/ ۳۷) مسوق لانتصاره وتأیید أمره قبال طعن الطاعنین ومن فی قلوبهم مرض))(۳) ثم یورد دلیلاً قرآنیاً علی أنّه انتصار وتأیید فی صوره العتاب قوله تعالی:(فَلَمّا قَضی زَیْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناکَها) (الأحزاب/ ۳۷)(۴).

وعدا الإمامیه نجد الزمخشری فی توجیه معنی الآیه المبارکه راداً علی من یری أَنَّهُ لِمَ لم یعاتب الله نبیه مُحَمَّداً صلی الله علیه وآله وسلم علی ذلک ویأمره بقمع الشهوه وکفّ النفس عن التنازع إلی زینب وتتبعها، فهو یری: أنّه کم من شیء یتحفظ منه الإنسان ویستحی من إطلاع الناس علیه وهو فی نفسه مباح وحلال

۱- (۱) ظ: تنزیه الأنبیاء ۱۵۶، الشریف المرتضی علی بن الحسین الموسوی العلوی، أمالی المرتضی ۲:۳۳۱-۳۳۲ تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم، انتشارات ذوی القربی ط ۱، ۱۳۸۴ ه -.

۲- (۲) مجمع البیان ۸:۴۶۶-۴۶۷.

۳- (۳) المیزان فی تفسیر القرآن: ۳۲۳/۱۶.

۴- (۴) المصدر نفسه: ۳۲۳/۱۶.

مطلق ولا مقال فيه ولا عيب عنـد الله، ويرى هـذا المفسرّ أنّ المصـلحه العامه هى الغالبه فى هـذه القصه، فبالأحرى أنَّ يعاتب الله رسوله حين كتم الأمر وبالغ فى كتمه بقوله:(أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) (الأحزاب/ ٣٧)(١).

ونرى فيمـا ذكره الزمخشـرى ملاـحظه صـائبه تسـتحق الوقوف عنـدها ذلـك لأنّها منطلقه من قراءه عميقه للنص القرآنى وإحاطه بأسباب نزول الآيه وفهم ملابسات الحادث وارتباطها بالظروف المحيطه بشخصيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

والبيضاوى يقول: ((ليست المعاتبه على الإخفاء وحدَه فإنّه حَسَن بل على إخفاء مقاله الناس وإظهار ما ينافى إضـماره فإنّ الأولى فى أمثال ذلك أنَّ يصمتَ أو يفوّض الأمر إلى ربه))(٢).

وينحو مُحَمَّد الغزالى - وهو من المتـأخرين - فى توجيه معنى الآـيه، منحىً آخر إذ لاـ يرى أنَّ هنـاك عتاباً ويعجب ممن ذهب إلى أنّ فى الآيه عتاباً إذ يقولُ: إنّهم زعموا أنّ الآيه جاء فيها عتابٌ له على هـذه العاطفه المكبوته ونحن نعجب أشدّ العجب لهذا الخبـط الهائـل ثم أنّه يـذهب إلى نوع من القياس إذ يرى أنّ الله لا يعاتب أحـداً على كتمان حب طائش فكيف والنبى قـد أتعب نفسه وتأذى لأجل ذلك(٣).

ولنأخـذ فى ختـام هـذا المبحث الآـيه السـابعه والسـتين من سـوره الأنفـال لنقع على مـا لعلّه يفهم منه العتـاب مسـتندين إلى آراء المفسرين كلّ بحسب اتجاهه، قال

١- (١) الكشاف: ٥٥١/٣-٥٥٢.

٢- (٢) تفسير البيضاوى: ٣٨٤/٢.

٣- (٣) فقه الشريعه - منشورات عالم المعرفه، ٤٧٤-٤٧٥.

سبحانه وتعالى:(ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكونَ لَهُ أَسْرى حَتّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَ اللّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَ اللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الانفال/ ۶۷).

الاتجاه الأول: يذهب إلى أنّ العتابَ فى الآيه الكريمه متوجه إلى النبيّ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ومن القائلين بهذا التفسير الواحدى إذ يرى أنّ الآيه الكريمه نزلت عتاباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أنكر الله عزّ وجلّ على نبيّه ذلك(۱).

وكذلك يذكر البغوى فى تفسيره لعتاب الله لنبيه فى سوره الأنفال استطراداً فى معرض تفسيره لسوره التوبه إذ يقول: ((قال عمر بن ميمون: اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذنه للمنافقين وأخذه الفديه من أسارى بدر، فعاتبه الله))(۲).

الاتجاه الثانى: يرى أصحابه أنّها نزلت عتاباً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنهم القرطبى الذى يرى أنّها نزلت يوم بدر عتاباً من الله عزّ وجلّ لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(۳).

أما الزمخشرى فيذكر أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بكى حزناً على أصحابه لأخذهم الفداء يوم بدر(۴).

۱- (۱) ظ: أبو الحسن على بن أحمد الواحدى (ت ۴۶۸ ه -) أسباب النزول ۴۴۸:۱ مؤسسه الحلبى، القاهره ۱۳۸۸ ه -- ۱۹۶۸ م.

۲- (۲) أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى (ت ۵۱۴)، معالم التنزيل أو تفسير البغوى ۲۵۱:۲.

۳- (۳) الجامع لأحكام القرآن ۶۱:۴.

۴- (۴) الكشاف: ۲۴۴/۲-۲۲۵ (مصدر سابق ذكره)، وأنظر كذلك: الميزان، الطباطبائى: ۱۳۶/۹.

والاتجاه الثالث: يمثله القائلون أنّ فى الآيه الكريمه شمولاً لعتاب النَّبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ومن أولئك أبو السعود الذى يراها شاملةً لعتابها النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إذ إنّ المفسّر توصّل إلى ذلك بدلاله قوله تعالى: (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا) (الأنفال/ ۶۷) فقال: (استئناف مسبوق للعتاب أى تريدون حطامها يأخذكم الفداء...)(۱).

ويذهب الرازى إلى ترجيح أنّ العتاب هنا لترك الأولى، والأولى فى ذلك الوقت الإثخان وترك الفداء قطعاً للنزاع ولولا أنّ ذلك من باب الأولى لِما فوّض النبىّ ذلك لأصحابه(۲).

ثم يرى أنّ الخطاب فى قوله:(تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا) (الأنفال/ ۶۷) خطاب جمع يصرف ذلك إلى القوم الذين رغبوا فى المال(۳).

بيدَ أنّ مفسراً آخر لا ينتمى إلى الاتجاهات الثلاثه هو الشريف المرتضى رحمه الله ينفى أنَّ يكون من الآيه عتاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لأنّه من القائلين بالعصمه المطلقه فهو يقول فى هذا الصدد: ((ليس فى الآيه ما يدلّ على أنّه صلى الله عليه وآله وسلم عوتِب فى شأن الأسرى بل لو قيل إنّ الظاهر يقتضى توجيه الآيه إلى غيره لكان أولى فلذا يرى أنّ المعاتب سواه))(۴).

ويوجه الطبرسى رحمه الله الخطاب العتابى فى قوله تعالى:(تُرِيدُونَ عَرَضَ

۱- (۱) أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادى الحنفى تفسير أبى السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ۳۵:۴.

۲- (۲) عصمه الأنبياء: ۱۰۶.

۳- (۳) المصدر نفسه: ۱۰۶.

۴- (۴) تنزيه الأنبياء: ۱۵۸ أمالى المرتضى: ۳۳۲/۲.

الدُّنْيا) (الأنفال/ ۶۷) إلى غيره من المؤمنين الذين رغبوا فى أخذ الفداء من الأسرى(۱).

نماذج من عتاب الأنبياء عليهم السلام غير أولى العزم

توطئه

درسنا فى المبحث السابق الآيات الكريمات التى قد يفهم منها عتابُ الله سبحانه وتعالى لأنبيائه من أولى العزم (صلوات الله وسلامه عليهم)، ووقفنا وقفاتٍ متأنيةً عند مناقشه العلماء والمفسرين لدلالات تلك الآيات، وعرض أسباب نزولها مبينين آراءنا فيما رجحنا أنّه الصواب فى توجيه دلالات الخطاب القرآنى الذى يُفاد من كلامه سبحانه وتعالى، وسعه شموله لمعانى العتاب ومرادفاته. ونحن من كلّ ذلك نحكّم قراءتنا للنصّ القرآنى ونستفيد مما كتبه الدارسون القدماء والمحدثون وصولاً إلى البحث عن مغزى تلك الآيات الكريمات ولاسيّما أنّ موضوع عصمه الأنبياء عليهم السلام قد يبدو متعارضاً مع توجيه العتاب واللوم والتقريع لصفوه الخلق وهم الصفوه المختاره المنزّهون عن الخطأ.

ونتّبع فى هذا المطلب من المبحث منهجنا فى معالجه الآيات التى فهم منها أنها فى عتاب الأنبياء عرضاً وتحليلاً ـ ومناقشه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

عتاب النبىّ آدم عليه السلام

الآيه الكريمه: قال سبحانه وتعالى:(... وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَهِ وَ أَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ) (الأعراف / ۲۲).

۱- (۱) مجمع البيان: ۶۹/۴.

للمفسرین فی هذه الآیه أقوال وتوجیهات شتی فمن قائلٍ إنّ فی الآیه عتاباً بیّناً علی ما ارتکبه آدم علیه السلام من مخالفه وعصیان، ومن أبرز أولئک المفسرین الطبرسی رحمه الله الذی قال: ((قالا: أی آدم وحواء علیهما السلام لما عاتبهما الله سبحانه ووبخهما علی ارتکاب النهی عنه))(۱).

والفخر الرازی یری أنّ آدم علیه السلام قد أخطأ فی الاجتهاد لاشتباه الأمر علیه فهو یقول: ((فآدم علیه السلام اشتبه علیه الأمر... إلّا أنّ المجتهد إذا أخطأ فی الفروع لم یکن صاحب کبیره))(۲).

ویذهب الزمخشری إلی تأکید ورود العتاب فی الآیه: ((عتاب من الله تعالی وتوبیخ وتنبیه علی الخطأ إذ لم یتحذرا مما حذرّهما من عداوه إبلیس..))(۳).

ونحن نوافق هؤلاء المفسرین فیما ذهبوا إلیه إذ رأوا أنّ فی خطابه جلّ أمره - عتاباً لنبیه علی ما حصل منه ومن حواء، ومما یعزز هذا التوجیه لدلاله الآیه ما یتضمنه النصّ الکریم من استفهام قویّ علی مخالفه النهی إذ طلب سبحانه من آدم وحواء ترک التقرب من الشجره المحدده (... وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَکُونا مِنَ الظّالِمِینَ) (البقره/ ۳۵).

فأین هذا النهی من مخالفته ومباشره الأکل والتناول من الشجره نفسها؟ ولم یصمد أیّ تأویل أمام مدلول هذا الترکیب القرآنی ولاسیّما أنّ البارئ عزّ وجلّ قد

۱- (۱) مجمع البیان: ۵۰۶:۴.

۲- (۲) عصمه الأنبیاء: ۱۹.

۳- (۳) الکشاف: ۹۹/۲ وقد ذهب مفسرون کُثر هذا المذهب منهم علی سبیل المثال: البیضاوی: تفسیر البیضاوی ۳:۲، تفسیر القمی ۳:۲، أبو السعودتفسیر أبی السعود ۲۲۱:۳، الشوکانی فتح القدیر ۱۹۵:۲، محمد رشید رضا، تفسیر المنار، ۳۵:۸ دار الفکر، بیروت - لبنان ط ۲.

عاقب نبیه وزوجه بهذه العقوبه الکونیه إذ أمرهما بأن یهبطا من الجنه وقد قال عزّ من قائل فی سیاق هذا الحدیث الکونی:(قالَ اهْبِطُوا بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَکُمْ فِی الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلی حِینٍ) (الأعراف/ ۲۴).

یتبیّن من دلاله الآیات أنّ عتاباً وتوبیخاً یهیمن علی معانی الآیات من خلال الحوار الجلیل الذی یسیّر مغزی النص القرآنی وهو حوارٌ قائم علی التعلیل وتکثیف الأدله المفضیه إلی تخطئه مخالفه أمر الله سبحانه وتعالی بالابتعاد عن الشجره المنوّه بها فی کلامه جلّ وعلا.

وثمه جمله من المفسرین القدماء والمحدثین من حاولوا أنَّ ینأوا بالآیه عن معانی العتاب واللوم والتوبیخ ومن أولئک المفسرین الطوسی رحمه الله إذ قال فی مسأله عتاب الله سبحانه وتعالی لنبیه آدم علیه السلام إنّ ((آدم لم یرتکب قبیحاً وإنّ ما توجه إلیه بصوره النهیّ کان المراد به ضرباً من الکراهیه من دون الحصر، وإنّما قلنا ذلک لقیام الدلاله علی عصمتها من سائر القبائح صغائرها وکبائرها فعلی هذا لا یحتاج إلی أنَّ نقول إنّها تأویل فأخطأ علی ما قاله البلخی والرمانی أو وقع منهما سهواً علی ما قاله الجبائی))(۱).

وواضح الوضوح کلّه أنّ الذی دفع الطبرسی رحمه الله إلی هذا التأویل هو أنّه قید نفسه بالقول بالعصمه المطلقه للأنبیاء وتنزیههم من سائر القبائح صغیرها وکبیرها کما ذکر هو متغافلاً عن سیاق الآیات المتممه لهذا الحدث والمشیره إلی ما أفضت إلیه مخالفه آدم علیه السلام وزوجه لما نهی الله عنه من هبوطهما المعنوی والمکنی (إلی الأرض).

ومهما یکن من شیء فإنّ تلک الآیات لابّد ألّا تدرس بمعزل عن سیاق

۱- (۱) التبیان: ۳۷۳/۴.

السور القرآنیه ووحدتها البنائیه وألاّ یعوّل المفسّر علی ظاهر النصّ القرآنی إذ إنّ لکثیر من آیات الله وجوهاً یعزّ تبیّنها علی المفسر والنّقید فکیف بمن لا یتأمل الدلاله العمیقه للنص القرآنی.

عتابُ النبیّ یونس علیه السلام

قال سبحانه وتعالی:(فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِیمٌ) (الصافات / ۱۲۴).

فی بادئ الأمر لابد لنا أنَّ نتبیّن معنی مفرده (یُلم) الوارده فی النصّ الکریم لنقف موازنینس ومعقبین علی ما ذکره مفسرو الآیه بحسب اتجاهاتهم الفکریه ونزعاتهم العقلیه.

فی معجم مقاییس اللغه (المِلیم) الذی یستحق اللوم(۱) ، کما فی لسان العرب: لامه علی کذا یلومه لوماً... فهو ملوم ومِلیم استحق اللوم حکاه سیبویه(۲) ، وکذلک فی تهذیب اللغه للأزهری: ألام الرجل فهو ملیم، إذا أتی ذنباً یلام علیه(۳) ، وکذا فی مجمع البحرین «ملیم» من ألام الرجل أتی بما یلام علیه(۴).

وأمّا الراغب الاصفهانی فقد قال: ألام: استحق اللوم(۵).

وقال تعالی:(فَنَبَذْناهُمْ فِی الْیَمِّ وَ هُوَ مُلِیمٌ) (الذاریات / ۴۰).

۱- (۱) مقاییس اللغه: ماده (لوم).

۲- (۲) لسان العرب: ماده (لوم).

۳- (۳) ظ: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهری (ت ۳۷۰ ه -) تهذیب اللغه ۳۹۹:۱۵، ماده لوم (د. ت).

۴- (۴) الشیخ الطریحی (ت ۱۰۸۵ ه -) مجمع البحرین ماده «لوم تحقیق أحمد الحسینی مکتب نشر الثقافه الإسلامیه ط ۲، ۱۴۰۸ ه -- ۱۳۶۷ ش.

۵- (۵) مفردات الراغب: ماده لوم تنظر الذاریات: ۴۰.

ومفسرو الإماميه ومنهم الطوسی رحمه الله الذی رأی أنّ یونس علیه السلام أتی بما یُلام علیه فقال فی تفسیر الآیه الکریمه ماده الذکر المعنی: (أتی بما یلام علیه وإن وقع مُکفراً عنه من قال بتجویز الصغائر علی الأنبیاء علیهم السلام وعندنا قد یلام علی ترک الذنب)(۱) ، والظاهر منه هنا هو ترک الأولی.

وقال الطبرسی رحمه الله مفسراً هذه الآیه المبارکه (مستحق للوم، لوم العتاب لا لوم العقاب علی خروجه من بنی قومه من غیر أمر ربّه، وعندنا أنّ ذلک إنمّا وقع منه ترکاً للمندوب وقد یلام الإنسان علی ذلک المندوب)(۲).

وذهب المفسران الکبیران الطوسی والطبرسی رحمهما الله إلی أنّ الظلم الذی نسبه یونس علیه السلام لنفسه کان من باب ترک الأولی فهو مستحق للوم من قبل الله عزّ وجلّ)(۳).

وإلی ما یشبه هذا التوجیه ذهب مفسرون آخرون منهم الفیض الکاشانی(۴) العاملی(۵) وعبد الله شبر(۶) والطباطبائی(۷) وأمثالهم وواضحٌ جلی أنّ مفسری الإمامیه یذهبون إلی أنّ ما ورد فی الآیه الکریمه هو الملاطفه فی العتاب بترک الأولی.

أما المفسرون من غیر الإمامیه فقد وقفوا عند هذه الآیه دارسین سبب نزولها

۱- (۱) التبیان: ۵۲۹/۸.

۲- (۲) مجمع البیان: ۵۹۱/۸.

۳- (۳) ظ: التبیان: ۴۷۴:۷.

۴- (۴) تفسیر الصافی: ۲۸۳:۴.

۵- (۵) تفسیر الوجیز: ۸۸:۳.

۶- (۶) السید عبد الله شبر (ت ۱۲۴۲ ه -) تفسیر القرآن الکریم ص ۵۰۰، دار إحیاء التراث العربی، ط ۱، ۱۴۲۸ ه -- ۲۰۰۷ م.

۷- (۷) المیزان ۱۶۳:۱۷.

وناظرين فى المعنى اللغوى لكلمه (مُليم) وارتباطها فى سياق النصّ القرآنى، فالطبرى يرى قوله تعالى:(وَ هُوَ مُلِيمٌ) (الصافات/ ۱۴۲) أى مكتسب اللوم، يقال ألام الرجل إذا أتى بما يُلام عليه من الأمر وإن لم يُلَم كما يقال أصبحت محمقاً معطشاً أى عندك الحمق والعطش ثم يستشهد بعد ذلك بقول لبيد(۱).

مفهماً عذلتَ ولمت غير مليم وهداك قبل اليوم غير حكيم

فأمّا اللوم فهو الذى يلام باللسان ويُعذل بالقول.. ثم بعد هذا يقول: حدّثنى يونس قال: أخبرنا وهب قال: قال أبى زيد فى قوله وهو مليم مذنب، قال والمليم المذنب(۲).

والزمخشرى قال معلقاً على الآيه ((داخل فى الملامه، يقال ربّ لائم مليم، أى يلوم غيره وهو أحق منه باللوم ثم يقول: وقرئ (مليم) بفتح الميم، من ليم فهو مليم(۳).

أمّا القرطبى فيرى أنّه عليه السلام ((أتى بما يلام عليه فأما الملوم فهو الذى يُلام استحق ذلك أو لم يستحق ثم يقول: ((وقيل: المليم المعيب، يُقال: لام الرجل إذا عمل شيئاً مضاراً معيباً بذلك العمل(۴).

والبيضاوى يقول مفسراً الآيه الكريمه: داخل فى الملامه أو آتٍ بما يلام

۱- (۱) ظ: ديوان لبيد بن ربيعه تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ظ تاج العروس، الزبيدى ج ۱۷، ص ۶۶۲.

۲- (۲) ابن جرير الطبرى (ت ۳۱۰ ه -)، جامع البيان عن تأويل القرآن ۱۱۷:۲۳، تحقيق خليل الميس، دار الفكر، بيروت - لبنان ۱۴۱۵ ه -- ۱۹۹۵ م.

۳- (۳) الكشاف ۶۳:۴.

۴- (۴) الجامع لأحكام القرآن: ۸۱:۸.

عليها أو مليم نفسه(۱) والبغوى يرى الرأى نفسه(۲).

ولا حاجه بنا إلى أنَّ نقول أنّ الآيه المباركه حملت لوماً، ولاسيمّا أنّ أغلب المفسرين ذهبوا إلى هذا التوجيه، وأنّ المعنى اللغوى للمفرده (مليم) يشير إلى وقوع اللوم إثرَ ما ارتكبه النبيّ مما يُلام بسببه، كما أنّ لهذه المفرده استعمالات شتى فى لغه العرب نثرهم وشعرهم تدل إلى هذا المعنى، والقرآن نزل بلغه العرب، وعلى أساليبهم من القول فلا ينبغى أنَّ نتأول ما كان واضحاً من دلالته وتسنده أسباب النزول ومقتضى الحال.

عتابُ النبيّ داود عليه السلام

ولعلّ أبرز ما يُثار فى موضوع عتاب الله سبحانه وتعالى لنبيه داود عليه السلام ما ورد فى سوره (ص) إذ قال جلّ ذكره:

(وَ هَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ لا تُشْطِطْ وَ اهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ * إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَ عَزَّنِي فِي الْخِطابِ * قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ وَ قَلِيلٌ ما هُمْ وَ ظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ راكِعاً وَ أَنابَ * فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَ حُسْنَ مَآبٍ) (ص / ۲۱-۲۵).

هذه الآيات ناطقات بالعتاب المنزّل وليس ثمه تأويل يقف حائلاً من دون

۱- (۱) البيضاوى: ۲۷:۵.

۲- (۲) البغوى: ۴۳:۴.

دلالـه هـذا النص على العتـاب الغليظ بـدلاله قوله سبحانه:(... فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ راكِعاً وَ أَنابَ) (ص/ ۲۴) إذ إنّ هـذا النـوع من الاستغفار المشفوع بالركوع والإنابه يأتى فى سياق القصه القرآنيه المتضمنه لما حدث للنبى داود عليه السلام من سلوك يُوجب هـذا الاسـتغفار والنـدم وقـد حصـل هـذا العتـاب الشديـد فى إطـار تنـبيه النَّبى داود عليـه السـلام مـن خلالـ إرسـال الملكين (المتخاصمين) على سبيل التجربه وكشف سريرته عليه السلام ومستوى ردوده على المتخاصمين وهل باستطاعته أنَّ يهديهما إلى سواء الصراط الذى حاد عنه هو؟ فما أروع هذه الصوره من العتاب المعبّر!

ولذا نكتفى بما ورد فى تحليل بعض المفسـرين القداماء وهم يعرضون لنا مضامين هذا الحوار القرآنى من خلال قصه النَّبى داود عليه السـلام مع (المتخاصـمين) فالشـريف المرتضـى رحمه الله يذكر أنّ من ذهب إلى أنّ النَّبى داود عليه السلام قد عاتبه البارئ عزّ وجلّ فلأمور عده أمور منها:

((إنّ أوريـا بن حنّا لمّا أخرجه فى بعض ثغوره قُتل، وكان داود عليه السـلام عالماً بجمال زوجته فمالت نفسه إلى نكاحها بعـده، فقـلّ غمّه بقتله لميـل طبعه إلى نكـاح زوجه، فعوتب على ذلـك بنزول الملكين من إذ حمله ميـل الطبع، على أنَّ قلّ غمّه بمؤمن قُتل من أصحابه(۱) ونرى أنّ الطبرسـى هنا ناقلٌ وليس بمتبنٍ لأنّه يـدرك أنّ الإسـرائيليات احتلت دوراً كبيراً فى إماله الحـديث عن مساره الصحيح.

كما روى أنّ إمرأه خطبها أوريا بن حنّا ليتزوجها وبلغَ داود عليه السلام

۱- (۱) تنزيه الأنبياء: ۱۳۰.

جمالها فخطبها أيضاً فزوجها أهلها بداود وقدّموه على أوريا وغيره، فعوتب عليه السلام على الحرص على الدنيا...(۱).

ويورد المفسر الطبرسی رحمه الله وجوهاً منشؤها الاختلاف ذكر فيها سبب العتاب المتوجه منه سبحانه وتعالى إلى عبده ونبيه داود عليه السلام(۲).

ويرى الزمخشری: أنّ هذه القصّه كانت بالغه التوبيخ بحقّ النبیّ داود عليه السلام(۳).

۱- (۱) المصدر نفسه: ۱۳۱.

۲- (۲) مجمع البيان: ۶۰۷:۸.

۳- (۳) الكشاف: ۱۴:۴.

المبحث الثانی: نماذج من آیات عتاب الله لسائر الناس

عتاب زوجات النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم

لقد ورد العتاب لزوجات النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم فی القرآن الکریم فی أکثر من مورد وموقف وکان الخطاب فی معظم الآیات ذوات المورد عتاباً شدیداً وصل إلی مستوی التقریع والتوبیخ والتمثیل لهن بالکفر لما قمن به من أعمال لا تلیق بهن کونهن زوجات المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم أو لما قمن به من أعمال آذته صلی الله علیه وآله وسلم ومن هنا بدأ اللوّم والعتاب، عندما نزل قوله تعالی:(وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِیُّ إِلی بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِیثاً فَلَمّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللّهُ عَلَیْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَکَ هذا قالَ نَبَّأَنِیَ الْعَلِیمُ الْخَبِیرُ) (التحریم / ۳).

وینقل المفسرون والرواه فی سبب نزول الآیه أنّه حینما أفضی النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم إلی بعض أزواجه - حفصه بنت عمر بن الخطاب - حدیثاً وأوصاها بکتمانه، فلما أخبرت به غیرها وأفشت السّر خلافاً لما وصاها به، وأعلم النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم أنها أنبأت غیرها وأفشت السرّ عرفّ صلی الله علیه وآله وسلم بعضه وأعرض عن بعض آخر، فلما أنبأها الحدیث قالت:

(مَنْ أَنْبَأَکَ) قال صلی الله علیه وآله وسلم: (نبأنی وخبرّنی العلیم الخبیر وهو الله العظیم)(۱).

ویتأکد العتاب لزوجاته صلی الله علیه وآله وسلم عند قوله تعالی:(إِنْ تَتُوبا إِلَی اللّهِ) (التحریم/ ۴) إذ یروی أَنَّهُ صلی الله علیه وآله وسلم قال لحفصه، ألم أقل لک اکتمی علیّ؟

قالت: والذی بعثک بالحق ما ملکت نفسی(۲).

وهنا یقول الزمخشری معلقاً بقوله: قلت لیس الغرض بیان من المذاع إلیه ومن المعرّف، وإنما هو ذکر جنایه حفصه فی وجوب الأنباء به وإفشائه من قبلها، ثم یری أنّ العتاب جلیٌّ عند قوله:(إِنْ تَتُوبا إِلَی اللّهِ) (التحریم/ ۴) إذ أَنَّهُ خطاب لحفصه وعائشه علی طریق الالتفات لیکون أبلغ فی معاتبتهما(۳).

ومما یشیر إلی أنّ المعنی بالعتاب هما زوجتا الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم حفصه وعائشه ما رواه البخاری بسنده عن عبد الله بن أبی ثور عن عبد الله بن عباس إذ قال: لم أزل حریصاً أنَّ أسأل عمر عن المرأتین من أزواج النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم اللتین قال الله لهما (إِنْ تَتُوبا إِلَی اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُما) (التحریم/ ۴) فحججت معه، فعدل، وعدلت معه بالاداوه فتبرّز حتی جاء فسکبت علی یدیه من الإداوه فتوضأ فقلت: یا أمیر المؤمنین مَنِ المرأتان من

۱- (۱) ظ: الطبرسی، مجمع البیان: ۴۰۱:۹، هاشم البحرانی، البرهان ۵۶۷:۹ الطباطبائی، المیزان ۳۳۱:۱۹.

۲- (۲) ظ: ابن سعد، الطبقات الکبری، ۳۳۸:۸، صحیح البخاری ۹۰۰، الطوسی، الأمالی، ۱۵۱، الکلبی، التسهیل لعلوم التنزیل ۱۳۱:۴ السیوطی، الدر المنثور ۲۳۸:۶.

۳- (۳) ظ: الزمخشری، الکشاف ۵۷۰:۴، الرازی، مفاتیح الغیب ۴۰:۳۰.

أزواج النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم اللتان قال لهما:(إِنْ تَتُوبا إِلَی اللّهِ) (التحریم/ ۴) فقال: وأعجباً لک یا ابن عباس: عائشه وحفصه(۱).

واختلف فی سبب نزول هذه الآیه المؤدیّه إلی هذا العتاب الشدید فمن قائل إنّه صلی الله علیه وآله وسلم کان إذا صلّی الغداه یدخل علی أزواجه إمرأه إمرأه وکان قد اهدیت لحفصه بنت عمر بن الخطاب عکّه من عسل، فکانت إذا دخل علیها رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم حبسته وسقته منها وأنّ عائشه أنکرت احتباسه عندها، فقالت لجویّریه حبشیّه عندها، إذا دخل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم علی حفصه فادخلی علیها فانظری ماذا تصنع، فأخبرتها الخبر وشأن العسل، فغارت عائشه وأرسلت إلی صواحبها وأخبرتهن وقالت: إذا دخل علیکن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فقلن إنّا نجد منک ریح المغافیر - وهو صمغ کریه الرائحه - وکان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یکره ویشق علیه أنَّ یوجد منه ریح غیر طیّبه لأنّه یأتیه الملک، قال: فدخل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم علی سوده، فقالت: فما أردت أنَّ أقول ذلک لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ثم إنی فرقت ممن عائشه فقلت: یا رسول الله ما هذا الریح الذی أجد منک أکلت المغافیر؟ فقال صلی الله علیه وآله وسلم: ((لا ولکن حفصه سقتنی عسلاً)) ثم دخل علی أزواجه إمرأه إمرأه وهن یقلن له ذلک فدخل علی عائشه فأخذت بأنفها فقال لها: ما شأنک؟ قالت: أجد منک ریح المغافیر، أکلتها یا رسول الله؟ قال صلی الله علیه وآله وسلم: ((لا بل سقتنی حفصه عسلاً))

۱- (۱) الهیثمی (۸۰۷ ه -) مجمع الزوائد ۸:۵ دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان، ط ۱۴۰۸ ه - ۱۹۸۸ م، العینی (ت ۸۵۵ ه -) عمده القارئ ۲۵۲:۱۹، دار إحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان (د. ت).

فقالت: جرست أذن نحلها العرفط، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا والله لا أطعمه أبداً)) فحرّم على نفسه العسل(۱).

ومن هذه المؤامره المخجله نشأ عتاب الأزواج.

وفى روايه البخارى أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواصت حفصه وعائشه بشأن الرائحه(۲).

وقيل إنّ من مكث عندها وشرب العسل هى ماريه القبطيه فوقعت حفصه على ذلك فأفشته لعائشه(۳).

ولأجل ذلك عوتبت زوجات النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ما يراه الزمخشرى وبعض المفسرين(۴).

ويصرح بعضهم بأن قوله تعالى:(فَلَمّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) (التحريم/ ۳) أى أعلمها وأخبرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض الحديث الذى أفشته معاتباً لها، لأنّ من عاده الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير فى اللوم والعتاب، ثم يرى أنّ الخطاب كان لحفصه وعائشه بطريق الالتفات لهما كان ابلغ فى معاتبتهما(۵).

۱- (۱) ظ: الطبرسى، مجمع البيان ۳۹۸:۱۰.

۲- (۲) ظ: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسن بن على البيهقى (ت ۴۵۸ ه -)، السنن الكبرى ۲۵۴:۱۱ تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت - لبنان (د. ت).

۳- (۳) ظ: الطوسى، التبيان ۴۳:۴، الطبرسى، مجمع البيان ۳۹۹:۱۰، عبدوس بن أحمد السقاف العلوى الأندلسى المعروف بابن درويش، شواهد التنزيل ۱۵۴، المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام، قم، ط ۱، ۱۴۱۶ ه - ۱۹۹۶ م.

۴- (۴) ظ: الزمخشرى، الكشاف ۱۲۷:۴.

۵- (۵) ظ: الميرزا محمد المشهدى بن محمد رمضان بن إسماعيل بن جمال الدين القمىّ (ت ۱۱۲۵ ه -)

ویری الکثیر منهم أنّ العتاب فیها کان علی السیر من خطرات القلب، وعندما یصل إلی قوله (وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَیْهِ) (التحریم/ ۴) یحصر العتاب الوارد هنا فی زوجتی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم حفصه وعائشه ثم یؤکد زیاده العتاب لهن عند قوله تعالی:(عَسی رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَکُنَّ) (التحریم/ ۵)(۱).

وموجب العتاب هو اتفاق هاتین المرأتین علی إیذائه صلی الله علیه وآله وسلم والتظاهر علیه وحق علیها التوبه والرجوع إلی الخالق(۲).

وتبین مما مر أنَّ هناک نوعاً من الاتفاق بین أغلب مفسری المذاهب الإسلامیه علی أنّ العتاب والتوبیخ قد ورد صریحاً تجاه زوجات النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم وخصوصاً تجاه حفصه وعائشه.

۱- (۱) ظ: عبد الرزاق بن همام الصنعانی، تفسیر همام ۳۲۲:۳، محمد بن عمر نووی الجاوی، تفسیر مراح لبید لکشف حصن القرآن المجید، ۵۴۱:۲، تحقیق محمد أمین العتاوی، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۱۷ ه -- ۱۹۹۷ م، علی بن إبراهیم القمی، تفسیر القمی، ۳۶۱:۲، أبو الحسن علی بن محمّد بن حبیب الماوردی البصری (ت ۴۵۰ ه -)، النکت والعیون، ۴۰:۶ تحقیق عبد المقصود عبد الرحیم، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان، ط ۱، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زید الثعالبی المالکی (ت ۸۷۵ ه -) تفسیر الثعالبی ۵۴۱:۵ تحقیق الشیخ علی محمد معوض، دار إحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۱۸ ه -- ۱۹۹۷ م.

۲- (۲) ظ: أبو القسم فرات ابن إبراهیم الکوفی (ت ۳۵۲ ه -)، تفسیر فرات الکوفی ۴۹۱، تحقیق محمد کاظم المحمودی، إیران - طهران، ط ۱، ۱۴۱۰ ه -، الطوسی، التبیان ۴۶:۱۰، مجمع البیان ۴۱۰:۹، زبده التفاسیر ۱۱۰:۷.

نماذج من آيات عتاب المسلمين

الآيه الأولى

كثيره هى الآيات البيّنات التى تضمنت عتاباً شمل المسلمين عامه، ونورد فى هذا المبحث بعضاً منها للوقوف على المعانى التى تندرج فى معنى العتاب وما يرادفه، ومن ذلك قوله جلّ ثناؤه فى سوره البقره مخاطباً المسلمين (أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ) (البقره / ١٠٨).

ومما تُعيننا لباحث على الوقوف على الدلاله العميقه لهذه الآيه المباركه وفهم قصد المسلمين وإرادتهم، هو السياق القرآنى الواضح من الآيه المرتبطه بها بالسياق نفسه والذى يشير إليه قوله سبحانه (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ قَدِيرٌ) (البقره / ١٠٩).

وواضحٌ من قصص القرآن الكريم أنّ موسى عليه السلام قد سُئِل كثيراً من قومه بنى إسرائيل، ولم تكن تلك الأسئله إلّا كفراً وتشكيكاً فى الرساله، فأذاقهم الله ألواناً من العذاب، وأرد الله جلّ وعلا أنْ يذكر المسلمين بما حصل لهؤلاءِ مع أنبيائهم فاستحقوا العذاب، فكان الإخبار فى سياق العتاب والتنبيه والتذكير والله وحده أعلم بذلك.

وقد يكون سبب نزول هذه الآيه المباركه مورداَ مخصوصاً إلا أنّها مع ذلك ممكن أنَّ تشمل مصاديق أخَر إذ يروى الكلينى رحمه الله أنّها نزلت فى عبد الله بن أميه المخزومى ورهط من قريش لمّا سألوا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

وسلم أنَّ يفجّر لهم فی الأرض ینبوعاً لکی یصدوا به ویسلموا فنزلت هذه الآیه (أَمْ تُرِیدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَکُمْ کَما سُئِلَ مُوسی مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ یَتَبَدَّلِ الْکُفْرَ بِالْإِیمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِیلِ)۱ .

فی حین یری بعض المفسرین أنّ الأداه (أم) فی الآیه المبارکه جاءت بمعنی (بل) أی بل تریدون، وهذا توبیخ وتقریع(۱) وقد قال آخرون بذلک معتمدین علی نصّ ورد عن الإمام الرضا علیه السلام إذ قال:(أَمْ تُرِیدُونَ) (البقره/ ۱۰۸) بل تریدون یا کفّار قریش والیهود (أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَکُمْ) (البقره/ ۱۰۸) ما تقترحونه من الآیات التی لا تعلمون فیها صلاحکم أو فسادکم (کَما سُئِلَ مُوسی مِنْ قَبْلُ) (البقره/ ۱۰۸) واقترح علیه لما قیل له (لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتّی نَرَی اللّهَ جَهْرَهً فَأَخَذَتْکُمُ الصّاعِقَهُ) (البقره / ۵۵)(۲).

وقیل: إنّ ((سیاق الآیه یدلّ علی أنّ بعض المسلمین سأل النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم أموراً علی شاکله سؤال الیهود نبیّهم موسی علیه السلام والله سبحانه وتعالی وبخّهم علی ذلک ضمن ما وبخ الیهود بما فعلوا مع موسی والنبیین من بعده(۳).

وصفوه القول فی مناقشه مضمون الآیه أنّ سیاقها یشیر إلی عتابٍ من الله للمسلمین علی عملٍ لم یکن یُستحسن لهم.

۱- (۲) القرطبی: الجامع لأحکام القرآن، ۴۹:۲.

۲- (۳) ظ: البرهان فی تفسیر القرآن: البحرانی، ۵۱۲:۱.

۳- (۴) المیزان: ۲۵۷:۱ (مصدر سابق ذکره).

الآیه الثانیه

ومن مصادیق ذلک أیضاً قوله جلّ ثناؤه: (وَ ما مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللّهَ شَیْئاً وَ سَیَجْزِی اللّهُ الشّاکِرِینَ) (آل عمران / ۱۴۴).

وقد نزلت هذه الآیهُ المبارکه بعد ما حصل للمسلمین یومَ (أُحد) من انکسار إذ وسوس الشیطانُ فی صدور المحاربین أنْ قُتل مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم؛ فنزلت الآیه عتاباً للمسلمین المنهزمین الذین ظنّوا أنّ بموت مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم انتهی کُل شیء، متناسین أنّ قتل النَّبی أو موته أمران لابد أنَّ یحصل أحدهما(۱).

وقیل فی تفسیرها: ((أیّ کیف ترتّدون وتترکون دینه إذا مات أو قُتل مع علمکم أنّ أتباع الرّسل لابدّ أنَّ یتمسکوا بما جاء به رُسل الله سبحانه(۲).

ونری أنّ التعبیر القرآنی جاء موحیاً محیطاً بالفکره ولاسیما فی استعمال لفظه (انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ) (آل عمران / ۱۴۴) وهو کنایه عن الارتداد والنکوث مما استوجب توجیه اللوم والتعنیف بأبلغ ما یکون التعبیر لتسفیه ظنون المنهزمین الذین هیمن علیهم القلق وعصفت بهم الریبه فاستحقوا هذا التأنیب الرادع لهم وإظهار ما هم علیه من ضعف العقیده وزعزعه إیمانهم بدینهم ونبیهم.

فالآیه میّزت بین فئتین فئه المنهزمین المنقلبین الذین لم یزیدهم انقلابهم إلّا

۱- (۱) ظ: القرطبی: الجامع لأحکام القرآن ۲۲۲:۴.

۲- (۲) الشوکانی: فتح القدیر ۳۸۵:۱، وینظر کذلک جامع البیان ۱۴۷:۳، الدرّ المنثور ۳۳۴:۲، کنز الدقائق ۲۳۱:۳.

كفراً (لَنْ يَضُرُّوا اللّهَ شَيْئاً) (آل عمران / ۱۷۶) وبين الفئه الثانيه الصابره المحتسبه الشاكره لنعمه الله الكبرى وهى الهدايه لدينه الذى ارتضاه سبحانه وتعالى وهو الغنىُّ عن العالمين وكلٌّ يفتقرُ إليه.

وغنى عن البيان أنّ مرادفات العتاب كاللوم والتهديد والتقريع واضحه من خلال سياق الآيه والآيات المرتبطه بها بالمعنى نفسه(۱).

الآيه الثالثه

قال سبحانه وتعالى:(وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا وَ اللّهُ يُحِبُّ الصّابِرِينَ) (آل عمران/ ۱۴۶).

لا ريب أنّ هذه الآيه المباركه تؤكد مضمون الآيه التى مرّت مناقشتها وهو أنّ أتباع الرُسلِ والأنبياء قد قاتلوا معهم دونما ضعف أو وهن وهذا ما أراده الله سبحانه من المسلمين أنَّ يكونوا مع النَّبى مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم فى قتاله للمشركين والمرتدين وإلاّ بم يتبعونه؟

إنّ وجود المسلمين صفاً إلى صف مع رسولهم الأكرم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم بصبر وثبات يؤكّد إيمانهم وامتثالهم لأمر الله سبحانه لذا فما وقع فى (أُحد) استوجب اللوم والعتاب منعاً لما قد يقع مثل ذلك.

وتحمل الآيه فى طياتها عتاباً ضمنياً ورد فى صيغه الإخبار عمّا سبق الرسل والأنبياء ليكونوا لهم أسوه حسنه ففى الآيه ((تنبيه للمنهزمين يوم أُحد)) بأنّ لكم

۱- (۱) التفاسير والبحوث كلها المتعلقه بهذه الآيه تؤكد وقوع العتاب من الله سبحانه وتعالى للمسلمين وإن كان سبب نزولها واضحاً ومقترناً بحديث وقعه أُحد.

بالأنبياء المتقدمين وأتباعهم أسوه حسنه فكيف يليق بكم هذا الفرار والانهزام(۱).

وفی نظر بعض المفسرین تعریض بما أصاب المسلمین من إرجاف وهزیمه بقتله صلی الله علیه وآله وسلم(۲).

ونطالع روایهً عن الإمام الباقر علیه السلام إذ قال: ((بیّن الله سبحانه أنَّهُ لو کان قُتل علیه الصلاه والسلام کما أرجفت بذلک یوم (أُحد) لما أوجب ذلک إمّا یضعفوا أو یهنوا کما لم یهن من کان من الأنبیاء بقتلهم والله یحبّ الصابرین فینصرهم فی العاقبه ویعظّم قدرهم))(۳).

وغنی عن البیان أنّ العتاب حاصل من سیاق الآیه المبارکه ولیس هناک ثمه خلاف عن وقوع العتاب منه سبحانه بل الخلاف یقع فی تأویل طبیعه الخطاب الکونی الموجه منه سبحانه إلی المسلمین والتعریض بالمنهزمین الذین آثروا الحیاه الدنیا علی تنفیذ أوامر الله والقتال مع الرسول جنباً إلی جنب.

الآیه الرابعه

قوله تعالی:(إِلّا تَنْفِرُوا یُعَذِّبْکُمْ عَذاباً أَلِیماً وَ یَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَیْرَکُمْ وَ لا تَضُرُّوهُ شَیْئاً وَ اللّهُ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ قَدِیرٌ) (التوبه / ۳۹).

والآیه المبارکه فی معرض الحث علی القتال والتحذیر من التخلف عن نصرته صلی الله علیه وآله وسلم وهناک إشاره عتاب فی صوره تحذیر واضحه (إِلّا تَنْفِرُوا...) ومورد العتاب جاء من الاستفهام الانکاری الدال علی التوبیخ

۱- (۱) مقتنیات الدرر ۱:۲۱۰.

۲- (۲) ظ: الجوهر الثمین، ۱:۳۸۲ وینظر کذلک کنز الدقائق، ۳:۲۴۱، جوامع الجامع ۱:۲۱۰.

۳- (۳) ظ: الصافی، ۱۰:۳۶۰، وینظر کذلک بیان السعاده ۱:۳۰۵.

والعتاب فی قوله تعالی:(أَ رَضِیتُمْ) (التوبه/ ۳۸) فیما یراه عدد من المفسرین(۱).

ویشترک العتاب والتنکیر والتوبیخ فی إراده المسلمین والمنافقین منهم علی وجه الخصوص کما یری صاحب المیزان إذ یقول: (وفی الآیه وما قبلها عتاب شدید للمؤمنین وتهدید عنیف وهی تقبل الانطباق علی غزوه تبوک کما ورد ذلک فی أسباب النزول(۲).

هذا ما علیه مفسرو الأمامیه، أما مفسرو العامه فقد تعاملوا مع الآیه المبارکه بإبراز العتاب فیها بأنّ الداعی لذلک هو طیب الثمار وعذوبه الماء والهواء واشتداد الحر وکثره الظلال والثمار کل هذا کان مدعاه للتثاقل وسبباً للتأخر عن الجهاد مما استحقوا اللوم والعتاب للرضا بالحیاه الدنیا(۳).

ویؤکد ورود العتاب بحقهم ترک البدار عن توجه الأمر إلیهم وانتهاز الرخصه فی ذلک.

وهو أمر دعا القرطبی إلی أنَّ یصرّح بأنّ العتاب کان من أجلی مصادیق هذه الآیه إذ یری أنّها نزلت عتاباً لذلک التخلّف الحاصل منهم فی غزوه تبوک(۴).

ویری ابن کثیر أنّ فیها شروعاً فی عتاب من تخلّف عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی هذه الغزوه للأسباب نفسها التی أشار إلیها السمرقندی آنفاً(۵)

علی أنّ الخازن یری أنّ لغه العتاب واضحه فیمن یری اشتغال الناس لتلک

۱- (۱) ظ: شبّر، الجوهر الثمین ۳:۷۴، الکاشف ۴:۴۴، الکرمی، المنیر، ۴:۸۷.

۲- (۲) الطباطبائی، المیزان ۹:۲۷۸-۲۷۸، الامثل: ۶:۳۷-۳۸.

۳- (۳) ظ: السمرقندی ۲:۵۸.

۴- (۴) ظ: القرطبی ۴:۱۲۰.

۵- (۵) ظ: ابن کثیر ۳:۳۹۰، التبیان ۵:۲۱۸-۲۱۹.

الغزوه مع النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم فعاتبهم الله بقوله:(أَ رَضِیتُمْ بِالْحَیاهِ الدُّنْیا مِنَ الْآخِرَهِ) (التوبه / ۳۸) والمعاتبه قد تکون فی نظره لوجوب الجهاد ولو لم یکن کذلک لما عاتبهم(۱).

ولذا نجد ابن هشام یجعل هذه الآیات من أسباب نزول سوره التوبه(۲) ، المصاحب للندم واللوم والتقریع علی صنیع فعلهم.

وهذا ما یعضده من یری أنَّ الاستفهام للتقریع والتوبیخ علی ترک الجهاد وأنّه عتاب لمن تخلّف عن غزوه تبوک(۳).

الآیه الخامسه

قوله تعالی:(یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا تَناجَیْتُمْ فَلا تَتَناجَوْا بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ مَعْصِیَهِ الرَّسُولِ وَ تَناجَوْا بِالْبِرِّ وَ التَّقْوی وَ اتَّقُوا اللّهَ الَّذِی إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ) (المجادله/ ۹).

حیث نزلت بعتاب جلّی ظاهر تحثّ المسلمین علی التحلیّ بمکارم الأخلاق والتی تمتد علی مساحه کبیره من الآیات تصل إلی قوله تعالی:(أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیْ نَجْواکُمْ صَدَقاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تابَ اللّهُ عَلَیْکُمْ فَأَقِیمُوا الصَّلاهَ وَ آتُوا الزَّکاهَ وَ أَطِیعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ اللّهُ خَبِیرٌ بِما تَعْمَلُونَ) (المجادله / ۱۲).

فقد ذهب المفسرون إلی أنّ هذه الآیات نزلت فی الأغنیاء عندما کانوا یأتون

۱- (۱) ظ: علاء الدین البغدادی الخازن (ت ۷۲۵ ه -) تفسیر الخازن (لباب التأویل) ۲۲۲:۲، دار الفکر، بیروت - لبنان (د. ت).

۲- (۲) ظ: ابن هشام، سیره بن هشام ۱۱۴:۴.

۳- (۳) ظ: الصابونی، صفوه التفاسیر ۴۹۸:۱.

النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم فیطیلون فی مناجاته صلی الله علیه وآله وسلم بحیث یشتغل بهم ویأخذون أغلب وقته صلی الله علیه وآله وسلم مما یؤذی المؤمنین وخاصه المستضعفین منهم، إذ إنه مشعر بامتیاز الأغنیاء عنهم، فأمر سبحانه بالصدقه عند مناجاته، فلما رأوا ذلک، انتهوا عنه، فنزلت آیه الرخصه التی عاتبت الأغنیاء وعموم المؤمنین بعتاب لطیف(۱).

ویستنطق بعضهم العتاب من الآیه المبارکه (أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا) (المجادله/ ۱۳) من جهه خوف الفقر والعیله، إذ یکون الاستفهام هنا للتقریر، أی خفتم الفقر والعیله لأن نقموا ذلک(۲).

إذن کان هناک نوع من العتاب کما یصفه بعض المفسرین أنّه عتاب شدید لصحابه النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم والمؤمنین إذ إنّهم ترکوا مناجاته خوفاً من بذل المال بالصدقه(۳).

ولکن بعضهم الآخر منهم یرجّح أنَّ نوع العتاب هنا کان لطیفاً ورقیقاً(۴).

وفی النتیجه أنَّ لهذه الآیه وقعاً کبیراً فامتنع الأکثرون عن النجوی وتصدّق

۱- (۱) ظ: أبو الحسن علی بن محمد الواسطی الجلالی الشافعی، الشهیر بابن المغازلی (ت ۴۸۳)، مناقب علی بن أبی طالب علیهما السلام ص ۲۵۵، تحقیق کاظم العزاوی، انتشارات سبط النبی صلی الله علیه وآله وسلم، إیران - قم، ط ۱، ۱۴۸۴ ه -. ش ۱۴۲۶ ه -. ق، الطبرسی، مجمع البیان ۳۱۸:۸-۳۱۹، شواهد التنزیل ۲۰۵-۲۰۶، أبو منصور أحمد بن علی بن أبی طالب، الطبرسی (ت ۶۲۰ ه -) الإحتجاج ۱۶۶:۱، انتشارات الشریف الرضی رحمه الله إیران ط ۱، ۱۳۸۰ ه -، الزمخشری، الکشاف ۴۹۳:۴، القرطبی، الجامع ۱۹۳:۹.

۲- (۲) ظ: الشوکانی، فتح القدیر ۱۹۰:۵، تفسیر الطبری ۲۹:۲۸ ابن کثیر ۱۵۴:۶.

۳- (۳) ظ: محاسن التأویل، القاسمی ۵۵:۷، الطباطبائی، المیزان ۱۸۹:۱۹.

۴- (۴) ظ: الصابونی، صفوه التفاسیر ۲۳۳:۳.

من تصدّق(۱) وهو الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام فسأل ووعى وعلم، وانتظم المناخ العقلى بين يدى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فكف الفضول وتحدّدت الأسئله(۲).

الآيه السادسه

قوله تعالى:(أَ لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ وَ ما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَ لا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ) (الحديد/ ۱۶).

كان سبب توجه العتاب بشدته للمسلمين فى هذه الآيه المباركه فى ما نقله الطبرسى وغيره من المفسرين أنها نزلت بالمسلمين إذ يقول ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أنَّ عوتبنا بهذه الآيه إلا أربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً، وقيل: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشره سنه من نزول القرآن بهذه الآيه(۳) وكيف ما كان فإن العتاب قد ورد فى طيات الآيه المباركه.

قال الثعالبى: إن فى الآيه معنى الحض والتقريع، ورأى ابن عباس أنّ المؤمنين عوتبوا بهذه الآيه(۴).

۱- (۱) ظ: المجلسى، بحار الأنوار ۲۸:۱۷.

۲- (۲) ظ: د. محمد حسين الصغير، المستشرقون، والدراسات القرآنيه ص ۲۹، دار المؤرخ العربى، بيروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۲۰ ه -- ۱۹۹۹ م.

۳- (۳) ظ: تفسير أبى حاتم ۳۳۸:۱۰، تفسير عبد الرزاق ۲۸۶:۳، الزمخشرى الكشاف ۴۷۵:۴، القرطبى، الجامع ۱۶۱:۹، الطبرسى، مجمع البيان ۳۰۱:۹، زبده التفاسير ۵۹۹:۶، الشوكانى، فتح القدير ۱۷۴:۵.

۴- (۴) ظ: الثعالبى، الجواهر الحسان: ۲۹۹:۳.

ولا يبتعد الأعمش عن الثعالبى كما يرى مُحَمَّد بن عمر النووى عن ما كان سبباً لعتاب المؤمنين إذ يرى أنّ الصحابه لما قدموا المدينه أصابوا ليناً من العيش ورفاهيه عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا(۱).

فى حين من حدد أنّ العتاب كان سببه ما عرض فى قلوب المؤمنين من القوه وانتفاء خشوعها لذكر الله والحق النازل من عنده تعالى وتشبيه لحالهم بحال أهل الكتاب الذين نزل عليهم الكتاب وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم(۲).

نماذج من آيات عتاب اليهود والنصارى

توطئه

لا يكاد يمر المتدبر فى آيات الذكر الحكيم إلا ويجد مساحه واسعه من العتاب واللوم الشديد والتوبيخ العنيف قد صدر بحق طوائف اليهود والنصارى، إذ زخر القرآن الكريم بكثير من الآيات الذاهبه إلى ذلك.

الآيه الأولى

قال تعالى:(أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) (البقره/ ۴۴).

عاتب الله سبحانه وتعالى نبى إسرائيل على أوجه عده: تاره يكون العتاب شديداً فى لهجته، وأخرى ضعيفاً، وثالثه فيه نوع من التهديد والوعيد، وفى نظره إلى مجمع البيان نرى أنّ الخطاب فى هذه الآيه - كما يرى الطبرسى - أنها موجهه إلى علماء اليهود؛ لأنهم كانوا يأمرون الناس بالإيمان بالنبىّ مُحَمَّد صلى الله عليه

۱- (۱) ظ: مراح لبيد، ۴۹۳:۲.

۲- (۲) ظ: الطباطبائى، الميزان ۱۶۱:۱۹.

وآله وسلم، ويتركون أنفسهم فقال فيرى أنَّ الاستفهام فيها للتوبيخ والمراد بالبرّ هو الإيمان بمُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وبّخهم الله تعالى على ما كانوا يفعلون من أمر الناس بالإيمان بمُحَمَّد وترك أنفسهم عن ذلك(۱).

وكذا نرى الزمخشرى إذ يستشعر بأنّ التوبيخ والعتاب حال ظاهره فى بنى إسرائيل بحيث تكون ((الهمزه)) فى ((أتأمرون)) للتقرير والتوبيخ والتعجبّ من حالهم، ويجد كذلك التوبيخ عظيماً فى قوله تعالى:(أَ فَلا تَعْقِلُونَ) (البقره/ ۴۴) بمعنى أفلا تفطنون لقبيح ما أقدمتهم عليه حتى يصدّكم استقباحه عن ارتكابه(۲).

وقال صاحب الميزان: (أخذ سبحانه فى معاتبه اليهود وذلك فى طى نيف ومئه آيه يذكر فيها نعمه التى أفاضها عليهم وكراماته التى حباهم بها، وما قابلوها من الكفر والعصيان ونقص الميثاق والتمرد والجحود...)(۳).

لذا نرى أنّ الآيات توجّه الخطاب المتضمن للعتاب الشديد والتوبيخ واللوم والتقريع لبنى إسرائيل نتيجه التنوّع فى الأعمال المخالفه والخارجه عن خط السماء وتعاليم ما جاء به الأنبياء عليهم السلام وبالذات ما جاء به موسى لقومه إذ شاهد منهم ألوان الألم والأذى، فتاره توبيخ بنى إسرائيل على ترك إلتزامهم بالميثاق الذى أخذ عليهم الالتزام به قال تعالى:(وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِى إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ) (البقره / ۸۳).

ثم تولوا إلا قليلاً منهم كما يصفهم القرآن بذلك فى الآيه المباركه نفسها قال تعالى:(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) (البقره / ۸۳)، وتاره

۱- (۱) ظ: الطبرسى، مجمع البيان ۱:۱۲۵.

۲- (۲) ظ: الزمخشرى، الكشّاف ۱:۱۶۲، الأمثل ۱:۱۲۹.

۳- (۳) الطباطبائى: الميزان ۱:۱۵۱.

أخرى يوّبخهم الله تعالى ويعاتبهم على تركهم لبعض الأحكام الشرعيه مع الالتزام ببعضها، قال تعالى:(أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)۱ (البقره / ۸۵).

قال القرطبی فی قوله تعالی:(أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ) (البقره/ ۴۴) (وهذا استفهام معناه التوبیخ، والمراد فی قوله: أهل التأویل علماء الیهود)(۱).

قال ابن عباس: کان یهود المدینه یقول الرجل لصهره ولذی قرابته ولمن بینه وبینه رضاع من المسلمین اثبت علی الذی أنت علیه وما یأمرک به هذا الرجل - یریدون مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم - فإن أمره حق، فکانوا یأمرون الناس بذلک ولا یفعلونه، وعن ابن عباس أیضاً کان الأحبار یأمرون مقلدیهم وإتباعهم التوراه، وکانوا یخالفونها فی جحدهم صفه مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم(۲).

وفی المسأله الثانیه یقول القرطبی: ((اعلم وَفقک الله تعالی أنَّ التوبیخ فی الآیه بسبب ترک فعل البر لا بسبب الأمر بالبر، ولهذا ذم الله تعالی فی کتابه قوماً کانوا یأمرون بأعمال البر ولا یعملون بها ووبخهم به توبیخاً یُتلی علی طول الدهر إلی یوم القیامه فقال:(أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ) الآیه (البقره/ ۴۴)))(۳).

ثم استشهد بعد ذلک بقول منصور الفقیه، إذ قال(۴):

إنَّ قوماً یأمرونا بالذی لا یفعلونا

۱- (۲) الجامع لأحکام القرآن ۱:۲۵۴.

۲- (۳) المصدر نفسه ۱:۲۵۴.

۳- (۴) الجامع لأحکام القرآن ۱:۲۵۵.

۴- (۵) تفسیر القرطبی، القرطبی، ج ۱، ص ۳۶۶.

لمجانين وإنْ هم لم يكونوا يُصرعونا

ثم بيّن عظمه التوبيخ والعتاب فى قوله تعالى:(وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ) فيقول ((توبيخ عظيم لمن فَهِمْ))(۱).

ويرى الكشّاف أنّ الآيه فيها عتاب وتوبيخ على أعلى مراتبه؛ لأنَّ فيها تعريضاً بهم، وخصوصاً عند قوله تعالى:(أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ) (البقره / ۴۴).

يقول (الهمزه للتقريع مع التوبيخ والتعجب من حالهم)(۲).

الآيه الثانيه

قال تعالى:(إِذْ قالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِى نَفْسِى وَ لا أَعْلَمُ ما فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاّمُ الْغُيُوبِ) (المائده / ۱۱۶).

فى هذه الآيه المباركه توبيخ وعتاب إلى النصارى؛ إذ إنهم جعلوا المسيح عيسى بن مريم وأمه عليهم السلام إلهين من دون الله، وهذا المعنى هو الظاهر من الآيه المباركه لذ ا ذهب أغلب المفسرين إلى أنّ هذا السؤال سيكون يوم القيامه، وسيكون هناك نوع من التقريع والعتاب واللوم، لأنّ النّبى عيسى عليه السلام سيثبت هذا المعنى بحقهم وسيدلى بشهادته أمام الله عزّ وجلّ بأنّه برىء من هذا

۱- (۱) المصدر نفسه ۲۵۷:۱، ظ: خليل ياسين، أضواء على متشابهات القرآن ۵۲:۱، انتشارات ذوى القربى، إيران - قم، ط ۱، ۱۴۲۸ ه -.

۲- (۲) الزمخشرى: ۱:۱۶۰-۱۶۰.

القول مع اعترافه بوحدانیه الخالق، قال تعالی:(قالَ سُبْحانَکَ ما یَکُونُ لِی أَنْ أَقُولَ ما لَیْسَ لِی بِحَقٍّ إِنْ کُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِی نَفْسِی وَ لا أَعْلَمُ ما فِی نَفْسِکَ إِنَّکَ أَنْتَ عَلاّمُ الْغُیُوبِ) (المائده / ۱۱۶).

ومن هنا نجد الطوسی یری أنّ هذا وإنْ خرج مخرج الاستفهام فهو تقریع وتهدید لمن أدعی ذلک علیه من النصاری(۱).

وما یقارب هذا المعنی من توجیه اللوم والعتاب لمن أدعی ذلک علی النَّبی عیسی بن مریم علیهما السلام إذ کان هذا محط توبیخهم وتأنیبهم وتکذیبهم(۲).

وقال القرطبی (واختلف أهل التأویل فی معنی السؤال ولیس هو استفهام وإن خرج مخرج الاستفهام - علی قولین: - أحدهما: إنّه سأله عن ذلک توبیخاً لمن أدعی علیه ذلک لیکون إنکاره بعد السؤال أبلغ فی التکذیب وأشد فی التوبیخ(۳).

ویفترض میر سید علی الطهرانی أنّ هناک سؤالاً مقدراً (فلو قیل: إنّ الاستفهام کیف یلیق به تعالی علی أنّه تعالی کان عالماً بأن عیسی لم یقل ذلک فکیف بهذا الخطاب؟).

فالجواب: (أنّ هذا الاستفهام توبیخ للقائل، واستفهام لتعیین القائل حتی یجازی)(۴).

وفی بیان السعاده: (الخطاب لعیسی علیه السلام والمقصود تقریع أمته وتبکیتهم والمنظور التعریض بأُمّه مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم....)(۵).

۱- (۱) ظ: الطوسی، التبیان ۶۶:۴، الطبرسی، مجمع البیان ۳۳۵:۳.

۲- (۲) ظ: الشریف المرتضی، تنزیه الأنبیاء ص ۱۴۵، الفخر الرازی، عصمه الأنبیاء ص ۹۲.

۳- (۳) ظ: القرطبی، الجامع لأحکام القرآن ۲۳۶:۳.

۴- (۴) مقتنیات الدرر ۱۲۳:۴.

۵- (۵) السلطان محمد الجنابذی الملقب بسلطان علی شاه (ت ۱۳۲۷ ه -) بیان السعاده فی مقامات

ثانیهما: من یری أنّ محل الآیه فی الحیاه الأخره إذ یقول الله یوم القیامه ((یاعیسی)) وهو استفهام یراد به التقریع لمن ادعّی ذلک علیه من النصاری واستعظام لذلک القول(۱).

ومما یؤید نزول هذه الآیه فی عتاب النصاری وتوبیخهم ما ورد فی عیون أخبار الرضا علیه السلام فی أوجه دلائل الأئمه علیهم السلام والرد علی الغلاه والمفوضه قوله علیه السلام: (قال الإمام علی علیه السلام یهلک فیّ اثنان ولا ذنب لی، محبّ مفرط ومبغض مفرط وأنا أبرأ إلی الله تبارک وتعالی ممن یغلوا فینا ویرفعنا فوق حدّنا کبراءه عیسی بن مریم علیهما السلام من النصاری، قال الله تعالی:(إِذْ قالَ اللّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّی إِلهَیْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ قالَ سُبْحانَکَ ما یَکُونُ لِی أَنْ أَقُولَ ما لَیْسَ لِی بِحَقٍّ إِنْ کُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِی نَفْسِی وَ لا أَعْلَمُ ما فِی نَفْسِکَ إِنَّکَ أَنْتَ عَلاّمُ الْغُیُوبِ)۲ (المائده / ۱۱۶).

ومن هنا نجد الإمام علی علیه السلام یوضح بصریح قوله: إنّ النصاری قد غالوا فی عیسی علیه السلام إذ تبرأ من قولهم وفعلهم الذی استحقوا علیه اللوم والتقریع.

الآیه الثالثه

قال تعالی:(قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ لِمَ تَکْفُرُونَ بِآیاتِ اللّهِ وَ اللّهُ شَهِیدٌ عَلی ما تَعْمَلُونَ * قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً

۱- (۱) ظ: جوامع الجامع ۳۶۳:۱، ظ: کنز الدقائق ۲۶۷:۴، المعین ۳۲۲:۱، الصافی ۱۰۱:۲.

وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ) (آل عمران / ۹۸-۹۹).

ویقول فی جامع البیان:

(وقد ذکر أنّ هاتین الآیتین من قوله:(یا أَهْلَ الْکِتابِ لِمَ تَکْفُرُونَ بِآیاتِ اللّهِ...) (آل عمران/ ۹۸) والآیات بعدهما إلی قوله:(وَ أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ) (البقره / ۱۰۵) نزلت فی رجل من الیهود حاول الإغراء بین الأوس والخزرج بعد الإسلام لیرجعوا إلی ما کانوا علیه فی جاهلیتهم من العداوه والبغضاء، فعنفّه الله بفعله ذلک وقبح له ما فعل ووبّخه علیه، ووعض أیضاً أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ونهاهم عن الافتراق والاختلاف، وأمرهم بالاجتماع والائتلاف)(۱).

وقیل: إنّ قوله (قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ) (آل عمران/ ۹۸) خطاب للیهود والنصاری، والاستفهام فی قوله تعالی:(لِمَ تَکْفُرُونَ) (آل عمران/ ۹۸) للإنکار والتوبیخ، وقوله (وَ اللّهُ شَهِیدٌ عَلی ما تَعْمَلُونَ) (آل عمران/ ۹۸) جمله حالیه مؤکده للتوبیخ والإنکار، وهکذا المجیء بصیغه المبالغه فی ((شهید)) یفید مزید من التشدید والتهویل، والاستفهام فی قوله:(لِمَ تَصُدُّونَ) (آل عمران/ ۹۹) یفید فائده الاستفهام الأول أی: التوبیخ والإنکار)(۲).

ثم أنّه سبحانه وتعالی حاجج أهل الکتاب فوجه الخطاب للنبی صلی الله علیه وآله وسلم یأمره بخطاب الیهود والنصاری وقیل للیهود فقط.

فیکون (الإحتجاج علیهم بالکتاب لإقرارهم به فکأنّه قیل یا من یقر بأنّه

۱- (۱) ظ: الفیض الکاشانی ۱:۳۶۳.

۲- (۲) الشوکانی ۱:۳۶۶.

من أهل كتاب الله لِمَ تفكرون بآيات الله، واللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التوبيخ، وإنما جاز التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث إنّه سؤال يعجز عن إقامه العذر فكأنّه قال هاتوا العذر...)(۱).

وذهب الطباطبائی إلی أنّ الآیه المبارکه (تشتمل علی الإنکار والتوبیخ للیهود فی إلقائهم الشبهات وتفتینهم المؤمنین فی دینهم، وتحذیر المؤمنین أنَّ یطیعوهم فیما یدعون إلیه فیکفروا بالدین...)(۲).

ویری الشیرازی أنّ (المخاطب فی هذه الآیه هم أهل الکتاب ویقصد منهم هنا الیهود، فالله سبحانه یأمر نبیّه فی هذه الآیه یسألهم معاتباً عن علة کفرهم بآیات الله فی حین أنّ الله یعلم أعمالهم..)(۳).

نماذج من آیات عتاب المشرکین

توطئه

ویطالعنا القرآن الکریم بنوع من اللوم والتوبیخ الشدیدین فی أکثر من آیه فی سوره الزخرف.

الآیه الأولی

قوله تعالی: (أَ وَ مَنْ یُنَشَّؤُا فِی الْحِلْیَهِ) (الزخرف / ۱۸) قال السمرقندی فیها: (قرأ حمزه والکسائی وعاصم فی روایه حفص (أَ وَ مَنْ یُنَشَّؤُا) بضم الیاء،

۱- (۱) مجمع البیان ۶۰۹:۲.

۲- (۲) المیزان ۳۶۴:۳.

۳- (۳) الامثل ۳۶۸:۲.

ونصب الشين ومعناه: أفمن يربى فى الحليهِ، لفظه لفظ الاستفهام والمراد به التوبيخ)(۱).

(وكذلك يرى التوبيخ والعتاب ظاهراً فى قوله تعالى:(أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ) (الزخرف/ ۱۹) قال (هذا استفهام فيه نفى: يعنى لم يشهدوا خلقهم على وجه التوبيخ والتقريع)(۲).

وأما الزمخشرى فعندما يصل إلى قوله تعالى:(أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ) يرى أنّ هذا تهكم بهم(۳).

وفى الكشّاف يرى أنّ (الهمزه للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجّب من إعتراضهم وتحكمهم)(۴).

وقال فى مجمع البيان عندما يقف على بيان عتاب وتوبيخ المشركين فى قوله تعالى:(أَمِ اتَّخَذَ مِمّا يَخْلُقُ بَناتٍ) (الزخرف/ ۱۶) (ثم انكر سبحانه عليهم قولهم فقال ((أم)) وهذا استفهام انكار وتوبيخ ومعناه بل)(۵) إلى أنَّ يقول (ثمّ وبخّهم بما افتروه فقال (أَ وَ مَنْ يُنَشَّؤُا فِى الْحِلْيَهِ) (الزخرف/ ۱۸))(۶).

والسيوطى يرى فى قوله تعالى من سوره الزخرف (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ) (الزخرف/ ۸۰) أنَّ الاستفهام هنا توبيخى.

۱- (۱) أبو نصر محمد بن مسعود بن عباس السمر قندى بحر الغرائب ۲۴۱:۳، منشورات الاعلمى، بيروت - لبنان ط ۱، ۱۴۱۱ ه - - ۱۹۹۱ م.

۲- (۲) المصدر نفسه ۲۴۲:۳.

۳- (۳) ظ: الكشاف ۲۴۸:۴.

۴- (۴) الزمخشرى ۲۵۲:۴.

۵- (۵) مجمع البيان ۵۷:۹.

۶- (۶) المصدر نفسه ۵۷:۹.

وفی نهر الماد عند ذکر قوله تعالی: (أَ هُمْ یَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّکَ) (الزخرف/ ۳۲) قال: (فیه توبیخ وتعجّب من جهلهم)(۱).

وأما فی أیسر التفاسیر فإنّ (الاستفهام إنکاری یتضمن التوبیخ لهؤلاء الزاعمین اختیار من شاءوا للإصطفاء والرساله فعلموا أنّه لاحق لهم...)(۲).

الآیه الثانیه

(أَ جَعَلْتُمْ سِقایَهَ الْحاجِّ وَ عِمارَهَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ کَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ) (التوبه / ۱۹) ذهب جمع من المفسرین إلی أنّ هذه الآیه المبارکه من الآیات التی نزلت فی حق أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیهما السلام إذ أبرزت عمق إیمانه وجهاده وفضله علی غیره وجاءت من جانب آخر موبخه ومعاتبه للمشرکین إذ إنّ هناک من فاضل أو ماثل بین الإمام علی بن أبی طالب علیهما السلام وبین غیره من المشرکین فجاءت موبّخه لهم ومقرّعه لأفعالهم فما کان من الإنصاف المساواه بین السقایه والعماره وبین الجهاد والإیمان.

وما ورد فی سبب نزول الآیه أنّ الآیات نزلت فی العباس وطلحه بن شیبه والإمام علی علیه السلام حین تفاخروا فذکر العباس سقایه الحاج، وشیبه عماره المسجد الحرام، وعلی الإیمان والجهاد، فی سبیل الله(۳).

والطبری یری أنّ هذا توبیخاً من الله لقومٍ افتخروا بالسقایه وسدانه البیت

۱- (۱) ابن حیان الأندلسی ۹۱۳:۲.

۲- (۲) الجزائری ۶۳۸:۴.

۳- (۳) ظ: مجمع البیان ۴۱۰:۴، ابن کثیر ۳۶۳:۳ المراجعات، ۹۰، ابن المغازلی (ت ۴۸۳ ه -) مناقب علی بن أبی طالب علیهما السلام، انتشارات سبط النّبی صلی الله علیه وآله وسلم، إیران - قم، ط ۱، ۱۴۲۶ ه -، الطباطبائی، المیزان ۳۰۵:۹.

الحرام، أعلمهم أنَّ الفخر فی الإیمان بالله والیوم الآخر والجهاد من سبیله(۱).

وفی صفوه التفاسیر (الخطاب للمشرکین، والاستفهام للإنکار والتوبیخ والمعنی؛ أجعلتم یا معشر المشرکین سقایه الحجیج وسدانه البیت، کإیمان من آمن بالله وجاهد فی سبیله؟ وهو رد علی العباس حین قال: لئن کنتم سبقتمونا بالإسلام والهجره، فلقد کنا نعمر المسجد الحرام، ونسقی الحاج، فنزلت)(۲).

ویقول صاحب أیسر التفاسیر فی خطاب الآیه: إنّه جاء التوبیخ وبیان الحال إذ یقول فی معنی الآیات (ما زال السیاق فی الرد علی من رأی تفضیل عماره المسجد الحرام بالسقایه والحجاجه والسدانه علی الإیمان والهجره والجهاد فقال تعالی موبخاً لهم (أَ جَعَلْتُمْ سِقایَهَ الْحاجِّ وَ عِمارَهَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ کَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِی سَبِیلِ اللّهِ لا یَسْتَوُونَ) (التوبه: ۱۹) فی حکم الله وقضائه بحال من الأحوال، والمشرکون ظالمون کیف یکون لعمارتهم للمسجد الحرام وزن أو قیمه تذکر (وَ اللّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظّالِمِینَ) (التوبه: ۱۹) بعد هذا التوبیخ والبیان للحال أخبر تعالی أنّ (الَّذِینَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا)۳ (التوبه: ۲۰).

الآیه الثالثه

قوله تعالی:(وَ یَوْمَ یُنادِیهِمْ فَیَقُولُ أَیْنَ شُرَکائِیَ الَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) (القصص/ ۷۴).

۱- (۱) جامع البیان ۹۴:۱۰ عن صفوه التفاسیر ۴۸۸:۱.

۲- (۲) الصابونی ۴۸۸:۱.

وهذه الآیه کذلک من الآیات التی وردت بلسان العتاب للمشرکین بأشدّ صوره، بحیث یری الطوسی رحمه الله أنّ النداء قد کرّر ب -(أَیْنَ شُرَکائِیَ الَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) (القصص/ ۶۲)؛ لأنّ النداء الأول للتقریر بالإقرار علی الیقین بالغیّ الذی کانوا علیه ودعوا إلیه، والثانی للتعجیز عن إقامه البرهان لما طولبوا به بحضره الإشهاد مع تقریع حاصل بالاشتراک بعد تقریع(۱).

ویری الطبری فی تفسیره أنّ هذا نداءً علی سبیل التقریع والتوبیخ لمن عبد مع الله إلهاً آخر، یناديهم الرب تبارک وتعالی علی رؤوس الأشهاد فیقول:(أَیْنَ شُرَکائِیَ الَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ)۲ .

والبعض یری أنّ هذا السؤال ونظائره هو سؤال تبکیت وتأنیب وتوبیخ وهو نوع من العذاب النفسی الذی هو أشد من العذاب الجسمی(۲).

فی حین یری البقاعی أنَّ الآیات جاءت بلسان الغضب والافتراء والتوبیخ(۳).

الآیه الرابعه

قوله تعالی: (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِیها إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَیَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَ فَلا تَذَکَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِیمِ * سَیَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَیْ ءٍ وَ هُوَ یُجِیرُ وَ لا یُجارُ عَلَیْهِ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَیَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ فَأَنّی تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَیْناهُمْ بِالْحَقِّ

۱- (۱) ظ: الطوسی، التبیان ۸:۱۷۳.

۲- (۳) ظ: الجزائری، أیسر التفاسیر ۴:۹۶.

۳- (۴) ظ: نظم الدرر ۵:۵۱۵.

وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) (المؤمنون / ۸۴-۹۰).

ویستنتج الطباطبائی رحمه الله فی میزانه العتاب والتوبیخ للمشرکین من خلال تفسیر الآیات المبارکات، فیقول فی بیان الآیه المبارکه (قُلْ أَ فَلا تَذَکَّرُونَ) (المؤمنون / ۸۵) أمرٌ بعد تسجیل الجواب أنَّ یوبخهم علی الابتعاد عن تذکر الحّجه الداله علی إمکان البعث وعند الوقوف علی قوله تعالی:(سَیَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ) (المؤمنون/ ۸۷) فیذکر المعنی فیقول (والمعنی: سیجیبونک بأنّها لله قل لهم تبکیتاً وتوبیخاً...)(۱).

فی حین یقول الشیرازی: (وهذه عبارات تنبیه شدیده للکفّار وإنکار لما هم علیه من باطل بشکل متدرّج ومرحله بعد أخری، وهو أسلوب متعارف ینسجم مع الأسالیب المعروفه فی التعلیم والتربیه المنطقیه...)(۲).

وکذلک الحال عند بعض المفسرین إذ یرون أنّ فیها عتاباً وتوبیخاً واستهجاناً لهم وتأنیباً شدیداً(۳).

الآیه الخامسه

قوله تعالی: (أَصْطَفَی الْبَناتِ عَلَی الْبَنِینَ) (الصافات / ۱۵۳).

موضوع هذه الآیه المبارکه یرتبط بمشرکی مکه إذ إنهم یبرزون لوناً آخر من ألوان الشرک الذی ینم عن سطحیه أفکارهم وبساطتها إذ إنهم فی هذه الآیه المبارکه یذهبون إلی قیاس معرفه الخالق من خلال أنفسهم أی تصوروا أنّ الخالق کالبشر له

۱- (۱) المیزان: ۱۵:۵۶-۵۹.

۲- (۲) الأمثل ۱۰:۳۱۰.

۳- (۳) ظ: المراغی ۱۸:۴۸-۴۹، أیسر التفاسیر ۳:۵۳۱.

أولاد مثلما لهم تاره، وأخرى أنّ له زوجاً وربما كانت من الجنّ، وهذه الأوهام الخرافيه دعتهم إلى الاعتقاد أنّ لله بنات وهم الملائكه وغيرها من الأوهام، فجاء القرآن الكريم راداً عليهم (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَهَ إِناثاً وَ هُمْ شاهِدُونَ) (الصافات/ ۱۵۰).

فلذا جاء هنا الاستفهام الإنكارى لهم مع ما يحمل من التوبيخ لهم. ففى الكشاف ذكر أنّ الهمزه فى قوله تعالى (أَصْطَفَى الْبَناتِ) (الصافات/ ۱۵۳) فلذا يرى الطبرسى رحمه الله أنّ الهمزه على وجه التقريع لهم بذلك والتوبيخ(۱).

وقيل (إنّها استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد)(۲).

وعلل أنَّهُ ولما كان المراد تبكيتهم بكونهم جعلوا الأخس لله.... عدل التعبير بالإناث وعبّر بما ينص على المراد فقال: ((البنات))(۳).

وقيل أنَّ فى الآيه (استفهام إنكارى... ثم وبّخهم فقال:(ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)۴ (الصافات/ ۱۵۴).

وفى قوله تعالى:(((فَاسْتَفْتِهِمْ) (الصافات/ ۱۱) فاسأل يا رسول الله مُحَمَّد أهل مكه، هو سؤال توبيخ))(۴).

وفى الجامع لأحكام القرآن أنَّ قوله تعالى (اصطفى) (على معنى التقريع والتوبيخ - وأما قوله تعالى:(ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (الصافات/ ۱۵۴) - فالكلام جار على التوبيخ...)(۵).

۱- (۱) ظ: مجمع البيان ۵۹۲:۸، ظ: القاسمى، محاسن التأويل ۷۸:۶.

۲- (۲) الزمخشرى، الكشاف ۶۴:۴.

۳- (۳) نظم الدرر ۳۴۶:۶.

۴- (۵) معالم التنزيل ۸۵۲:۴.

۵- (۶) القرطبى ۸۸:۸.

المبحث الثالث: نماذج من آيات عتاب الله لغير البشر من مخلوقاته

المطلب الأول: نماذج من آيات عتاب الملائكه

لعل من ابرز مصاديق هذا النوع من ما ورد فی قضیه نبی الله آدم علیه السلام فی سوره البقره إذ ذکر القرآن الکریم ما جری قبیل هبوط آدم علیه السلام وإخراجه من الجنه کما فی قوله تعالی:(وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ قالَ إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ) (البقره / ۳۰) فتمضی الآیات بنا قدماً لتصل إلی بیان أسباب هذا التفضیل للنبی علیه السلام علی سائر الملائکه وتعلیمه ما لم یعلموا إذ ظهر ذلک جلیاً حینما اختبروا بمعرفه الأسماء التی عرضها الله تعالی لهم حتی أنّ الملائکه قالوا:(قالُوا سُبْحانَکَ لا عِلْمَ لَنا إِلاّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّکَ أَنْتَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ) (البقره / ۳۲).

ومن هنا بدأ عتابهم وتوبیخهم کما یراه بعض المفسرین وخصوصاً عند قول الملائکه کما یورده القرآن الکریم (قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ قالَ إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ) (البقره / ۳۰).

ورد البارئ تعالی لهم الذی کان نقطه انطلاق العتاب واللوم علیهم إذ قال

تعالى:(إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ) (البقره/ ۳۰).

ولذا ينقل الطبری (ت ۳۱۰ ه -) روايه عن ابن عباس يَعْرض فيها ضعف الملائكه وعجزهم ولوم الله سبحانه لهم لأمر قد غابت مصلحته عنهم لتقصير علمهم وأحاطتهم به فيقول (وهذه الروايه عن ابن عباس تنبأ عن أنّ قول الله عزّ وجلّ (وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ قالَ إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ) (البقره / ۳۰) خطاب من الله تعالى جلّ ثناؤه لخاص من الملائكه من دون الجمع والذين قيل لهم ذلك من الملائكه كانوا قبيله إبليس خاصه، الذين قاتلوا معه جن الأرض قبل خلق آدم عليه السلام وإنّ الله إنما خصهم بقيل ذلك، احتجاجاً منه لهم وابتلاءً ليعرفهم تقصير علمهم وفضل كثير ممن هو أضعف خلقاً منهم، ممن خلفّه عليهم وأنّ كرامته لا تنال بقوى الأبدان ولا بشده الأجسام كما ظنه إبليس عدو الله عزّ وجلّ)(۱).

والآيه الكريمه تحوى استفهاماً ما يحمل بين طياته عتاباً يكشف عن انتفاء ميلهم إلى السجود لآدم عليه السلام.

ولذا يرى الطبری أنّ (هذه كانت هفوه منهم ورجماً بالغيب وأنّ الله جلّ ثناؤه اطلعهم على مكروه ما نطقوا به من ذلك ووقفهم عليه حتى تابوا وأنابوا إليه مما قالوا ونطقوا بهم من رجم الغيب بالظنون وتبرؤا إليه أنَّ يعلموا الغيب وغيره)(۲).

ولذا يرى بعض المفسرين أنَّ هذا عجباً من أنَّ يخلف لعماره الأرض

۱- (۱) ظ: جامع البيان عن تأويل القرآن ۲۹۲:۱.

۲- (۲) ظ: المصدر نفسه ۲۹۲:۱.

وإصلاحها من يفسد فيها أو يخلف مكان أهل الطاعه أهل المعصيه، وكشف عما خفى عليهم من الحكمه التى بهرت بتلك المفاسد والفتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبههم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج فى صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن فى بنى آدم على وجه الغيبه)(۱).

ولهذا نلاحظ أنّ ميزان استحقاق الملائكه للوم والعتاب أو من دونه مبنىّ على (أنّ مع إخبار الله للملائكه بأمر الإفساد فى الأرض فلا وجه لتوبيخهم ولومهم وأما مع ظنهم بإدراك أنَّ بنى آدم يفسدون فى الأرض فإنّ التوبيخ حينئذٍ واقع بهم على ما ظنوا)(۲).

ويبدو لنا أنّ هذا واقع حالهم لأنّهم مأمورون بالاعتراف والإذعان وترك الاعتراض والاستفسار عن عله أمرٍ صادر لهم.

والذى يبدو من الفخر الرازى أنّ الملائكه وقعوا فيما من شأنه أنَّ يجلب لهم لوم البارئ وعتابه، إذ يرى أنّ خطاب الملائكه أما كان معصيه أو ترك أولى فيصل إلى أنّه على التقديرين أنّ المقصود حاصل(۳).

ومنهم من يعلق كلما جرى على أنّه إشاره إلى تحدى يواجه الملائكه واختبار صعب يلاحظ فى نهايته عجزهم عن اجتيازه والخوض فيه والذى يترتب عليه نهايه الأمر لومهم وعتابهم(۴).

ولكن الذى يبدو أنّ قول الملائكه:(سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا) (البقره/ ۳۲)

۱- (۱) ظ: الزمخشرى، الكشاف ۱۵۴:۱، القرطبى، الجامع ۸۲:۱.

۲- (۲) ظ: الطبرى، جامع البيان ۲۹۵:۱.

۳- (۳) ظ: مفاتيح الغيب ۱۵۷:۲.

۴- (۴) ظ: الشوكانى، فتح القدير ۶۴:۱.

یوحی بأنّه کان استفساراً لا اعتراضاً (أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ) (البقره/ ۳۰) وهم استحقوا اللوم والعتاب کما یری المراغی(۱).

ومع أدب الملائکه مع الله سبحانه یری بعض المفسرین أنّ من باب الحق والإنصاف أنّ الصادر منهم أشبه بالتوبه ولکن لا عن ذنب مخل بالعصمه بل ناشئ من ترک أولی(۲).

وربما کان عجز الملائکه عن إدراک غایه الخلاف فی الأرض هو مدعاه البارئ لعتابهمْ ولاسیما أنَّ إجابتهم (سُبْحانَکَ لا عِلْمَ لَنا) (البقره/ ۳۲) دلت علی نوع من الاعتذار والإقرار والعجز.

هذا ما یراه أتباع هذه المدرسه فی نطاق هذا المقطع من هذه الآیه المبارکه.

وأما مفسرو الإمامیه فقد اختلفوا قلیلاً عن غیرهم فی سعه قبول فکره المعاتبه والتوبیخ من الله للملائکه إذ إنهم قالوا (أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ

۱- (۱) ظ: أحمد مصطفی المراغی ۱:۸۴.

۲- (۲) ظ: أبو الفضل شهاب الدین السید محمود الآلوسی البغداد (ت ۱۲۷۰ ه -) روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی ۱:۲۲۶-۲۲۷، منشورات دار إحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان، ط ۴، ۱۴۰۵ ه -- ۱۹۸۵ م.

فِيها وَ يَسْفِكَ الدِّماءَ) (البقره/ ۳۰) على الرغم من إظهار ندم الملائكه على ما قالوا، ومن ذلك ما نراه عند العياشى إذ يروى بسند عن أبى عبد الله عليه السلام يقول: كنت مع أبى فى الحجر فيما هو قائم يصلى وأتاه رجل فجلس إليه فلما انصرف سلم عليه ثم قال: إنى أسألك عن ثلاث أشياء لا يعلمها إلا أنت ورجل آخر، قال ما هى؟ قال: اخبرنى أى شىء كان سبب الطواف بهذا البيت؟ فقال: إنّ الله تعالى لما أمر الملائكه أنْ تسجد لآدم عليه السلام فقالوا:(أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ) (البقره/ ۳۰) قال الله عزّ وجلّ:(إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ) (البقره/ ۳۰) فغضب عليهم ثم سألوا التوبه فأمرهم أنَّ يطوفوا بالضراح وهو البيت المعمور ومكثوا يطوفون سبع سنين، ويستغفرون الله تعالى مما قالوا، ثم جعل الله البيت الحرام حذو الضراح توبه لمن أذنب من بنى آدم وطهوراً لهم، فقال: صدقت(۱).

وعندما نأتى إلى الشيخ الطوسى رحمه الله نجده يرى قوله تعالى:(أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ) (البقره/ ۳۰) قول من قال: إنّ الملائكه إنما قالت على وجه التعجب من هذا التدبير لا إنكاراً له ولكن على وجه التألم والتوجع والاغتمام والاستعلام لوجه التدبر فيها(۲).

وعندما يصل الطبرسى رحمه الله إلى عرض قوله تعالى:(إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ) (البقره / ۳۰) ويعرض بعض الاشكالات حول ذلك ثم يجيب عليها، يروى بعد ذلك ما قالت الملائكه مما استوجب جلب اللوم والعتاب لهم، وهذا ما يفهم من نص الروايه عن أبى عبد الله عليه السلام من (أنّ الملائكه سألت الله أنَّ يجعل الخليفه منهم وقالوا نحن نقدسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا، فقال أبو عبد الله عليه السلام فلما أجيبوا بما ذكر الله فى القرآن علموا أنّهم قد تجاوزوا ما ليس لهم، فلاذوا بالعرش استغفاراً، فأمر الله آدم عليه السلام بعد هبوطه أنَّ يبنى لهم فى

۱- (۱) ظ: أبو نصر محمد بن مسعود بن عباس السمر قندى، بحر الغرائب ۴۸:۱، عبد على بن جمعه العروسى الحويزى، نور الثقلين ۵۱:۱.

۲- (۲) ظ: ابو جعفر الطوسى ۱۳۳:۱، محمد رضا القمى، كنز الدقائق ۳۲۳:۱، عبد الأعلى السبزوارى، مواهب الرحمن ۱۵۲:۱، منشورات أهل البيت ط ۲، بيروت - لبنان ۱۴۰۹ ه -- ۱۹۸۸ م.

الأرض بيتاً يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكه المقربون، فقال تعالى: إنّى أعرف بالمصلحه منكم وهو معنى قوله تعالى:(إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ)۱ (البقره / ۳۰) وفی مجمع البیان ینقل وجوه عده فی تحلیل الآیه المبارکه منها أنّ الملائکه إنما قالت ذلک علی سبیل الاستفهام وعلی وجه الاستخبار والاستعلام عن وجه المصلحه والحکمه علی وجه الإنکار ولا علی سبیل الإخبار فکأنّهم قالوا، یا الله إن کان هذا کما ظننا فعرفنا ما وجه الحکمه فیه(۱).

فکأنما طلب منهم أنَّ یقفوا لیدافعوا ویبرروا عما صرحوا به وهو نتاج لوم توجه لهم وهذا اللوم هو الذی طرأ علیهم لاستعظامهم أنفسهم واستصغارهم آدم علیه السلام وتفاخرهم علیه مما أدّی ذلک إلی سجودهم له لیعلموا أنّ البارئ مستغنً عن طاعتهم(۲).

المطلب الثانی: نماذج من آیات عتاب الجن

الآیه الأولی

قال تعالی فی معرض الحدیث عن سجود الملائکه لآدم علیه السلام وامتناع إبلیس: (قالَ یا إِبْلِیسُ ما مَنَعَکَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِیَدَیَّ أَسْتَکْبَرْتَ أَمْ کُنْتَ مِنَ الْعالِینَ) (ص / ۷۵).

وهنا جاء العتاب فی استفهام إنکار ظاهر یؤیده السیاق اللاحق فی الآیه وهو

۱- (۲) ظ: الطبرسی ۱:۹۳.

۲- (۳) ظ: محمد بن إبراهیم الشیرازی، صدر المتألهین (ت ۱۰۵۰ ه -) تفسیر القرآن الکریم ۳:۳۹۰-۳۹۱، دار التعارف بیروت - لبنان، ط ۲، ۱۴۱۹ ه -- ۱۹۹۸ م.

الجواب على لسان إبليس (قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ) (الأعراف / ۱۲) وهذا الجواب - كما نرى - ينبئ عن قياس فاسدٍ أتى به إبليس ممّا أدّى إلى لومه وتوبيخه بل وتكفيره ((فلما أتى إبليس بقياسه الفاسد دلّ ذلك على أنَّهُ إنما ذكر ذلك القياس ليتوسل به إلى القدح فی أمر الله وتكليفه وذلك يوجب الكفر))(۱).

ويرى البغوی أنّ التوبيخ واللوم إنما جاء لتكبره وامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام فيقول فی تفسيره لقوله تعالى (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ) (ص/ ۷۵) أی من المتكبرين استفهام توبيخ وإنكار يقول استكبرت بنفسك حتى أبيت السجود أم كنت من اللذين يتكبرون عن السجود لكونك منهم(۲).

ويرى بعض المفسرين أنّ التوبيخ جاء نتيجه الاستفهام فی الآيه الكريمه(۳).

ونحن نرى أنّ سياق الآيه المباركه تجاوز العرض والعتاب والتحضيض إلى اللوم والتعنيف (ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَیَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ) (ص / ۷۵) ثم يأتی جواب الاستفهام بالاستفهام فيه همزه تسويه المتلوه بأم المعادله وكلا الطرفين (الاستكبار، العلو) يوجب اللوم والتقريع وصد

۱- (۱) الفخر الرازی، مفاتيح الغيب ۳۰۲:۲۶ وقال بهذه الفكره مفسرون كثيرون منهم: نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوری القمی (ت ۷۲۸ ه -) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ۶۰۸:۵ دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان ط ۱۴۱۶ ه -- ۱۹۹۶ م.

۲- (۲) أبو محمد الحسينی بن مسعود الفراء الشافعی (ت ۵۱۴ ه -) معالم التنزيل ۶۱۵:۴، دار الكتب العلميه بيروت - لبنان.

۳- (۳) أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبی (ت ۷۴۱ ه -) التسهيل لعلوم التنزيل ۲۱۳:۲، تحقيق محمد هاشم سالم دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان، ط ۱۴۱۵ ه -- ۱۹۹۵ م.

النفس الاستكبارى الذى طغى على روح إبليس فبانت نيته وظهر معدنه إذ بلس من طاعه الله سبحانه وتعالى.

ونجـد أنَّ القاسم المشترك بين المفسـرين هو تأكيـدهم على وقوع اللوم والتقريع على إبليس بكونه عاصـياً لما أمر به البارئ عزّ وجلّ والجـدير بالـذكر أنّ النتيجه التى انتهى إليها إبليس لعصـيانه وتكبره هى خروجه من طاعه الله مـذموماً مدحوراً وهذا يؤكد ويوجب تقريعه ولومه له لعنه الله(۱).

الآيه الثانيه

قال تعالى (يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هـذا قالُوا شَـهِدْنا عَلى أَنْفُسِنا وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ) (الأنعام / ۱۳۰) إنّ محل الشاهد فى هذا النص الكريم هو الخطاب الإلهى لمعشر الجن فى خضم الخطاب الشامل للجن والإنس والأشرار منهم خاصه والآيه حملت تأنيباً بيناً وتوبيخاً ظاهراً ليس على وجه الحقيقه لأنّ الله يعلم وهم لا يعلمون أنّه سبحانه قد أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين(۲).

ويرى بعض المفسـرين أنّ النـداء فى الآـيه المبـاركه يتضـمن توبيخاً للكفار من الجن والإنس يوم القيامه ويبيّن أنّه لا يكون إلى الجحود سبيل يشهدون على أنفسهم بأنّهم كانوا كافرين لذا يقول سبحانه وتعالى للثقلين الجن والإنس يوم

۱- (۱) ظ: الزمخشرى، الكشاف ۱۰۹:۴، الصابونى، صفوه التفاسير ۶۰:۳، شهاب الدين، روح المعانى ۸۸:۸ وغيرها.

۲- (۲) ظ: محمد جواد مغنيه، تفسير الكاشف ۳۶۵:۳.

القیامه (أَ لَمْ یَأْتِکَمْ) (الزمر/ ۷۱) فی الدنیا (رُسُلٌ) مکلفین من الله (مِنْکَمْ) من جنسکم(۱).

کما یجد بعض المفسرین أنّ النداء فی الآیه المبارکه نداء واستفهام توبیخی منه سبحانه وتعالی یعاتب فیه الإنس والجن، بأنّه قد أرسل علیهم رسلاً منهم وأنبیاء یبینون لهم حرام الله وحلاله(۲).

الآیه الثالثه

قوله سبحانه وتعالی (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ) (الرحمن: ۱۳).

وقد تکرر قوله تعالی فی هذه السوره إحدی وثلاثین مره مما یشیر إلی قوه توکید المضمون الذی حملته الآیه المبارکه، وهو العتاب القوی الشامل الموجه لمعشر الإنس والجان بل إنّ ماده ألفاظ الآیه (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ) یؤکد الاستفهام فیها بهذا التکرار المعبر علی التقریع والتوبیخ الموجه للثقلین: الإنس والجن، أی فبأی نعمه من هذه النعم الظاهره والباطنه التی أسبغها الله علیکم تکذبان؟

ویری بعض المفسرین أنّ الوجه لتکرار هذه الآیه من هذه السوره فإنما هو التقریر بالنعم المعدوده وتأکید التذکیر بها فکلما ذکر سبحانه نعمه من نعمه تحمد وبخ علی التکذیب بها(۳).

۱- (۱) ظ: میر سید علی الحائری الطهرانی (ت ۱۳۴۰ ه -) مقتنیات الدرر ۲۶۴:۴ دار الکتب الإسلامیه، طهران ۱۳۷۳ ش.

۲- (۲) ظ: التفسیر الجدید، ۹۱:۳، صفوه التفاسیر ۲۷۷:۱، الجوهر الثمین ۱۵۷:۶، تقریب القرآن ۲۵:۸.

۳- (۳) ظ: الطوسی ۳۵۳:۹، القرطبی، الجامع لأحکام القرآن ۱۰۶:۹.

الفصل الثالث: عصمه الأنبياء عليهم السلام وإمكانيه العتاب مع استلزامه المخالفه

اشاره

المبحث الأول: القول بالعصمه المطلقه للأنبياء وأدلتهم

المبحث الثانى: القول بالعصمه الجزئيه للأنبياء عليهم السلام وأدلتهم

ص:١٢٣

توطئه

اشاره

یقع الحدیث عن العصمه فی إطار مسائل النبوه، وهی مجموعه القضایا التی یشترک فیها الأنبیاء علیهم السلام وتقف مسأله العصمه فی الصف الأول من مسائل النبوّه العامه من إذ أهمیتها لما لها من آثار مهمه وثمرات أساس فی عقیده الإنسان المسلم إزاء وظیفه النبوه وأثر وظیفتها فی حیاه المجتمع البشری ونظامه، فثبوت العصمه لإنسان ما یعنی ثبوت مجموعه من الآثار واللوازم کأن تکون أفعاله وأقوالهُ حجه علی الآخرین، أو إمکان اتخاذه قدوه وأسوه لهم فی کل شیء وغیر ذلک من الثمرات المتفرعه عن مسأله العصمه.

ونجد القرآن الکریم یقرّر ثبوت العصمه المطلقه للأنبیاء علیهم السلام من خلال آیات عدیده سنقف عندها فی مقام آخر من هذه الدراسه وفی غیر مورد، ولابد لنا قبل ذلک من الوقوف علی الدلالات اللغویه والاصطلاحیه للعصمه قبل الإلمام فی إطارها الموضوعی فی ضوء المنظور القرآنی.

ص:۱۲۵

العصمه فی اللغه والاصطلاح

العصمه لغه

حینما یتعّرض اللغویون لبیان حقیقه العصمه فإنّهم یؤکدون فی حقیقتها أصل الامتناع الذی نجده یتکرر فی صیغها واستخداماتها المختلفه.

قال ابن فارس (ت ۳۹۵ ه -): (عصم أصل واحد صحیح یدل علی إمساک ومنع وملازمه، والمعنی فی ذلک کله واحد، من ذلک [العصمه] أنَّ یعصم الله عبده من سوء یقع به، واعتصم العبد بالله تعالی إذا تمنّع)(۱).

وعرّفها الراغب (أبو القاسم الحسین بن أحمد) (ت ۵۶۵ ه -): (العصم الإمساک، والاستعصام الاستمساک)(۲). وجاءت العصمه فی کلام العرب بمعنی المنع(۳).

ولذا قال (ابن منظور أبو الفضل جلال الدین) (ت ۷۱۱ ه -): (والعاصم المانع الحامی)(۴).

وعلی هذا فالأصل اللغوی فی العصمهِ هو المنع والحفظ والوقایه من الوقوع فی ما فیه مناف لتحقق الغرض.

العصمه اصطلاحاً

اشاره

للمذاهب الإسلامیه فی المعنی الاصطلاحی للعصمه أقوال مختلفه وآراء متباینه وکل یعرّفها علی وفق متبنیاتهِ واعتقاده وسنقف هنا باختصار عند تلک الآراء.

۱- (۱) مقاییس اللغه، ماده (عصم) ۴:۴۳۲.

۲- (۲) مفردات ألفاظ القرآن الکریم، ماده (عصم) ۵۶۸.

۳- (۳) مختار الصحاح، ماده (عصم) ۴۳۷.

۴- (۴) لسان العرب (ماده عصم) ۱۲:۴۰۳.

(أولاً) الإماميه

ذهب الشيخ المفيدرحمه الله (ت ۴۱۳ ه -) إلى القول إنّها (لطف يفعله الله تعالى بالمكلف، بحيث تمنع وقوع المعصيه، وترك الطاعه، مع قدرته عليها)(۱).

وكذا هى لطف من الله يترتب عليه الوثوق بقول المعصوم عليه السلام ولذا اعتبرها العلامه ابن المطهّر الحلّى رحمه الله (ت ۷۲۶ ه -): (لطف خفى يفعل الله تعالى بالمكلف إذ لا يكون له داع إلى ترك الطاعه وارتكاب المعصيه مع قدرته على ذلك، لأنّه لولا ذلك لم يحصل الوثوق بقوله فانتفت الفائده من البعثه وهو محال)(۲).

وفى الصراط المستقيم أكدّ الشيخ زين الدين العاملى على اتصافهم عليهم السلام بالعصمه عن كل نقيصه من أول عمرهم(۳).

ومن هنا قالوا: (وليس معنى العصمه أنَّ الله يجبره على ترك المعصيه بل يفعل به ألطافاً، يترك معها المعصيه، باختياره مع قدرته عليها(۴).

ويضيف السيد الشهيد مُحَمَّد باقر الصدر أبعاد أُخَر مهمه على معنى

۱- (۱) النكت الاعتقاديه ۳۷:۱۰ مصنفات الشيخ المفيد، المؤتمر العالمى (د. ت).

۲- (۲) الفاضل المقداد، شرح الباب الحادى عشر: ۶۳، تحقيق محسن الصدر الرضوانى مطبعه سلمان الفارسى ط ۱، ۱۴۱۲ ه -- ۱۳۷۰.

۳- (۳) ظ: العلامه الشيخ زين الدين أبو محمّد على بن يونس العاملى النباطى (ت ۸۷۷ ه -)، الصراط المستقيم ۵۰:۱، تحقيق محمد الباقر العبودى، المكتبه المركزيه لإحياء الآثار الجعفريه ط ۱، ۱۳۸۴ ه -. ش.

۴- (۴) السيد عبد الله شبر (ت ۱۲۴۲ ه -)، حق اليقين ۹۰:۱ مطبعه العرفان، صيدا، ۱۳۵۲ ه -.

العصمه من خلال ارتباطها بالرساله فی إطارها الشمولی فیقول: (العصمه تعبیر عن الانفعال الکامل بالرساله والتجسید الکامل لکل معطیات تلک الرساله فی النطاقات الروحیه والفکریه والعملیه)(۱).

وهذه التعریفات والدلالات التی اعتمدها متکلمو الإمامیه نجد أنّها اشتقت من الأصول والآثار الوارده عن أهل البیت علیهم السلام(۲).

ومن ذلک ما رواه الشیخ الصدوق رحمه الله بإسناده إلی الإمام موسی بن جعفر علیهما السلام عن أبیه عن جده عن علی بن الحسین علیهما السلام قال: الإمام منا لا یکون إلّا معصوماً.. فقیل یا ابن رسول الله فما معنی المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا یفترقان إلی یوم القیامه: والإمام یهدی إلی القرآن، والقرآن یهدی إلی الإمام، وذلک قول الله عزّ وجلّ:(إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ یَهْدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ) (الإسراء / ۹).

وکذلک بإسناده إلی هشام بن الحکم قال:

سألت أبا عبد الله علیه السلام عن ذلک (أی معنی الإمام لا یکون إلّا معصوماً) فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جمیع محارم الله، وقد قال الله تعالی:(وَ مَنْ یَعْتَصِمْ بِاللّهِ فَقَدْ هُدِیَ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ) (آل عمران / ۱۰۱)(۳).

۱- (۱) محمد باقر الصدر، تنوع أدوار ووحده هدف ۴۷.

۲- (۲) ظ: الصدوق أبو جعفر محمد بن علی بن الحسن بن بابویه القمّی (ت ۳۸۱ ه -) معانی الأخبار ۱۳۲، تحقیق علی أکبر غفاری، انتشارات إسلامی ۱۳۶۱ ه -.

۳- (۳) المصدر نفسه ۱۳۲.

(ثانياً) المعتزله

يرى بعض المعتزله أنّ العصمه راجعه إلى اللطف فيكون المعنى، عصمهُ حين يمنع معه وقوع فعل المعصيه على وجه الحكم وهذا النوع من اللفظ خاص بالأنبياء عليهم السلام يقول القاضى عبد الجبار المعتزلى (ت ۴۱۵ ه -) (والأسامى تختلف عليه فربما يسمى توفيقاً وربما يسمى عصمه إلى غير ذلك)(۱).

لذلك فهو يُعرّف العصمه فيقول: إنّها (تعبير عن لطف يقع معه الملطوف فهى لا محاله حتى يكون المرء معه كالمدفوع إلى أنَّ لا يرتكب الكبائر ولهذا لا يطلق إلا على الأنبياء أو من يجرى مجراهم)(۲).

ولما كانت البعثه لطفاً للمكلفين فيما يراه المعتزله فيجب أنَّ تحصل فى أتم صوره من صور الكمال، وهذا يقتضى أنَّ تتحقق فى المبعوث صفات معينه كالنزاهه عن جميع المنفرات سواء الصغير منها أو الكبير.

ولذا يقرر المعتزله أنّه لابد له تعالى من (ان يجنّب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما ينفر عن القبول منه لأنّه لو لم يجتبّه عن مثل هذه الحال لم يقع القبول منه، ولأنّ المكلّف لا يكون أقرب إلى ذلك إلّا على ما قلناه، فيجب أنَّ يجنبهم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن الغلظه والفضاضه وذكر علته قال تعالى:(وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)۳ (آل عمران / ۵۹).

۱- (۱) القاضى عبد الجبار بن أحمد الهمذانى (ت ۴۱۵ ه -)، شرح الأصول الخمسه: ۵۱۹ تحقيق د. عبد الكريم عثمان، مكتبه وهبه، القاهره ط ۱، ۱۹۶۵ م.

۲- (۲) المصدر نفسه: ۷۸۰، ظ القاضى عبد الجبار بن أحمد الهمذانى، المغنى ۱۲:۱۳ تحقيق د. محمود محمد قاسم.

(ثالثاً) الأشاعره

وأما الأشاعره فيرى العلامه ابن المطهر الحلّى أنّهم يجوّزون على الأنبياء الصغائر والكبائر إلا الكفر والكذب(۱).

فلذا تكون العصمه ثابته عندهم بعد البعثه من دون قبلها ومن الذنوب كلها ما عدا السهو والخطأ، وجائز عليهم الذنب قبل البعثه.

يقول البغدادى: فقد سها نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فى صلاته حين سلّم فى الركعتين ثم بنى عليها وسجد سجدتى السهو، فقال النظام:(۲) إن ذنوبهم على السهو والخطأ مأخوذه لما وقع منهم من هذه الجهه وإن كان ذلك موضوعاً عن أممهم وإنما يصح عصمتهم على أصولنا إذا قلنا إنّ الله أقدرهم على الطاعه من دون المعاصى وصاروا بذلك معصومين عن المعاصى(۳) فقد كان الأنبياء جميعاً قبل بعثتهم مؤمنين بالله موحدين، أما بالأدله العقليه أو على شريعه من قبلهم ولقد كان الرسول قبل بعثته متابعاً مله إبراهيم عليه السلام(۴).

۱- (۱) ظ: جمال الدين الحسن بن يوسف بن على المطهّر العلامه الحلى (ت ۷۲۶ ه -) كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد ص ۳۷۶، تعليق إبراهيم الموسوى الزنجانى منشورات مؤسسه الأعلمى، بيروت - لبنان، ط ۱، ۱۳۹۹ ه -- ۱۹۷۲ م، مفلح بن الحسن بن راشد ابن صلاح البحرانى، من أعلام القرن التاسع، إلزام النواصب ص ۱۱۹ تحقيق، عبد الرضا النجفى ط ۱۴۲۰ ه - .

۲- (۲) ظ: الخياط المعتزلى، أبو الحسن عبد الرحيم، الانتصار ص ۹۳، تحقيق د. نيبرج، دار الكتب المصريه، القاهره، ط ۱۹۲۵ م.

۳- (۳) ظ: البغدادى، عبد القاهر بن طاهر، أصول الدين ص ۱۶۹ مدرسه الإلهيات دار الفنون التركيه، استنبول ط ۱، ۱۹۸۲ م.

۴- (۴) ظ: أحمد صبحى، فى علم الكلام، دراسه فلسفيه لآراء الفرق الإسلاميه ص ۵۵۱ مؤسسه الثقافه الجامعيه الاسكندريه ۱۹۸۷ م.

وعند التأمل قد نجد المذهب عند محققى الأشاعره منع الكبائر والصغائر الخسيسه بعد البعثه مطلقاً، والصغائر غير الخسيسه عمداً لا سهواً(١) ، مثبت أنّ العصمه عند الأشاعره صدور المعصيه كبيره أو صغيره عمداً أى أنّ صدورها سهواً لا ينافى العصمه(٢).

ويذهب البغدادى إلى أنّ الأنبياء جميعهم معصومون من الذنوب كلها بعد البعثه لا قبلها، وأما السهو والخطأ فجائز عليهم(٣).

وعليه فيرى أحمد صبحى أنّ المعتزله أشد نزاهه من الأشاعره فى الموقف تجاه عصمه الأنبياء ويستغرب من انتقاد البغدادى لهم مع أنّهم لم يثبتوا للنبى أى ذنبٍ على سبيل الخطأ فى التأويل، فينكر عليهم القول: إنّ الله قد حصنهم من الذنوب(٤).

١- (١) ظ: الشريف على بن محمد الجرجانى (ت ٨١٦ ه -)، شرح المواقف ٢٦٥:٨ مطبعه السعاده مصر ط ١، ١٣٢٥ ه - ١٩٧٠ م.

٢- (٢) ظ: أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذى (ت ٣٨٠ ه -) التعرّف لمذهب التصّوف تحقيق أحمد شمس الدين طه، دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان ط ١، ١٤١٣ ه -- ١٩٩٣، محيى الدين محمد بن عمر الخطيب الرازى (ت ٦٦٠ ه -)، معالم أصول الدين، تحقيق طه عبد الرزاق، دار الكتب العربيه، بيروت - لبنان ط ١٤٠٤ ه -- ١٩٨٤ م.

٣- (٣) ظ: البغدادى عبد القاهر، أصول الدين ص ١٦٥.

٤- (٤) أحمد صبحى، فى علم الكلام ص ٥٥١.

المطلب الأول: الأدله النقليه على القول بالعصمه المطلقه

أولاً: الأدله القرآنيه

اشاره

قبل محاوله عرض نماذج من الأدله القرآنيه الدامغه للعصمه المطلقه للأنبياء عليهم السلام لابد من بيان أمر، فقد يدّعى أنّ العصمه والبحث فيها ليست من الأفكار التى عرضها القرآن الكريم، بل هى مسأله ترجع فى جذورها إلى الاختلافات التى نشبت بين علماء الكلام فى المسائل الاعتقاديه، وفى ضوء هذه الدعوه نستطيع أنَّ نقرر أنَّ الأمر ليس كما ذُكر، إذ يكفى فى ردها القول إنّ القرآن الكريم قد صرّح بمسأله العصمه ونص عليها فى غير مورد، وهنا ما نحن بصدد بيانه بعرض نماذج من الآيات الداعمه لذلك.

الآيه الأولى

قال تعالى:(وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ) (الأعراف / ۱۸۱).

الآيه المباركه واضحه الدلاله على الملازمه بين الحق وبين الهادى إليه وهى (تدل على أنّه لا يخلو زمان ألبته عمن يقوم بالحق، ويعمل به ويهدى إليه، وأنّهم لا يجتمعون فى شىء من الأزمنه على الباطل...)(۱).

۱- (۱) الفخر الرازى، مفاتيح الغيب، ۱۵:۶۰,

ومن كان بهذه الصفات لابد أنَّ يكون معصوماً مخلصاً كی يكون أهلاً للإقتداء.

ولـذا نجـد القرطبی يوافق الرازی فی دلاله الآيه علی الهادی للحق فقال: (دلت الآيه علی أنّ الله عزّ وجلّ لا يخلی الدنيا فی وقت من الأوقات من داعٍ يدعو إلی الحق..)(۱).

ونسـتطيع أنَّ نسـتنتج من هـذا بأنّ هـذه الأمه هی آخر الأُمم وأَنّه لابـد أنَّ يبقی منها من يقوم بأوامر الله مع قيام الدنيا وأنّه الهادی والداعی إلی الحق.

وقـال السـيد الطباطبـائی رحمه الله: إنّها (تـدل علی أنّ النوع الإنسانی يتضـمن طائفه قليله أو كثيره مهتـديه حقيقيه، إذ الكلام فی الاهتداء والضـلال الحقيقيين المسـتندين إلی صنع الله ومن يهدی الله فهو المهتدی، ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون، والاهتداء الحقيقی لا يكون إلاّ عن هدايه حقيقيه، وهی التی لله سبحانه)(۲).

ثم يقول: (إنّ الهدايه الحقيقيه الإلهيه لا تختلف عن مقتضاها بوجه وتوجب العصمه من الضلال)(۳).

فالـذی يهـدی بالحق وبه يعـدل لابد أنَّ يكون معصوماً فی الأزمنه جميعها ولا يمكن بناءً علی هذا أنَّ يظهر المصداق لهذهِ الآيه المباركه إلاّ علی ما نقول فی وجود الأنبياء والأئمه عليهم السلام.

۱- (۱) الجامع لأحكام القرآن ۲۵۵:۴.

۲- (۲) الميزان ۳۴۵:۸.

۳- (۳) المصدر نفسه ۳۴۵:۸.

الآيه الثانيه

قوله تعالى:(إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ) (آل عمران / ۳۳).

يستطيع المتتبع لألفاظ الآيه المباركه وخصوصاً عند الوقوف على مفرده (اصطفى) أنَّ يستنتج من خلالها عصمه الأنبياء ونفى عنهم كل لون من ألوان العتب واللوم - كما هو واضح عند أغلب مفسرى المذاهب الإسلاميه بعد الانطلاق من المعنى اللغوى لذلك.

وجاء كل هذا موافقاً لما ذهب إليه الشيخ الطوسى رحمه الله مُحَمَّد بن الحسن (ت ۴۶۰ ه -) من فهم الآيه المباركه ودلالتها على الاصطفاء لهم عليهم السلام)(۱).

وهذا ما وجدناه عند الشيخ الطبرسى رحمه الله، إذ قال: (الاصطفاء والاجتباء والاختيار نظائر، وهو افتعال من الصفوه وهذا من أحسن البيان الذى يمثل به المعلوم المرئى، وذلك أنّ الصافى هو النقى من شوائب الأدناس)(۲).

ثم ينتقل إلى تحديد المعنى المراد من الآيه انطلاقاً من هذه الدلاله اللغويه فيقول (ويجب أنَّ يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرّين معصومين منزهين عن القبائح لأنّه تعالى لا يختار ولا يصطفى إلاّ من كان كذلك ويكون ظاهره مثل باطنه فى الطهاره والعصمه فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن كان معصوماً من آل إبراهيم وآل عمران سواء كان نبياً أو إماماً)(۳).

۱- (۱) ظ: التبيان ۴۴۱:۲.

۲- (۲) مجمع البيان ۴۵۴:۲.

۳- (۳) المصدر نفسه ۵۵۵:۲.

وما يقارب هذا المعنى من دلاله الآيه على العصمه المطلقه لهم عليهم السلام ما ذكره فى جوامع الجامع(۱).

ويرى بعد ذلك أنَّ دلاله الآيه على الاصطفاء ذات وجهين فيقول: («إحداها» أنَّهُ اصطفاه لنفسه أى جعله خالصاً له يختص به و «الثانى» أنّه اصطفاه على غيره أى اختصّه بالتفضيل على غيره)(۲).

ومن الإماميه من يرى أنّ المائز بين الأنبياء والأئمه عليهم السلام وبين سائر الخلق هى العصمه، فقال: (ومن البداهه بمكان أنّ وجه الاصطفاء، هذا وسببه يكمن فى العصمه الذاتيه المتواجده فى الأنبياء والأئمه عليهم السلام وبها امتازوا عن الخلق فهم يتمتعون بحصانهٍ تجاه كل أنواع الكفر والشرك والذنوب الكبيره والصغيره والخطأ العمدى أو السهوى أو النسيان، لأنّهم يسقطون من مزيّه الاصطفاء الإلهى بمجرّد صدور الذنب عنهم ولأنّ العقل السليم لا يقبل أنَّ يصدق أنّ فرداً يذنب ويعصى الله عزّ وجلّ ويكون مصطفاً ومقرباً إليه)(۳).

وفى كلامه هذا دلاله واضحه على إطلاق العصمه للأنبياء عليهم السلام وتنزيههم عن غيرهم بعدم إمكان صدور مطلق الذنب عنهم عليهم السلام.

وأشار السيد عبد الله شبررحمه الله إلى عصمتهم عليهم السلام من خلال الاصطفاء فى الآيه المباركه إذ يرى أنّ الله تعالى اصطفاهم (بالنبوه والإمامه والعصمه...)(۴).

۱- (۱) ظ: أبو الفضل بن الحسن الطبرسى ۱۶۹:۱.

۲- (۲) مجمع البيان ۵۵۵:۲.

۳- (۳) الاحقاقى ميرزا عبد الرسول الحائرى بحث حول الولايه من وحى القرآن ۲۳۱:۲ تحقيق على العبسى العاملى، بيروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۱۳ ه -- ۱۹۹۳ م.

۴- (۴) السيد عبد الله شبّر تفسير القرآن الكريم ۵۴:۱.

وهذه واضحه الدلاله على كون المراد فی الآیه الکریمه هی عصمتهم علیهم السلام إذ کانوا مبرئین من کل عیب ونقص وذنب.

ویری من هو فی إطار البحث الکلامی أنّ معنی الاصطفاء فی الآیه اختیار وانتخاب للنبوّه والإمامه وما فیها من الخصائص الروحانیه والعصمه والکمالات والفضائل، وما یلازمها من الصفات الخیره الجسمانیه والروحیه والخلقیه(۱).

ثم یستخلص منها بعد ذلک إیجاب أنَّ یکون الاصطفاء محصوراً بمن کان معصوماً من آل إبراهیم وآل عمران بلا فرق بین کونهم أنبیاء أو أئمه.

فمن کانت هذه صفاته کیف یتصوّر أنَّ یکون غافلاً عن ذکر الله مائلاً إلی شهواته أضف إلی ذلک أنّ التسدید الإلهی لأنبیائه ورسله مانعاً باختیار منهم من الاقتراب من کل ذنب وخطیئه مهما کان حجمه ونوعه وهو عین إطلاق العصمه لهم علیهم السلام.

وذهب بعض متکلمی العامه ومفسرّیهم إلی أنّ الآیه فیها دلاله علی عصمتهم علیهم السلام فمنشأه ذلک الاختیار والاجتباء والاصطفاء لهم، وهذا ما نجده عند الطبری (أبو جعفر مُحَمَّد بن جریر (ت ۳۱۰ ه -)) إذ یروی بسلسله الإسناد إلی الحسن فی قوله تعالی:(إِنَّ اللّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِیمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِینَ * ذُرِّیَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ) (آل عمران/ ۳۳-۳۴) قال: (فضلهم الله علی العالمین بالنبوّه علی الناس کلهم کانوا هم الأنبیاء الأتقیاء المطیعین لربهم)(۲).

۱- (۱) ظ: السبزواری الخطیّ (ت ۱۴۱۰ ه -) التفسیر الجدید ۲:۴۴-۴۵ دار التعارف للمطبوعات بیروت - لبنان، ط ۱، ظ: میر سید علی الحائری مقتنیات الدرر ۲:۱۸۵، السید عبد الله شبر، الجوهر الثمین ۳:۳۱۳.

۲- (۲) جامع البیان عن تأویل القرآن ۳:۲۱۷.

والتفضيل بالنبوه هو من ملازمات العصمه وهذا مما لا خلاف فيه على إطلاقه وإن اختلفوا فى تحديد السعه العصمه.

ويستدل الفخر الرازى على عصمتهم بانتفاء صدور الذنب عنهم لدخولهم فى صفه (المصطفين) و (الاختيار) المشتمله على جمله الأفعال والتروك)(۱).

ويرى القرطبى أنّ الله اختارهم واشتقهم وجعلهم الصفوه ثم بيّن مراتبهم ذاكراً (فأما مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم فقد جازت مرتبته الاصطفاء لأنّه حبيب ورحمه، قال تعالى (وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ) (الأنبياء/ ۱۰۷).

وهذا فى غايه المدح والثناء وهو قمه الاصطفاء إذ جعله رحمه لجميع العالمين مع الاستغراق التام لهم فكيف يتصوّر أنَّ يلام أو يُعاتب (صلوات الله عليه)(۲).

وأما البيضاوى (ت ۷۹۱ ه -) فيذهب إلى أنّ منشأ العصمه كذلك فى الآيه المباركه هو حيازه بعض الخصائص والميزات الداعيه الآخر لأتباعهم والإقتداء بهم عليهم السلام فيرى أنّ الله اصطفاهم (بالرساله والخصائص الروحانيه والجسمانيه ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما أوجب طاعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويتبين أنّها الجالبه لمحبّه الله عقب ذلك بيان مناقبهم تحريضاً عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكه وآل إبراهيم وآل إسماعيل وإسحاق وأولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وآل عمران...)(۳).

نستفيد من هذا كلّه أنّ الأنبياء عليهم السلام قد اختارهم الله وهذا يعنى أنّه تعالى جمعهم لنفسه عن طريق الاصطفاء وما داموا عليهم السلام قد أدرجوا فى

۱- (۱) عصمه الأنبياء ۱۱.

۲- (۲) الجامع لأحكام القرآن ۲:۴۵-۴۶.

۳- (۳) تفسير البيضاوى ۲:۲۹.

المخلصين والمصطفين فلا سلطان إذن لإبليس عليهم لأنهم أولياء الله وأحباؤه كانوا محفوظين من العوامل جميعها التى تنشأ منها المعصيه ويُرتكب بسببها الذنب سواء الخارجيه منها أم الداخليه وبذلك تثبت عصمتهم المطلقه لا محاله.

الآيه الثالثه

قال تعالى:(وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى قالَ لا يَنالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ) (البقره / ۱۲۴).

تدل الآيه المباركه على إطلاق العصمه وإن أخذ سياقها القرآنى منحى الإمامه باعتبار العهد الذى لا يناله من وسمّ بالظُلم، إذ إنّها جاءت بعد مرتبه النبوه المصاحبه للعصمه قطعاً.

وهذا المعنى نجده عند الطبرسى رحمه الله إذ اثبت العصمه لانتفاء توفر أى نوع من أنواع الظلم عند الأنبياء والرسل عليهم السلام، فيرى أنّ سبيل الرشاد وطريق الهدايه لابد أنَّ يؤخذ من المعصوم قال: (واستدل أصحابنا بهذه الآيه على أنّ الإمام لا يكون إلا معصوماً عن القبائح، لأنّ الله سبحانه نفى أنَّ ينال عهده الذى هو الإمامه ظالم ومن هو ليس بمعصوم)(۱).

ويبدو لنا أنّ مفرده الظالم أو الظالمين تمثل التعدى لحدود الله تعالى سواء كان عن عمد أو سهو وهذا المعنى لا نجده عند المصطفين الأخيار من الأنبياء المرسلين والأئمه عليهم السلام وعليه فلا يمكن أنَّ ينال عهد الله فيجب أنَّ يكون معصوماً.

ولذا يذهب إلى أنّ الخطاب كأنما يقول (أى من كان ظالماً من ذريتك لا يناله استخلافى وعهدى إليه بالإمامه وأن ينال من لا يفعل ظلماً، وهذا يدل على وجوب

۱- (۱) مجمع البيان ۱:۲۵۸.

العصمه للإمام وأنّ مَنْ ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً أما لنفسه أو لغيره)(۱).

وذهب السيد هاشم البحرانى رحمه الله إلى دلاله الآيه على إثبات العصمه لهم عليهم السلام كما يلاحظ ذلك فى طى تفسيره قال: (وقول إبراهيم عليه السلام (وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي) (إبراهيم/ ۴۰) من حرف تبعيض ليعلم أنّ من الذرّيه من يستحق الإمامه ومنهم من لا يستحقها هذا من جمله المسلمين، وذلك يستحيل أنَّ يدعو إبراهيم عليه السلام بالإمامه للكافر أو المسلم الذى ليس بمعصوم، فصح أنّ من باب التبعيض وقع على خواص المؤمنين جمله الخواص الأخص، ثم المعصوم هو الخاص الأخص)(۲).

وإلّا غير الأنبياء والرسل والأئمه لم يكن هناك من له صفه الخاصيه هذه فيكون الإتباع لهم فقط لوجوب عصمتهم.

وبناءً على ضروره الهدايه والإرشاد والقياده أنَّ تكون بيد المعصوم يرى السيد عبد الله شبر أنّ السفيه لا يكون إمام التقىّ فيستنتج أنّ الآيه (دلت على وجوب عصمه النبىّ والإمام لصدق الظالم على العاصى سواء فسر بانتقاص الحق أو وضع الشىء فى غير موقعه)(۳).

وعنى السيد الطباطبائى رحمه الله بضروره أنَّ يكون الهادى للحق معصوماً فى نفسه إذ قال: (ثم أنّ هذا المعنى - أعنى الإمامه - على شرافته وعظمته لا يقوم الا بمن كان سيد الذات بنفسه إذ الذى ربما يتلبس بالظلم والشقاء، فإنما سعادته

۱- (۱) الطبرسى، جوامع الجامع ۷۷:۱.

۲- (۲) البرهان فى تفسير القرآن ۵۳۸:۱، ظ: شبر، الجوهر الثمين ۱۴۲:۱، الشيخ محمد بن محمد رضا الهندى، كنز الدقائق ۱۳۶:۲، محمد جواد مغنيه، الكاشف ۱۹۶:۱.

۳- (۳) تفسير شبر ۱۸:۱.

بـدایه من غیره وقد قال تعالی:(أَ فَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لا یَهِدِّی إِلاّ أَنْ یُهْدی فَما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ) (یونس / ۳۵).

وقـد قوبل فی هـذه الآیه بین الهادی إلی الحق وبین غیر المهتـدی إلا بغیره أعنی المهتدی بغیره وهذه المقابله تقتضـی أنَّ یکون الهادی إلی الحق مهتدیاً بنفسه وان المهتدی بغیره لا یکون هادیاً إلی الحق(۱).

هذا ما ذهب إلیه الإمامیه فی معالجه هذه الآیه المبارکه إذ اثبتوا أنّ الإمام (المعصوم) لا یمکن أنَّ یکون مخطئاً أصلاً، وإلاّ لکان ظلماً فی ذلک المصـداق بالذات، فیشـمله أنّه من الظالمین، فلا یمکن أنَّ ینال عهد الله تعالی فیجب أنَّ یکون معصوماً، فإذا کان الإمـام کـذلک فـالنبیّ أو الرسول یکون من بـاب أولی مصـداق لـذلک لأـنّه حـاز ملاکات القیاده والهـدایه بما حوته النبوه من خصـائص أسـماها مرتبه هی العصـمه التی جـاءت متقـدمه رتبه وزمنـاً علی الإمامه، فالظالم سـیکون فی جهه مغایره لجهه الأنبیاء والرسل والأئمه ومعه لا یمکن أنَّ یکونا فی مصـداق واحـد جزماً ومنه نسـتشف أنّ الأنبیاء علیهم السـلام معصومون مطهرّون من کل عیب مهما کان حجمه.

وأما مذهب العامه فی التعامل مع هذه الآیه المبارکه فی إثبات عصـمه الأنبیاء علیهم السلام فما یراه الزمخشری (ت ۵۳۸) من أنَّ هذا المنصب مختص بمن خوطب به أی الأصـفیاء ممن اختارهم لرسالته وهم الأنبیاء والرسل علیهم السلام والظالم بعید عن هذا الاستخلاف قال: (من کان ظالماً من ذریتک لا یناله استخلافی وعهدی له بالإمامه وإنما ننال من کان عادلاً بریئاً من الظلم)(۲).

۱- (۱) ظ: الطباطبائی المیزان ۱:۲۷۳.

۲- (۲) الکشاف ۱:۲۱۱.

ویمکن أنَّ نضیف أنّ الاستخلاف والعهد ملازم للهدایه التی هی سنه إلهیه أعطیت للأنبیاء علیهم السلام لما امتازوا به عن غیرهم، فبالاستخلاف والهدایه یکون هناک نوع من الاقتران بین وضیفه النبوه ووظیفه الإمامه وهما داخلان فی إطار نظام التکوین الذی سنّهُ الله تعالی لهدایه خلقه.

وأول دلیل علی ذلک ما ذکره الفخر الرازی، إذ قال: (الآیه تدل علی عصمه الأنبیاء علیهم السلام من وجهین: «الأول» أنَّهُ قد ثبت أنَّ المراد من هذا العهد (الإمامه) ولا ریب أنّ کل نبیّ إمام فالإمام هو الذی یؤتم به والنبیّ أولی بالناس، وإذا دلت الآیه علی أنّ الإمام لا یکون فاسقاً وفاعلاً للذنب والمعصیه فالنبی أولی، «الثانی»: ((قال:((لا یَنالُ عَهْدِی الظّالِمِینَ) (البقره/ ۱۲۴) فهذا العهد إن کان هو النبوه، وجب أنَّ تکون لا ینالها أحد من الظالمین، وأن کان هو الإمامه فکذلک لأنّ کل نبی لابد وأن یکون إماماً یؤتم به، وکل فاسق ظالم لنفسه، توجب أنَّ لا تحصل النبوّه لأحد من الفاسقین))(۱).

واستدل کذلک علی عصمه الأنبیاء بهذه الآیه باعتبار العهد سواء کان عهد النبوه أو الإمامه فهو یراه عهد النبوه أظهر فی المقصود من العهد لأنّ عنده عهد الإمامه أقل درجه من عهد النبوّه(۲).

وهذا بخلاف ما تراه الإمامیه من أنّ الإمامه امتداد طبیعی للنبوّه ولا یوجد هناک تعارضٌ بینهما من جهه الهدایه أو غیرها إلاّ فی مسأله الوحی وما یترتب علیه.

ویبدو أنّ قوله ((عهد الإمامه أقل درجه من عهد النبوّه)) فیه نوع تحفّظ وإن کان أصل الاستدلال صحیحاً، بناءً علی أنّ المراد بالظالمین ما یشمل الظالم

۱- (۱) مفاتیح الغیب ۴:۴۰.

۲- (۲) عصمه الأنبیاء: ۱۴.

لنفسه، وإلا لما احتاج مرتكب الصغيره إلى التوبه لتغفر له، ولما تحوّلت إلى كبيره بعد التوبه عنها والإصرار على العوده إليها، إلّا أنَّ بعض الروايات فسرّت الظلم هنا بعباده الأصنام(۱) وربما لا تنافى بين هذا التفسير وعموم اللفظ بناءً على أنّ ذلك التفسير من باب التطبيق لا الحصر.

الآيه الرابعه

قال تعالى:(أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء/ ۵۹).

فى الآيه المباركه دلاله واضحه على عصمه الأنبياء ونفى إمكان الخطأ الذى يستتبع لوماً وعتاباً فى حقهم عليهم السلام - من اشتمالها على مسائل أخرى ضبطها أصحاب التفسير فيما يتعلق بأولى الأمر وسعه شمولها لهم عليهم السلام، والغرض الذى تتوخاه منها هو إثباتها لعصمه الأنبياء عليهم السلام من جهه الإطاعه الواجبه التى قرنها الله سبحانه وتعالى للأنبياء عليهم السلام وأولى الأمر بطاعته جل ذكره لثبوت عصمتهم عليهم السلام.

قال الطوسى رحمه الله: (ولا يجوز أنَّ يوجب الله طاعه أحد مطلقاً إلّا من كان معصوماً مأموناً من السهو والغلط، وليس ذلك بحاصل فى الأمراء ولا فى العلماء)(۲).

وما يقارب من هذا اللفظ والمعنى ما نجده عند الطبرسى رحمه الله إذ ذكر: (ولا يجوز أنّ يوجب الله طاعه أحد على الإطلاق إلّا من ثبتت عصمته وعلم أنَّ باطنه لظاهره وأمن منه الغلط والأمر بالقبيح)(۳).

۱- (۱) ظ: الكلينى: أصول الكافى ۱۷۵:۱.

۲- (۲) التبيان ۲۳۷:۳.

۳- (۳) مجمع البيان ۸۳:۳.

ویستفید السید الطباطبائی رحمه الله من إطلاق الآیه دلیلاً علی عصمتهم علیهم السلام، إذ قال: (علی أنّ الآیه جمع فیها بین الرسول وأُولی الأمر، وذکر لها معاً طاعةً واحده فقال:(وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ) (النساء/ ۵۹) وما یجوز علی الرسول أنَّ یأمر بمعصیه أو بغلط فی حکم، فلو جاز فی شیء من ذلک علی أُولی الأمر لم یسع إلّا أنَّ یذکر القید الوارد علیهم فلا مناص من أخذ الآیه مطلقه من غیر تقید ولازمه اعتبار العصمه فی جانب أُولی الأمر کما اعتبر فی جانب رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من غیر فرق)(۱).

وعند التدبر بکلمات أعلام التفسیر من غیر المدرسه الإمامیه نجد أنّ العصمه هی السمه الغالبه لمن قرن الله طاعتهم بطاعته ولسان الفخر الرازی فی إثبات عصمه الأنبیاء علیهم السلام من إذ کونهم فی مقدمه أولی الأمر المذکورین فی الآیه المبارکه خیر شاهد علی ذلک إذ ذکروا الدلیل علی ذلک أنّ الله تعالی أمر بطاعه أولی الأمر علی سبیل الجزم فی هذه الآیه ومن أمر الله بطاعته علی سبیل الجزم والقطع لابد أنَّ یکون معصوماً عن الخطأ إذ لو لم یکن معصوماً عن الخطأ بتقدیر إقدامه علی الخطأ یکون قد أمر الله بمتابعته، فیکون ذلک أمراً بفعل ذلک الخطأ، والخطأ لکونه خطأ فهی عنه فهذا یقضی إلی اجتماع الأمر والنهی فی الفعل الواحد بالاعتبار الواحد وأنه محال، فثبت أنَّ الله تعالی أمر بطاعه أولی الأمر علی سبیل الجزم، وثبت أنّ کل من أمر الله بطاعته علی سبیل الجزم وجب أنَّ یکون معصوماً عن الخطأ فثبت قطعاً أنّ ولی الأمر المذکور فی الآیه لابد وأن یکون معصوماً)(۲).

۱- (۱) المیزان ۴:۳۹۱.

۲- (۲) مفاتیح الغیب ۱۰:۱۱۶، ظ: القرطبی، الجامع لأحکام القرآن ۳:۱۸۱-۱۸۲.

وعلى هـذا فـإذا ثبت العصـمه لأـولى الأـمر عليهم السـلام بغض النظر عمن حمل الرازى وغيره بنسـبه الآيه بهم، فإنّها تكون ثابته للأنبياء بطريق أولى لأنّهم من مصاديق أُولى الأمر المأمورون باتباعهم.

ويمكن أنَّ نستوحى من هذه الآيه المباركه إفادات عده أهمها:

الأولى

بما أنّ الله سـبحانه وتعالى منبع العصمه، إذاً يجب أنَّ يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معصوماً وإلّا لاختلّت الإطاعه الثانيه لما عُطفت على الإطاعه الأولى.

الثانيه

قوله تعالى فى نهايه الآيه المباركه (فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْ ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء / ۶۰).

يظهر منهـا وجوب كون الرسول معصومـاً وإلاّـ لطلب منهم أنَّ يردوه إلى الله فقط لئلا يحـدث الخطأ بخطأ الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم ولما قال فى نهايه الآيه (ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء/ ۵۹) لأنّه أنّ لم يكن معصوماً لأغرانا الله بالباطل جلّ عن ذلك.

الثالثه

لقـد عطفت الآـيه أولى الأـمر على طاعه الله ورسوله من إذ إنهما مطلقتان فتكون طاعه أولى الأمر مطلقه أيضاً وهـذا يعنى أنّ من يطع أولى الأمر فقد أطاع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن يطع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

فقد أطاع الله تعالى، ثم أنّه من تجب له الطاعه المطلقه يجب أنَّ يكون معصوماً بالعصمه المطلقه ومن ثم فمن غير المعقول أنَّ يكون المراد بأُولى الأمر فى الآيه الكريمه حكام العدل غير المعصومين، فضلاً عن حكّام الجور والظلم، فإنّ حكام العدل غير المعصومين إنّما تجب طاعتهم فى حدود معيّنه لا مطلقاً كما هو معلوم، ومن ذلك نستنتج أنّ المراد من أُولى الأمر فى الآيه المباركه هو خصوص الأئمه المعصومين من أهل البيت عليهم السلام وثبوتها للأنبياء عليهم السلام يكون من باب أولى لأنّهم مصداق حى لهذه الآيه المباركه.

الآيه الخامسه

قوله تعالى:(وَ لَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَ ما يُضِلُّونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْ ءٍ وَ أَنْزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) (النساء / ١١٣).

هذه الآيه الكريمه كذلك تدل على عصمه الأنبياء مع أبعاد ممن يريد أنَّ يلحق الضرر بهم لما زودوا به من الله من امكانات علميه خاصه جعلتهم عليهم السلام فى حصانه تامه من الضلال، فضرب لهم النّبى صلى الله عليه وآله وسلم مثلاً.

فالمنشأ الرئيس لعصمتهم عليهم السلام هو العلم الذى زودوا به.

يستفيد الطبرسى من عصمه الأنبياء عليهم السلام فى هذه الآيه المباركه من جهه رعايه الله للنبى وألطافه به إذ قال: (ثم بين سبحانه لطفه برسوله وفضله عليه إذ صرف كيدهم عنه وعصمه من الميل اليهم)(١).

١- (١) مجمع البيان ٣:١٣٧.

أما المجلسی رحمه الله فیری أنّ الفضل هو النبوّه وأنّ الرحمه هی العصمه فقال: (أی لولا أنّ الله خصّک بالفضل وهو النبوّه وبالرحمه وهی العصمه)(۱) ثم أنّهُ یثبت العصمه من خلال تفسیره لقوله تعالی:(وَ ما یَضُرُّونَکَ مِنْ شَیْ ءٍ) (النساء/ ۱۱۳) قال: (فیه وجهان أحدهما ما یضرونک من شیء فی المستقبل فوعده الله تعالی فی هذه الآیه إدامه العصمه لما یریدون من إیقاعه بالباطل)(۲).

ویری الطباطبائی رحمه الله أنّ (ظاهر الآیه الذی تحقق به العصمه نوع من العلم یمتع صاحبه عن التلبس بالمعصیه والخطأ)(۳)، ثم یقول: إشاره علی موهبه العلم الذی عبر عنه بالعصمه (إنّ هذه الموهبه الإلهیه التی نسمّیها قوّه العصمه نوع من القوی الشعوریه البتّه، بل هی الغالبه القاهره علیها المستخدمه إیاها، ولذلک کانت تصون صاحبها من الضلال والخطیئه مطلقاً)(۴).

وذهب أتباع المدارس الأخری إلی ما ذهبت إلیه الإمامیه من إثبات العصمه من خلال دلاله الآیه المبارکه.

ومنهم من قرأ:(وَ لَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَیْکَ) (النساء/ ۱۱۳) (أی عصمته وألطافه)(۵).

فجعل الفضل الذی مَنَّ الله به علی نبیّه هو العصمه، وهکذا الحال عند

۱- (۱) بحار الأنوار ۱۷:۳۹.

۲- (۲) المصدر نفسه ۳۹ ۱۷.

۳- (۳) المیزان ۵:۷۸.

۴- (۴) المصدر نفسه ۵: ۸۰.

۵- (۵) ظ: الکشاف ۱:۵۹۷، ابن کثیر، تفسیر القرآن العظیم، ۱:۵۵۵ البیضاوی، تفسیر البیضاوی ۲:۲۵۴.

القرطبی إذ أفاد الاستدلال علی عصمه الأنبیاء بعد أنَّ استند فی ذلک إلی أحد الأقوال فقال: (والمعنی:(وَ لَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَیْکَ وَ رَحْمَتُهُ) (النساء/ ۱۱۳) بأن ینبهّک علی الحق وقیل بالنبوّه والعصمه)(۱).

الآیه السادسه

قوله تعالی:(وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ لِیُطاعَ بِإِذْنِ اللّهِ) (النساء / ۶۴).

هذه من الآیات المبارکات التی استدل بها علماء التفسیر وعلماء الکلام علی عصمه الأنبیاء علیهم السلام ونزاهتهم.

قال الطبرسی رحمه الله (ثم لامهم سبحانه علی ردّهم أمره وذکر أنّ غرضه من البعثه الطاعه، فقال (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ) (إبراهیم/ ۴) أی لم نرسل رسولاً من رسلنا (إِلاّ لِیُطاعَ) (النساء/ ۶۴) عنی به أنّ الغرض من الإرسال أنَّ یطاع الرسول ویتمثّل بما یأمر به ثم أنّه یری قوله تعالی (بِإِذْنِ اللّهِ) (النساء/ ۶۴) أی بأمر الله الذی دل علی وجوب طاعتهم(۲).

قال العلامه الطباطبائی رحمه الله: (ومما یدل علی عصمتهم علیهم السلام قوله تعالی:(وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ لِیُطاعَ بِإِذْنِ اللّهِ) (النساء/ ۶۴) إذ جعل کون الرسول مطاعاً غایه الإرسال، وقصر العنایه فیه، وذلک یستدعی بالملازمه البیّنه تعلق إرادته تعالی بکل ما یطاع فیه الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وهو قوله أو فعله؛ لأنّ کل منهما وسیله معموله متداوله فی التبلیغ، فلو تحقق من الرسول خطأ فی فهم الوحی أو فی التبلیغ کان ذلک إراده منه تعالی للباطل والله

۱- (۱) الجامع لأحکام القرآن ۲۶۲:۳.

۲- (۲) مجمع البیان ۸۷:۳.

سبحانه لا يريد إلا الحق)(۱).

أما الرازى فنجده يؤكد هذا المعنى باستدلال واضح لعصمه الأنبياء عليهم السلام إذ كتب (الآيه داله على أنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون عن المعاصى والذنوب لأنّها دلّت على وجوب طاعتهم مطلقاً، فلو أتوا بمعصيهٍ لوجب علينا الاقتداء بهم فى تلك المعصيه واجبه علينا، وكونها معصيه يوجب كونها محرّمه علينا، فيلزم توارد الإيجاب والتحريم على الشىء الواحد وأنه محال)(۲).

الآيه السابعه

قال تعالى:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ) (التوبه/ ۱۱۹).

استدل كل من ابن شهر اشوب رحمه الله (ت ۸۵۳) من علماء مدرسه أهل البيت عليهم السلام والفخر الرازى على عصمه من اتصف بالصدق فى الآيه.

قال ابن شهر اشوب رحمه الله قوله سبحانه:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ) (التوبه/ ۱۱۹) (فأمرنا سبحانه بالكون مع الصادقين، والأمر بالكون معهم فى المكان لا فائده فيه، فتقتضى الآيه وجوب الاقتداء بهم، لأنه أمر مطلق من غير تخصيص، وذلك يقتضى عصمتهم، لقبح الأمر على هذا الوجه بإتباع من لا يؤمن منه القبيح، من إذ يؤدى ذلك إلى الأمر بالقبح وإذا ثبت ذلك فى الآيه ثبت تخصيصها بالأئمه المعصومين)(۳).

۱- (۱) الميزان ۱۳۷:۲.

۲- (۲) مفاتيح الغيب ۱۲۹:۱۰.

۳- (۳) ظ: القاضى عبد الجبّار: متشابه القرآن ۴۹:۲، تحقيق، عدنان محمّد زرزور، دار التراث، القاهره.

وهـذا الكلام فی العصـمه یمکن تعـدیه إلی جمیع الأنبیـاء والمرسـلین علیهم السـلام لکونهم من أجلی مصـادیق الصادقین هـذا بالإضافه إلی إطلاق الآیه الشامل لهم.

وأمـا الفخر الرزای فیری (أمر لهم بـالتقوی وهـذا الأـمر انما یتناول من یصـح منه أنَّ لا یکون متقیاً، وإنما یکون کـذلک لو کان جـائز الخطأ، فکـانت الآـیه داله علی أنَّ من کـان جائز الخطأ وجب کونه مقتـدیاً بمن کان واجب العصـمه وهم الـذی حکم الله بکونهم صادقین)(۱).

وبعـد تقصـیّ هذه الآیات المبارکات الداله علی عصـمه الأنبیاء علیهم السـلام نجد أنَّ دلالاتها تقتضـی أنَّ الأنبیاء علیهم السـلام مصـطفون لله، مختارون له تعالی خیرّون ومن الضـروره إن ذلک ینافی صـدور العصـیان عنهم سـهواً مع أنَّ الآیات تصـرح بلزوم متابعتهم والاقتداء بهم والاقتباس من أنوارهم ووجوب التأسـی بهم کما قال تعالی:(لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ لِمَنْ کانَ یَرْجُوا اللّهَ وَ الْیَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَکَرَ اللّهَ کَثِیراً) (الأحزاب/ ۲۱).

ولو صـدرت المعصـیه عنهم ولو سـهواً لمـا جاز الاقتـداء والتأسـی بهم، مع أنَّ صـدورها عنهم ولو فی بعض الأحیان یوجب تنفر الناس منهم فلا یطمأن إلی قولهم وفعلهم وهذا ینافی الغرض الأقصی من بعثتهم.

ثانیاً: أدله العصمه من السنّه المطهره

اشاره

وردت فی أحادیث الرسول الأکرم صـلی الله علیه وآله وسـلم والأئمه الأطهار علیهم السـلام، طائفه کبیره من النصوص التی تدل دلاله صریحه علی عصمه

۱- (۱) مفاتیح الغیب ۱۶:۱۷۵-۱۷۶.

الأنبياء والأئمه عليهم السلام مع استبعاد أنَّ يصدر أى لون من ألوان اللوم والعتاب بحقهم عليهم السلام اعتمدنا نماذج منها بحسب ما تستوعبه الدراسه.

الدليل الأول

ما رواه سليم بن قيس الهلالى (ت ٧۶ ه -) عن الإمام على بن أبى طالب عليهما السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ حذّر من ثلاثه رجال وأخذ يصفهم إلى أنَّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ورجل أتاه الله عزّ وجلّ سلطاناً فزعم أنّ طاعته طاعه الله ومعصيته معصيه الله، وكذب لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق، لا طاعه لمن عصى، إنّما الطاعه لله ولرسوله ولولاه الأمر الذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه فقال:(أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء / ۵۹).

لأنّ الله إنّما أمر بطاعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه معصوم مطهرّ لا يأمر بمعصيه الله وإنّما أمر بطاعه أولى الأمر لأنّهم معصومون مطهرّون لا يأمرون بمعصيه))(۱).

وفى هذا دلاله واضحه على ضروره كون الرسول أو النَّبى والإمام معصوماً كى تجب طاعته ومتابعته لأنّه الهادى إلى الحق.

الدليل الثانى

فى طهاره الأنبياء عليهم السلام وعصمتهم، ما يروى عن أبى ذر الغفارى رحمه الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

۱- (۱) ظ: كتاب سليم بن قيس ۴۰۶، تحقيق محمد باقر الأنصارى، مطبعه نارش، ط ۲، قم ۱۴۲۴ ه -.

((خلقت أنا وعلی بن أبی طالب من نور واحد، نسبّح الله تعالی عند العرش قبل أنَّ یخلق آدم بألفی عام، فلمّا أنَّ خلق الله آدم علیه السلام جعل ذلک النور فی صلبه، فلم یزل ینقلنا الله عزّ وجلّ من أصلاب طاهره إلی أرحام مطهره حتی انتهی إلی عبد المطلب فقسمنا نصفین، فجعلنی فی صلب عبد الله وجعل علیّاً فی صلب أبی طالب))(۱).

وهذه الروایه، وإن لم یرد فیها لفظ العصمه صراحه، لکن متنها کافٍ فی الدلاله علی العصمه للأنبیاء والأئمه علیهم السلام وعلی طهارتهم ولیس أدل علی عصمتهم من أنَّ یطهرّهم الله من کل رجس ویبعد عنهم کل ذنب ومعصیه.

الدلیل الثالث

وفیه دلاله واضحه علی عصمه الأنبیاء علیهم السلام مع ما تحویه من ذکر القضایا الوارده فی القرآن الکریم التی اعتبرها بعضهم موهمه بصدور القضایا منهم مع جمله الإشکالات والجواب عنها.

أبو الصلت الهروی قال: لمّا جمع المأمون لعلی بن موسی الرضا علیه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والدیانات من الیهود والنصاری والمجوس والصابئیین وسائر أهل المقالات فلم یقم أحد إلّا وألزمه حجته کأنّه قد ألقم حجراً، فقام إلیه علی بن مُحَمَّد بن الجهم، فقال له: یا ابن رسول الله أتقول بعصمه الأنبیاء؟ قال: بلی، قال: فما تعمل فی قول الله عزّ وجلّ (وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی) (طه / ۱۲۱)، وقوله عزّ وجلّ:(وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَیْهِ) (الأنبیاء / ۸۷)، وقوله فی یوسف (وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها) (یوسف / ۲۴) وقوله

۱- (۱) ظ: هاشم البحرانی، البرهان فی تفسیر القرآن ۱۹۲:۲.

عزّ وجلّ فی داود (وَ ظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنّاهُ) (ص / ۲۴).

وقوله فی نبیه مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم:(وَ تُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اللّهُ مُبْدِیهِ وَ تَخْشَی النّاسَ وَ اللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ) (الأحزاب / ۳۷).

فقال مولانا الرضا علیه السلام: ویحک یا علیّ، اتق الله ولا تنسب إلی أنبیاء الله الفواحش ولا تأول کتاب الله برأیک، فإنّ الله عزّ وجلّ یقول:(وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ) (آل عمران / ۷).

وأما قوله عزّ وجلّ فی آدم علیه السلام:(وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی) (طه/ ۱۲۱) فأن الله عزّ وجلّ خلق آدم حجه فی أرضه وخلیفته فی بلاده ولم یخلق للجنّه، وکانت المعصیه من آدم فی الجنه لا فی الأرض لتتم مقادیر أمر الله عزّ وجلّ فلما أهبط إلی الأرض وجعل حجته وخلیفته عصم بقوله عزّ وجلّ (إِنَّ اللّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِیمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِینَ) (آل عمران / ۳۳).

وأما قوله عزّ وجلّ:(وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَیْهِ) (الأنبیاء/ ۸۷) إنما ظنّ أنّ الله عزّ وجلّ لا یضیق علیه رزقه ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ (وَ أَمّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَیْهِ رِزْقَهُ) (الفجر / ۱۶)، أی ضیق علیه ولو ظنّ أنّ الله لا یقدر علیه لکان قد کفر.

وأما قوله عزّ وجلّ فی یوسف (وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها) (یوسف/ ۲۴) فإنّها همّت بالمعصیه وهم یوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما داخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشه وهو قوله (کَذلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ) (یوسف / ۲۴) یعنی القتل (وَ الْفَحْشاءَ) (یوسف/ ۲۴).

وأما داود فما یقول مَنْ قبلکم فیه؟ فقال علی بن الجهم: یقولون: إنّ داود

كان فی محرابه یصلّی إذ تصوّر له إبلیس علی صوره طیر أحسن ما یکون من الطیور، فقطع صلاته وقام لیأخذ الطیر، فخرج الطیر إلی الدار فخرج فی أثره، فطار الطیر إلی السطح فصعد فی طلبه، فسقط الطیر فی دار أوریا بن حنان، فاطلّع داود فی أثر الطیر فإذا بإمرأه اوریا تغتسل، فلّما نظر إلیها هویها، وکان قد أخرج أوریا فی بعض غزواته فکتب إلی صاحبه أنَّ قدّمه فی أمام الحرب، فقدّم فظفر أوریا بالمشرکین، فصعب ذلک علی داود، فکتب ثانیه أنَّ قدّمه أمام الحرب فقدّم فقتل أوریا فتزوّج داود بامرأته.

فضرب الرضا علیه السلام بیده علی جبینه وقال:(إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ) (البقره/ ۱۵۶) لقد نسبتم نبیّاً من أنبیاء الله إلی التهاون بصلاته حتی خرج فی أثر الطیر ثم بالفاحشه ثم بالقتل، فقال یا ابن رسول الله فما کانت خطیئته؟ فقال علیه السلام: ویحک إنّ داود علیه السلام إنّما ظنّ أنّ ما خلق الله خلقاً هو أعلم منه فبعث الله عزّ وجلّ إلیه الملکین فتسورا المحراب فقالا:(خَصْمانِ بَغی بَعْضُنا عَلی بَعْضٍ فَاحْکُمْ بَیْنَنا بِالْحَقِّ وَ لا تُشْطِطْ وَ اهْدِنا إِلی سَواءِ الصِّراطِ * إِنَّ هذا أَخِی لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَهً وَ لِیَ نَعْجَهٌ واحِدَهٌ فَقالَ أَکْفِلْنِیها وَ عَزَّنِی فِی الْخِطابِ) (ص ۲۲-۲۳) فجعل داود علیه السلام علی المدعی علیه فقال:(لَقَدْ ظَلَمَکَ بِسُؤالِ نَعْجَتِکَ إِلی نِعاجِهِ) (ص / ۲۶) فلم یسأل المدعیّ البینه علی ذلک، ولم یقبل علی المدعی علیه، فیقول: ما تقول؟ فکان هذا خطیئه حکمه، لا ما ذهبتم إلیه، إلّا تسمع قول الله عزّ وجلّ (یا داوُدُ إِنّا جَعَلْناکَ خَلِیفَهً فِی الْأَرْضِ فَاحْکُمْ بَیْنَ النّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوی فَیُضِلَّکَ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ إِنَّ الَّذِینَ یَضِلُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِیدٌ بِما نَسُوا یَوْمَ الْحِسابِ) (ص / ۲۶).

فقال ابن الجهم: یا ابن رسول الله فما قصته مع أوریا؟ فقال الرضا علیه

السلام أنَّ المرأه فی أیام داود علیه السلام کانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج أبداً، وأول من أباح الله عزّ وجلّ له أنَّ یتزوج بامرأه قتل بعلها داود علیه السلام فذلک الذی شق علی الناس من قبل اوریا.

وأما مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم وقول الله عزّ وجلّ له (وَ تُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اللّهُ مُبْدِیهِ وَ تَخْشَی النّاسَ وَ اللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ) (الأحزاب/ ۳۷) فإنّ الله عرّف نبیّه أسماء أزواجه فی دار الدنیا وأسماء أزواجه فی الآخره وأنّهن أمهات المؤمنین، وکانت إحداهن زینب بنت جحش وهی یومئذٍ تحت زید بن حارثه فأخفی صلی الله علیه وآله وسلم فی نفسه، ولم یبده لکی لا یقول أحد من المنافقین إنّه قال فی امرأهٍ فی بیت رجل أنها إحدی أزواجه من أمهات المؤمنین، وخشی قول المنافقین، فقال الله عزّ وجلّ (وَ تَخْشَی النّاسَ وَ اللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ) (الأحزاب/ ۳۷) یعنی فی نفسک وأنّ الله عزّ وجلّ ما تولّی تزویج أحد من خلقه إلاّ تزویج حواء من آدم وزینب من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وفاطمه من علی علیهم السلام قال: فبکی علی بن الجهم، وقال: یا ابن رسول الله: أنا تائب إلی الله عزّ وجلّ أنَّ أنطق أنبیاء الله عزّ وجلّ یومی هذا إلا بما ذکرته(۱).

الدلیل الرابع

وفی عیون أخبار الرضا علیه السلام ما یثبت عصمه الأنبیاء صراحه من خلال جواب الإمام علیه السلام حینما سأله المأمون العباسی قائلاً: لله درّک یا أبا الحسن فأخبرنی عن قول الله عزّ وجلّ (وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأی

۱- (۱) ظ: أبو جعفر محمد بن الحسن بن بابویه القمی الصدوق (ت ۳۸۱ ه -)، الأمالی: ۱۸۲-۱۸۴ نشر مؤسسه الأعلمی، بیروت - لبنان، ط ۵، ۱۴۰۰ ه -.

بُرْهانَ رَبِّهِ) (یوسف/ ۲۴).

قال الرضا علیه السلام: (لقد همت به ولولا أنَّ رأی برهان ربه، لهم بها کما همت به، لکنّه کان معصوماً، والمعصوم لا یهم بذنب ولا یأتیه، ولقد حدّثنی أبی عن أبیه الصادق علیهما السلام أنَّهُ قال: همت بأن تفعل، وهم بأن لا یفعل)(۱).

والروایه هذه لا تحتاج إلی أدنی تأمل فی توجیه العصمه فیها وإنما هی واضحه الدلاله والهدف.

الدلیل الخامس

ویطالعنا الصافی (المولی محسن الکاشانی) (ت ۱۰۹۱ ه -) فی تفسیره علی عصمه الأنبیاء علیهم السلام بما ذکره (أن أیوب ابتلی بغیر ذنب سبع سنین، وأن الأنبیاء معصومون لا یذنبون ولا یزیغون، ولا یرتکبون ذنباً صغیراً ولا کبیراً)(۲).

الدلیل السادس

عن أبی عبد الله الصادق علیه السلام: (أنّ بعض قریش قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: بأی شیء سبقت الأنبیاء علیهم السلام وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم، فقال:

((إنّی کنت أول من آمن بربی، وأول من أجاب إذ أخذ الله میثاق النبیّین وأشهدهم علی أنفسهم (الستُ ربکم) فکنت أنا أول نبیّ قال (بلی) فسبقتهم بالإقرار بالله عزّ وجلّ (۳).

۱- (۱) ظ: عیون أخبار الرضاعلیه السلام ۱:۱۷۰-۱۷۳.

۲- (۲) تفسیر الصافی ۴۵۰.

۳- (۳) الکلینی، الاصول من الکافی ۲:۱۰.

الدليل السابع

حديث عبد الله بن طلحه، قال قلت لأبى عبد الله عليه السلام:

أخبرنى يا ابن رسول الله عن العلم الذى تحدّثونا به، أمن صحف عندكم؟ أم من روايه يرد بها بعضكم عن بعض؟ أو كيف حال العلم عندكم.

قال: ((يا عبد الله الأمر أعظم من ذلك وأجل، أما تقرأ كتاب الله؟!)).

قلت: بلى.

قال: (أما تقرأ):(وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتابُ وَ لاَ الْإِيمانُ) (الشورى/ ۵۲) أفاترون أنّه كان فى حال لا يدرى ما الكتاب ولا الإيمان؟)).

قال: هكذا نقرأ.

قال: (نعم قد كان فى حال لا يدرى ما الكتاب ولا الإيمان، حتى بعث الله تلك الروح فعلمه بها العلم والفهم، كذلك تجرى تلك الروح إذ بعثها الله على عبدٍ علمه بها العلم والفهم(۱).

قال العلامه المجلسى رحمه الله تعليقاً على قوله عليه السلام: (الأمر أعظم من ذلك وأوجب).

(قيل أنما كان الأمر أوجب من ذلك لأن الأمرين المذكورين مما يشترك فيه سائر الناس، فلابد فى الحجّه من أمر يمتاز به عن سائر الناس لا يحتمل الخطأ والشك)(۲).

۱- (۱) أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروّخ الصفّار (۲۹۰۲ ه -)، ۴۵۸، تعليق ميرزا محسن التبريزى، منشورات مكتبه المرعشى النجفى قم - إيران، ط ۱، ۱۴۰۴ ه -.

۲- (۲) محمد باقر المجلسى، مرآه العقول ۱۷۳:۳، دار الكتب الإسلاميه، إيران ط ۲، ۱۴۰۴ ه -.

وقال المازندرانی (المیرزا مُحَمَّد صالح) (ت ۱۰۸۶).

((أی: أمر علمنا أعظم وأوجب)) یعنی: ألزم وأتم، وأحق أنَّ یکون مأخوذاً من أفواه الرجال، أو مخرجاً من الکتاب، بل هو من الروح الذی معنا(۱).

وهذا دلیل علی أنّ المعصوم مسدد ومؤید عن ارتکاب مطلق الخطأ.

الدلیل الثامن

عن أبی جعفر الباقر علیه السلام قال: (والله ما ترک أرضاً منذ قبض آدم علیه السلام إلّا وفیها إمام یهتدی به إلی الله، وهو محجّه علی عباده ولا تبقی الأرض بغیر إمام حجّه لله علی عباده)(۲).

والروایه صریحه جداً إذ إن القضیّه لیست قیاده سیاسیه وإداره حکم بل هی مرتبطه بنظام التکوین ووضیعه الإمام هنا إیصال الناس إلی محل الهدایه وطریق الصواب ولو لم یکن معصوماً لما کان أهلاً لهذا المنصب الإلهی.

۱- (۱) شرح أصول الکافی والروضه ۶۸:۶ تعلیق علی أکبر الغفاری، منشورات المکتبه الإسلامیه، طهران - إیران ۱۳۸۴ ه -.
۲- (۲) ظ: الکلینی، أصول الکافی ۱۷۹:۱ ج ۸ کتاب الحجه.

المطلب الثانی: الأدله العقلیه للقول بالعصمِه المطلقه

اشاره

انفرد الإمامیه من دون غیرهم من المذاهب الإسلامیه الأُخَر بالقول بالعصمه المطلقه للأنبیاء علیهم السلام واستدلوا، علی ذلک بجمله من الأدله العقلیه تتوقف الدراسه عندها.

الدلیل الأول: دلاله المعجز

فإنّ من الأدله العقلیه ومن الضرورات الشرعیه أنَّ یکون النبیّ معصوماً لأنّه لو لم یکن کذلک لم یحصل لنا الوثوق بقوله، إذ جاز أنَّ یصدر منه الکذب عمداً أو نسیاناً، ولا یجوز علی الله أنَّ یرسل إلی خلقه أنبیاء کاذبین، لأنّه قبیح ویستحیل علی الله تعالی فعل ذلک، فوجب أنَّ یکون النَّبی معصوماً، ذکره المحقق نصیر الدین الطوسی رحمه الله فی شرح التجرید للعلامه الحلیّ رحمه الله فقال: وبیان ذلک أنّ المبعوث إلیهم لو جوّزوا الکذب علی الأنبیاء والمعصیه جوزوا فی أمرهم ونهیهم وأفعالهم التی أمروهم بإتباعهم فیها ذلک وحینئذٍ لا ینقادون إلی إفشال أوامرهم وذلک نقض للغرض من البعثه(۱).

۱- (۱) ظ: العلامه جمال الدین الحسن بن یوسف ابن المطهر الحلی (ت ۶۷۲ ه -)، کشف المراد فی شرح تجرید الاعتقاد ۳۷۶ مؤسسه الأعلمی بیروت - لبنان ط ۱، ۱۳۹۹ ه -- ۱۹۷۹ م.

وذكر الفاضل المقداد فی شرح الباب الحادی عشر مثل هذا الوجه فی الاستدلال علی وجوب العصمه من أنّه: لو لم یکن الأنبیاء معصومین لانتفت فائده البعثه واللازم باطل فالملزوم مثله، بیان الملازمه: أنّه إذا جازت المعصیه علیهم لم یحصل الوثوق بصحه قولهم بجواز الکذب حینئذٍ علیهم وإذا لم یحصل الوثوق لم یحصل الانقیاد لأمرهم ونهیهم فینتفی فائده بعثهم وهو محال(۱).

وإلی هذا الوجه یرجع من استدل علی العصمه من الذنوب إلی أنّه ینافی دلاله المعجز القاطعه، فإن المراد من الإعجاز القرآنی إثبات استناد القرآن الکریم إلی الله سبحانه وأنه لیس من صنع البشر، فلو کان النَّبی فمن یمکن أنَّ یتبع هواه ویرتکب المعاصی لم یؤمن منه أنَّ یبلغ کل ما جاء به القرآن أو لا ینقص منه.

وإلی هذا المعنی یشیر السید المرتضی رحمه الله فی بعض کتبه إذ قال مستدلاً علی عصمه النَّبی عن الکبائر والصغائر، بأنّ العلم المعجز إذا کان واقعاً موقع التصدیق لمدعی النبوّه والرساله، وجاریاً مجری قوله تعالی: صدقت فی أنّ رسولی ومؤدی عنی، فلابد أنَّ یکون هذا المعجز مانعاً من کذبه عن الله فیما یؤدیه عنه، لأنّه تعالی لا یجوز أنَّ یصدق الکذاب، لأنّ تصدیق الکذاب قبیح(۲).

ومن هنا استدل قطب الدین النیسابوری علی العصمه عقلاً فقال: (والذی یدل علی عصمه الرسل أنَّ العلم المعجز یؤمننا عن وقوع الکذب منه فیما یؤدی عن الله تعالی إلینا وهذا لا خلاف فیه بین الأمه لأن تجویز الکذب یرفع الثقه ویعدم الأمان)(۳).

۱- (۱) النافع فی شرح الباب الحادی عشر: ۶۳، مطبعه سلمان الفارسی، ط ۱، ۱۴۱۲ ه -.

۲- (۲) تنزیه الأنبیاء: ۱۷.

۳- (۳) التعلیق فی علم الکلام ۱۷۲ تحقیق د. محمود یزدی مطلق، قسم الدراسات الفلسفیه والکلامیه

لأن ترک ذلک يُعُّد قدحاً فی الرساله وطعناً فی النبوّه هذا فيما يتعلّق بالكذب، أما فی ما يتعلق بسائر القبائحَ ولو كانت صغيره فإنّها توجب النفره منهم وانتفاء تلقی أقوالهم وقبولها، (ولا يجوز أنَّ يبعث الله تعالی من يوجب علينا اتباعه وتصديقه وهو علی صفه تنفر عنه، فقد جنب الله الفظاظه والغلظه والخلق المشينه وكثيراً من العلل القبيحه لأجل التنفير فأولی أنَّ يجنب القبائح كذلک)(۱).

ومما يعاضد هذا القول، هو: (وأما القبائح الأخری فإنّ دليل التنفير يؤمن عن جميعها، لأنّ من يجوز وقوع القبائح منه، فلا يرغب فی القبول عنه ولا تميل نفوسنا إلی الإقتداء به ولما كان الغرض فی إرسال الرسل والاقتداء بهم والقبول عنهم والتأسی بفعلهم وقولهم وجب أنَّ يكون الرسول منزهاً عن كل ما ينفر عنه ويتعذّر منه)(۲).

وعليه فكان المعجز قد وقع وأيد مدعی النبوّه والرساله علی أتم وجه وأكمل صوره، إذ يقبح عقلاً أنَّ يبعث الله تعالی أو يوسط بنيه وبين خلقه من هو كاذب غير أمين.

ومما اتفق عليه المفيد والطوسی والمرتضی رحمهم الله فی وجوب عصمه الأنبياء عليهم السلام من القبائح جميعها صغيرها وكبيرها قبل النبوه وبعدها عملاً وسهواً(۳) ، إذ إنّه استدل بجماليه العقل وكماله فی أنَّ القبيح إذا كان كذباً فإنّه

۱- (۱) ظ: الحلّی: كشف المراد ۳۷۵، المجلسی بحار الأنوار ۱۰۹:۱۷.

۲- (۲) قطب الدين النيشابوری، التعليق فی علم الكلام ۱۷۲.

۳- (۳) ظ: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ۲۶۰، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ط ۲، ۱۴۰۹ ه -- ۱۹۸۶ م.

سيؤدى إلى أنّ الله تعالى سيصدق الكذابين، وتصديق الكذابين قبيح ولا يجوز على الله تعالى وأما جميع القبائح الأخرى غير الكذب، فإنّنا لو جوّزناها عليهم فهذا يعنى جواز أنَّ يبعث الله نبياً يأمرنا باتباعه، فى حين هو على صفه تنفر الناس عنه ثم أنّه استعار عبارات المرتضى رحمه الله نفسها التى قال فيها: ولهذا جنب الله تعالى الأنبياء عليهم السلام الفظاظه والخلق المشينه والأمراض المنفره لما كانت هذه الأشياء منفره بالعاده(١).

من هنا نكشف أنّ كل ما يقدح فى صاحب هذا المقام، يقدح فى الامتثال ويزحزحه، فلابد أنَّ يكون المعصوم مؤيداً بالبعد عن جميع ما يكون منفراً عنه مبعداً، ولعلّ هذا أقرب للوقوع من إظهار المعجز.

الدليل الثانى: امتناع إيذاء المعصوم عليه السلام

إنّه لو جاز للمعصوم أنَّ يعصى لوجب إيذاؤه والتبرؤ منه، لأنّه من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لكن الله تعالى نص على تحريم إيذاء المعصوم عليه السلام فقال:(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً) (الأحزاب / ٥٧).

وفى ذلك يقول العلامه الحلى رحمه الله (إنّه إذا فعل معصيه وجب الإنكار عليه لعموم وجوب النهى عن المنكر وذلك يستلزم إيذاءه وهو منهى عنه وكل ذلك محال)(٢).

١- (١) المصدر نفسه ٢٦٠-٢٦١ ظ: ظ: العلاّمه الحلّى أبو منصور الحسن بن يوسف المطهرّ (ت ٧٢٦ ه -)، مناهج اليقين ٤٤٧، تحقيق يوسف الجعفرى، انتشارات دار الأسوه ط ١، ١٤١٥ ه -.

٢- (٢) كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد ٣٧٦، ظ: العلامه الحلى، مناهج اليقين ٤٢٦.

وما نلاحظهُ كذلك عند نور الله التسترى (ت ۱۰۱۹ ه -) من ردّه على أدله منكرى عصمه الأنبياء عليهم السلام دليل على عصمتهم عليهم السلام من خلال انتفاء صدور الذنب عنهم فهو يرى (إن صدر عنهم ذنب وجب زجرهم وتعنيفهم لوجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإيذائهم حرام إجماعاً ولو أذنبوا لدخلوا أيضاً تحت قوله تعالى:

(وَ مَنْ يَعْصِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ) (الجن / ۲۳).

وتحت قوله تعالى:(أَلا لَعْنَهُ اللّهِ عَلَى الظّالِمِينَ) (هود / ۱۸).

وتحت قوله تعالى لوماً وذمهً (لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ) (الصف / ۲).

وقوله تعالى:(أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) (البقره / ۴۴).

فيلزم كونهم موعودين بعذاب جهنم وملومين ومذمومين، وكل ذلك باطل إجماعاً وهذا الدليل يدل على عصمتهم من كل الذنوب وغيرها أيضاً)(۱).

وينطلق الفخر الرازى فى إثبات العصمه لهم عليهم السلام من مبدأ انتفاء جواز زجر الأنبياء عليهم السلام إذ قال: (لو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم، لأنّ الدلائل داله على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لكن زجر الأنبياء عليهم السلام غير جائز لقوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً) (الأحزاب/ ۵۷) فكان صدور الذنب عنهم ممتنعاً)(۲).

۱- (۱) ظ: نور الله الحسينى المرعشى التُسترى (ت ۱۰۱۹ ه -) تحقيق شهاب الدين النجفى المرعشى ۲۰۲:۲ منشورات مكتبه آيه الله المرعشى النجفى، إيران - قم (ب ت ط).

۲- (۲) عصمه الأنبياء ۱۰.

ولا يبتعد السيد عبد الله شبررحمه الله عمن سبقه فى امتناع إيذاء النَّبى لانتفاء جواز ذلك فانطلق بهذا لإثبات العصمه لهم عليهم السلام قال: (إنّه لو جاز أنَّ يعصى لوجب إيذاؤه والتبرؤ منه من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لكن الله تعالى نص على تحريم إيذاء النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم، فقال:(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً)١ (الأحزاب/ ٥٧).

الدليل الثالث: الاحتياج للمعصوم

من الأدله العقليه التى تثبت بحق عصمه الأنبياء عليهم السلام هو احتياج الأمه ووجود المعصوم فالعله التى أحوجنا إلى وجود النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الأرض هى نفى عصمه الخلق لأنّهم لو كانوا معصومين لم يحتاجوا إلى الأنبياء عليهم السلام فلو كان الأنبياء عليهم السلام غير معصومين لكانوا محتاجين إلى غيرهم لوجود عله الحاجه فيهم، فيكون الكلام فى غيرهم كالكلام فيهم فيؤدى إلى وجود أنبياء لا نهايه لهم فيبطل، فثبت وجوب عصمتهم، وهذا المعنى ما يفهم من خلال التدبرّ فى شرح العلاّمه الحلى لكلام الطوسى رحمهما الله المستدل على وجوب العصمه بامتناع التسلسل(١).

وإن كان كلامه فى الإمام إلاّ أنّ هذا يمكن تسريه إلى الأنبياء عليهم السلام لاشتراكهم فى صفه (العصمه) وللوقوف على شرح ذلك ما نجده عند العلامه

١- (٢) ظ: كشف المراد ٣٩٠، ظ: العلامه الحلى رحمه الله مناهج اليقين ٤٢٦.

الحلی رحمه الله إذ یقول: (إنّ الإمام لو لم یکن معصوماً للزم التسلسل ومن ثم باطل فالمقدم مثله، بیان الشرطیه، إن المقتضی لوجوب نصب الإمام هو تجویز الخطأ علی الرعیه فلو کان هذا المقتضی ثابتاً فی حق الإمام وجب أنَّ یکون له إمام آخر وبتسلسل أو ینتهی إلی إمام لا یجوز علیه الخطأ فیکون هو الإمام الأصلی)(۱).

وأما وجوب العصمه عند السید شبررحمه الله فیبررها بنفی خطأ المعصوم (لأنه لو کان یخطأ لاحتاج إلی من یسدّده ویمنعه عن خطأ وینبهه علی نسیانه، فأما أنَّ یکون معصوماً فیثبت المطلوب أو غیر معصوم فیتسلسل)(۲).

فیکون بذلک معصوماً لانتفاء ثبوت الخطأ بحقّه ولأنّه ممّن وثق بإتباعه وانتهاج مسلکه، وهذا هو الذی دعی السید إبراهیم الحجازی (ت ۱۲۲۳ ه -) إلی الاستدلال بذلک لإثبات العصمه، إذ رأی (أنّ وجه الحاجه إلی النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم والإمام علیه السلام هو جواز الخطأ وصدور المعصیه عن الأمه، فلو جاز علیهم ذلک لاحتاجوا إلی مرشد آخر، لاشتراک العله ولزوم الترجیح بلا مرجّح فی دور أو بتسلسل)(۳).

وهذا یدل علی إنتفاء عروض الخطأ علیهم (صلوات الله علیهم) وجوازه فی حق الأمه الأمر الذی دعا إلی وجوب الاقتداء بهم واتباعهم لأنّهم معصومون مطهرون وهداه مهدیون.

۱- (۱) المصدر نفسه ۳۹۰.

۲- (۲) حق الیقین ۹۲:۱.

۳- (۳) آیات العقائد ۱۸۶ تحقیق رامین المانی، مجمع البحوث الإسلامیه، مشهد ط ۱، ۱۴۲۴ ه -.

الدليل الرابع: وجوب متابعه المعصوم عليه السلام

يساق هـذا الـدليل للزوم العصـمه للأنبياء عليهم السـلام، وضـروره نفى صدور الذنب عنهم كى يكون نافياً لاجتماع الضدين أى الإتبـاع وتركه بتقرير، لو صـدر ذنب منه عليه السـلام لزم طـاعته لأـنّ مقامه يقتضـى هـذا، ويجب عصـيانه لأنّ ما جاء به ذنب بل يجب منعه والإنكار عليه فيلزم من ذلك اجتماع الضدين وهو باطل لا محاله.

لذا يرى أبو الصـلاح الحلبى (ت ۳۷۴ ه -) أنّ العصـمه من الصـفات التى يجب أنَّ يتحلّى بها الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم فيمـا يؤدى (لأـنّ تمنع الخطأ عليه فى الأداء تجويز من الثقه به ويسـقط فرض إتباعه وذلك ينقض جمله الغرض من إرساله، وأن يكون معصوماً من القبائح لكونه رئيساً وملطوفاً برئاسه غيره)(۱).

إذن فرض إتبـاعه نفى تجويز الخطـأ عليه وجوب الثقه به لتنزهه عن القبائـح وسـائر مـا تحل بعصـمته عليه السـلام فيكون اجتماع الضدين غير وارد هنا لاحتياج غيره إليه فتكون العصمه حاصله له.

ويرى العلامه الحلى رحمه الله لزوم عصـمته عليه السلام (أنّه حافظ للشرع ولوجوب الإنكار عليه لو أقدم على المعصيه فيضاد أمر الطاعه ويفوت الغرض من نصبه(۲) ، وبهذا تكون عصمه ثابته لانتفاء إقدامه على المعصيه لأنّه ممن وقع عليه الاختيار والاصطفاء وأُيد بروح القدس.

۱- (۱) أبو الصلاح الحلبى، تقريب المعارف: ۱۵۳، تحقيق فارس تبريزيان الحسون انتشارات/ المحقق، ۱۴۱۷ ه -.

۲- (۲) كشف المراد ۳۹۰-۳۹۱، ظ: العلامه الحلى مناهج اليقين ۴۲۶.

ویستدل التستری أیضاً علی عصمتهم بإتباعهم علیهم السلام (لأنّ لو صدر عنهم ذنب لحرّم إتباعهم فیما صدر عنهم ضروره أنّه یحرم ارتکاب الذنب، وإتباعهم واجب للإجماع علیه، لقوله تعالی:(قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللّهُ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ) (آل عمران / ۳۱) وهذا الدلیل یوجب عصمتهم عن الصغائر والکبائر)(۱).

فتکون نتیجه ذلک أنّهم معصومون فیجب إتباعهم والاقتداء بهم ولا یکاد یبتعد السید شبررحمه الله عمّن سبقه فی الاستدلال علی عصمتهم علیهم السلام بما یقابل النقیض، لأنّه یری أنّ المعصوم (إن فعل المعصیه فإمّا أنَّ یجب علینا إتباعه فیها فیکون قد وجب علینا فعل ما وجب ترکه واجتمع الضدان وإن لم یجب انتفت فائده البعثه)(۲).

ومن هنا وجب کونه معصوماً لأنّه لا یمکن أنَّ تکون بعثته عبثاً وبلا فائده - تعالی الله عن ذلک -.

ویؤکد السید إبراهیم الحجازی وجوب عصمتهم لاستبعاد جواز الخطأ والنسیان علیهم علیهم السلام فیری (أنا مأمورون باتباعهم وترک الاعتراض علیهم فلو جاز الخطأ والنسیان لوجب متابعتهم فیها للأمر بها والأمر بإتباع الخطأ قبیح)(۳).

ولهذا یقول المظفررحمه الله: (إنّه لو جاز أنَّ یفعل النَّبی المعصیه، أو یخطأ وینسی وصدر منه شیء من هذا القبیل، فأما أنَّ یجب علینا اتباعه فی فعله الصادر

۱- (۱) إحقاق الحق وإزهاق الباطل ۲:۲۰۲.

۲- (۲) حق الیقین: ۹۱.

۳- (۳) آیات العقائد: ۱۸۵.

منه عصياناً أو خطأ أو لا يجب، فإن وجب اتباعه فقد جوزنا فعل المعاصى برخصةٍ من الله تعالى، بل أوجبنا ذلك وهذا باطل بضروره الدين والعقل، وإن لم يجب اتباعه فذلك ينافى النبوّه التى لابد أنَّ تقترن بوجوب الطاعه أبداً)(١).

ومن هذا يظهر أنّ النّبى لا تنفك عنه العصمه لضروره الاتباع والإقتداء به لأنّه الهادى للحق ولأنّ غايته الرساله والغرض منها هو حفظ الأمه وصونها من الإنحراف وهذا لا يكون إلاّ بكون حامل الرساله منزهاً عن كل ما يورث الريب والشك فى صدقه والابتعاد عن دعواه، فلم يبق إلاّ أنَّ يكون معصوماً من دون غيره الذى هو محط لحدوث المنكرات صغيرها وكبيرها.

الدليل الخامس

ما ذُكر من أنّ الأنبياء لو أذنبوا لردت شهادتهم إذ لا شهاده للفاسق بالإجماع واللازم باطل بالإجماع، لأنّ ما لا تقبل شهادته فى القليل الزائد من متاع الدنيا كيف تسمع شهادته فى الدين القيّم إلى يوم القيامه(٢).

١- (١) ظ: الشيخ محمد رضا المظفر، عقائد الإماميه: ٥٤، مؤسسه أنصاريان، ط ٦، إيران - قم ١۴٢۴ ه -- ٢٠٠٣ م.

٢- (٢) ظ: إحقاق الحق ٢:٢٠٠، ظ: الفخر الرازى، عصمه الأنبياء ٩، عبد الله شبر، حق اليقين ١:٩٢.

المبحث الثانی: القول بالعصمه الجزئیه للأنبیاء علیهم السلام وأدلتهم

المطلب الأول: الأدله النقلیه

أولاً: الأدله القرآنیه

اشاره

هناک طوائف من الآیات المبارکات تمسک بها عدد من المخطئه لعصمه الأنبیاء علیهم السلام بما یوهم بادئ النظر أنّها تخالف آیات العصمه تذرّعت بها بعض الفرق الإسلامیه التی جوّزت المعصیه علی الأنبیاء بصورها المختلفه، وهی علی طوائف عدّه، نکتفی بإیراد نماذج من هذه الآیات الکریمات.

الأولی: ما یمس ظاهرها عصمه جمیع الأنبیاء علیهم السلام.

الثانیه: ما یمس عصمه عدد منهم علیهم السلام.

الثالثه: ما یمس ظاهرها عصمه نبیّنا الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم.

الطائفه الأولی: ما یمس ظاهرها عصمه الأنبیاء جمیعهم علیهم السلام

منها: قوله تعالی:(حَتّی إِذَا اسْتَیْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ کُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّیَ مَنْ نَشاءُ وَ لا یُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِینَ) (یوسف / ۱۱۰).

استدل القائل بنفی وجود العصمه فی الأنبیاء علیهم السلام بظاهر الآیه بأنّ الضمائر الثلاثه فی قوله تعالی:(وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ کُذِبُوا) (یوسف/ ۱۱۰) ترجع إلی الرسل ومفاد الآیه أنّ رسل الله سبحانه وتعالی وأنبیاءه علیهم السلام کانوا ینذرون قومهم، وکان القوم یخالفونهم أشد المخالفه، وکان الرسل یعدون المؤمنین بالنصر عن الله والغلبه ویوعدون الکفّار بالهلاک والإباده لکن لما تأخر النصر الموعود وعقاب الکافرین (وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ کُذِبُوا) (یوسف/ ۱۱۰) فیما وعدوا به من جانب الله من نصر المؤمنین وإهلاک الکافرین، ومن المعلوم أنّ هذا الظن سواء أکان بصوره الإذعان والیقین أم بصوره الزعم والمیل إلی ذلک الجانب، اعتقاد باطل لا یجتمع مع العصمه، التی هی خلاف الظن وفوق کل شبهه.

درس الزمخشری هذه الآیه المبارکه بعرض روایه عن ابن عباس رحمه الله إذ روی عنه من أنّ الرسل لما ضعفوا وغلبوا ظنّوا أنّهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر، وقال کانوا بشراً، وتلا قوله:(وَ زُلْزِلُوا حَتّی یَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ مَتی نَصْرُ اللّهِ) (البقره / ۲۱۴).

فیری الزمخشری أنّ صح هذا القول عن ابن عباس، فقد أراد بالظن ما یخطر بالخلد ویهجس فی القلب من شبه الوسوسه وحدیث النفس علی ما علیه البشریه وأما الظن الذی هو ترجیح أحد الجائزین علی الآخر، فغیر جائز علی رجل من المسلمین، فما بال رسل الله الذین هم أعرف الناس بربهم، وأنّه متعال عن خلف المیعاد منزه عن کل قبیح(۱).

ورؤیه الزمخشری هذه مجانبه للحقیقه بعض الشیء، لأنّ فی کلامه هذا ما لا

۱- (۱) ظ: الکشاف ۲:۴۸۰.

يناسب مقام الأنبياء عليهم السلام إذ فسرّ الظن بما خطر فى الذهن من تلك الحاجه وحديث النفس الذى يعرض لكل بشر.

وأما الفخر الرازى فقد قرأ فى الآيه بوجهين، تاره بتخفيف (كذبوا) وأخرى بتشديدها.

أما الأول: أنّ الظن واقع بالقوم، أى حتى إذا استيأس الرسل من إيمان القوم فظن القوم أنَّ الرسل كذبوا فيما وعدوا من النصر والظفر.

أما الثانى: أنَّ يكون المعنى أنّ الرسل ظنوا أنّهم قد كذبوا فيما وعدوا وأما القراءه بالتشديد فكذلك تحمل وجهين:

(١) أنّ الظن بمعنى اليقين، أى وأيقنوا أنّ الأمم كذبوهم تكذيباً لا يصدر منهم الإيمان بعد ذلك فحينئذٍ دعوا عليهم.

(٢) أنَّ يكون الظن بمعنى الحسبان والتقدير حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم فظن الرسل أنّ الذين آمنوا بهم كذبوهم، وهذا التأويل منقول عن عائشه وهو من أحسن الوجوه المذكورين فى الآيه(١).

ومنها: قوله تعالى:(وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلاّ إِذا تَمَنّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللّهُ ما يُلْقِى الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللّهُ آياتِهِ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (الحج / ٥٢).

تمسك القائلون بنفى العصمه المطلقه للأنبياء عليهم السلام بدلاله هذه الآيه على إلقاء الشيطان فى أُمنيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو النبىّ بالتدخل فى الوحى النازل عليه فيغيره إلى غير ما نزل به، مستندين فى ذلك إلى روايه واهيه

١- (١) ظ: مفاتيح الغيب ٨:٢٢٦، القرطبى، الجامع لأحكام القرآن ٥:١٨٦,

فی سبب نزولها أظلت کثیراً من المفسرین. فالأمنیه فی القرآن قد تأتی ویراد منها التلاوه والقراءه، علی ما أشار إلیه الراغب الأصفهانی فی قوله:(أَلْقَی الشَّیْطانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ) (الحج/ ۵۲) أی: فی تلاوته(۱).

ومن مدخل الأمنیه هذا یلج بعض المفسرین لیطعن فی خلاله بعصمه الأنبیاء علیهم السلام وقالوا إن المراد من الآیه هو أنّ ما من رسول ولا نبی إلّا إذا تمنی وتلا الآیات النازله علیه، تدخل الشیطان فی قراءته فأدخل فیها ما لیس منها، واستشهدوا لذلک بما رواه الطبری عن مُحَمَّد بن کعب القرضی، ومُحَمَّد بن قیس قالا: جلس رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی نادٍ من أندیه قریش کثیر أهله فتمنی یومئذ أنَّ لا یأتیه من الله شیء فینفروا عنه، فأنزل الله علیه:(وَ النَّجْمِ إِذا هَوی * ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی) (النجم / ۱-۲).

فقرأها صلی الله علیه وآله وسلم حتی إذا بلغ (أَ فَرَأَیْتُمُ اللاّتَ وَ الْعُزّی * وَ مَناهَ الثّالِثَهَ الْأُخْری) (النجم ۱۹-۲۰).

ألقی علیه الشیطان کلمتین: ((تلک الغرانقه العلی، وأن شفاعتهن لترتجی)) فتکلم بها ثم مضی فقرأ السوره کلها فسجد فی آخر السوره وسجد القوم جمیعاً معه، ورفع الولید بن المغیره تراباً إلی جبهته فسجد علیه وکان شیخاً کبیراً لا یقدر علی السجود فرضوا بما تکلم به وقالوا قد عرفنا: أنّ الله یحیی ویمیت وهو الذی یخلق ویزرق، ولکن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده إذا جعلت لها نصیباً فنحن معک، قالا: فلما أمسی أتاه جبرائیل علیه السلام فعرض علیه السوره، فلما بلغ الکلمتین اللتین ألقی الشیطان علیه قال: ما جئتک بهاتین، فقال رسول الله صلی

۱- (۱) ظ: المفردات فی غریب القرآن، ماده (منی) ۸۷۰.

الله عليه وآله وسلم افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل فأوحى الله عليه (وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَ إِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا * إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً) (الإسراء/ ۷۳-۷۵)، فما زال مغموماً مهموماً حتى نزلت عليه:(وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلاّ إِذا تَمَنّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللّهُ آياتِهِ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (الحج / ۵۲)، قال فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشه أنّ أهل مكه قد أسلموا كلهم فرجعوا إلى عشائرهم وقالوا: هم أحب إلينا فوجدوا قد ارتكوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان(۱).

ومع وهن الروايه وانتفاء لياقتها بنبى الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وضعفها إلاّ أنّ الزمخشرى أخذ بها مع علمه بمنافاتها لصريح القرآن الكريم وهو ينصّ (وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى) (النجم ۳-۴) يرى أنّ الشيطان وسوس إليه بما يشيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أنَّ قال (تلك الغرانيق العلى، وأن شفاعتهن لترتجى)(۲).

ثم أنّه بعد ذلك يرى أنّ كل هذا كان تمكين الشيطان من ذلك محنه وابتلاء من الله له، لأنّ الرسل والأنبياء من قبله كانوا كذلك إذا تمنوا مثل ما تمنى، مكن الله الشيطان ليلقى فى أمانيهم مثل ما ألقى فى أمنيته(۳).

ولكن الفخر الرازى يرى أنّ الروايه عند أهل التحقيق باطله وموضوعه

۱- (۱) ظ: تفسير الطبرى ۱۳۱:۱۷، مختصر تفسير ابن كثير ۵۶۲:۲.

۲- (۲) الكشاف ۱۶۷:۳.

۳- (۳) المصدر نفسه ۱۶۷:۳.

بحیث احتجوا علیها بالقرآن والسنّه المعقول(۱).

ولکنه یقول بعد ذلک (لا یبعد أنّه إذا قوی التمنیّ اشتغل الخاطر به فیحصل السهو فی الأفعال الظاهره بسببه فیصیر ذلک فتنه للکفار(۲).

وبعد أنَّ ینقل القرطبی التجاذبات عن الحدیث بین مؤید ورافض له یستحسن ما أوردهُ القاضی عیاضّ فی شفائه بعد أنَّ ذکر الدلیل علی صدق النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم وإجماع الأمه علی عصمته فی التبلیغ، حیث إنّه یشکل علی الحدیث بمأخذین: أحدهما فی توهین أصل الحدیث، والثانی: علی فرض صحته فیری فی الجانب الأول أنّ الحدیث لم یخرجه أحد من أهل الصحه ولا روی بسند صحیح سلیم متصل وإنّما أولع به المولع بکل غریب من المفسرین.

وأما المأخذ الثانی المبنی علی تسلیم الحدیث لو صح أجاب عنه أئمه المسلمین بجوابات أرجحها أنّ النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم کان قد أمره ربه بترتیل القرآن ترتیلاً وتفصیل الآی تفصیلاً فی قراءته، فیمکن ترصد الشیطان لتلک السکنات ودسّه فیها ما اختلقه من تلک الکلمات محاکیاً نغمه النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم بحیث یسمعه من دنی إلیه من الکفار، فظنوها من قول النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم وأشاعوها(۳).

وهذا فی الواقع ضرب من الخیال أنَّ یأتی الشیطان ویتحدث ویسمعه الناس فیمتزج صوته مع صوت النَّبی حتی یظنون أنّ القائل هو النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم.

۱- (۱) التفسیر الکبیر ۴۴:۲۳.

۲- (۲) المصدر نفسه ۴۸:۲۳.

۳- (۳) ظ: الجامع لأحکام القرآن ۵۸:۶.

الطائفه الثانيه: ما يمس ظاهرها عصمه بعض الأنبياء عليهم السلام

نحاول هنا أنَّ ندرس نماذج من الآيات التى استدل بها المخطئه لعصمه الأنبياء عليهم السلام وإلاّ فالآيات كثيره ونحن فى غنى عن ذكرها للاختصار.

الأول: ما يتعلق بنبى الله آدم عليه السلام

(١) قوله تعالى:(وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى) (طه / ١٢١).

قالوا هذا تصريح بوقوع المعصيه المستتبعه للعتاب واللوم، والتى لا تكون إلاّ قبيحه، وأكده تعالى بقوله (فَغَوى) والغىّ ضد الرشد، واستدلوا بها على أنّ آدم عليه السلام قد عصى ربّه وأطاع إبليس، وهذا خطأ منه كان سبباً فى إخراجه من الجنه، وأنّ الله قد تعهد تخطئه آدم لحكمه من أجل إخراجه من الجنه حتى يعمر الأرض لأنّ الله قد خلقه لذلك.

ينقل الزمخشرى فى تفسيره روايه عن ابن عباس جاء فيها أنّ آدم لم يتمثّل ما رسم الله له، وتخطى فى ساحه الطاعه، وذلك هو العصيان وبعصيانه هذا خرج عن حد الرشد إلى مستوى الغى لا محاله لأنّه خلاف الرشد، ثم يسترسل الزمخشرى فى بيان العصيان إذ إنّه تعالى لم يقل أنَّ أدم عليه السلام أنزل أو أخطأ وإنما قال بصريح العباره أنَّهُ (عَصى) فيرى فى هذا اللطف بالمكلفين ومزجره بليغه وموعظه كافه وكأنّه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النَّبى المعصوم حبيب الله الذى لا يجوز عليه اقتراف إلاّ الصغيره غير المنفره زلته بهذه الغلطه(١).

والفخر الرازى يرى فى العصيان إقترافاً كبيراً استوجب معها آدم عليه

١- (١) الكشاف ٣:٩٤.

السلام أنَّ يكون عاصياً استحق لوماً وتعنيفاً بل عقوبةً إذ يرى أنّ آدم عليه السلام:

(١) (كان عاصياً والعاصى لابد أنَّ يكون صاحب كبيره، وإنّما قلنا: إنّه عاصٍ لقوله تعالى:(وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى) (طه / ١٢١) - ثم قال - وإنّما قلنا إنّ العاصى صاحب الكبيره لوجهين:

«احدهما»: إنّ النص يقتضى كونه معاقباً وهو قوله تعالى:(وَ مَنْ يَعْصِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها وَ لَهُ عَذابٌ مُهِينٌ) (النساء/ ١۴) ولا معنى لصاحب الكبيره إلاّ من فعل فعلاً يعاقب عليه.

«ثانيهما»: إنّ العصيان اسم ذم فلا يطلق إلاّ على صاحب الكبيره).

(٢) إنه تائب والتائب مذنب، وإنّما قلنا إنه تائب لقوله تعالى:(ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى)١ (طه ١٢٢) والظاهر أنَّ التوبه هنا من الله على عبده أى أنَّ الله رجع عليه بالرحمه واللطف لأنّ التوبه إذا نسبت إلى الله تعالى تتعدى بكلمه «على» كما فى قوله تعالى (فَتابَ عَلَيْهِ) وهذا المعنى تجاوزه الرازى ونسب التوبه إلى آدم فيكون هذا خلاف صريح الآيه.

ويعرض القرطبى للآيه المباركه «ست مسائل» نقف عند موضع الحاجه إليها إذ نسب فى المسأله الأولى القول إنّ الله تعالى قد أخبر بوقوع الذنب من بعض الأنبياء عليهم السلام ونسبها إليهم وعاتبهم عليها وهم بدورهم أخبروا بذلك عن نفوسهم وتنصلوا منها واستغفروا منها وتابوا(١).

١- (٢) الجامع لأحكام القرآن ۶:١٧۶.

فكأنّما أراد القرطبی ومن سبقه أنَّ یثبتوا ویبرّروا لآدم علیه السلام خطأ ارتکبه وذنباً اقترفه إذ أنَّهُ کسائر الأنبیاء فی اقتراف الذنب والخطأ والاستغفار منه الإطلاع عنه یستحق معه اللوم والعتاب والتأنیب.

فلاـ یمکن القبول بالقول: إنَّ آدم قد أخطأ، أو أنَّ الله تعالی قد تعمد تخطئته لحکمه منه، فإذا کان الله عزّ وجلّ هو الذی خطأ آدم، فما ذنبه حتی یعاقبه أو یعاتبه ویجعله من أهل الغوایه علی فعله هو مجبر فیها، ألیس هذا منافیاً للعدل الإلهی والعصمه النبویه.

(۲) قوله تعالی:(هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَهٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِیَسْکُنَ إِلَیْها فَلَمّا تَغَشّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِیفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَیْتَنا صالِحاً لَنَکُونَنَّ مِنَ الشّاکِرِینَ * فَلَمّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَکاءَ فِیما آتاهُما فَتَعالَی اللّهُ عَمّا یُشْرِکُونَ * أَ یُشْرِکُونَ ما لا یَخْلُقُ شَیْئاً وَ هُمْ یُخْلَقُونَ * وَ لا یَسْتَطِیعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَ لا أَنْفُسَهُمْ یَنْصُرُونَ) (الأعراف/ ۱۸۹-۱۹۲).

استدل المخطئه لعصمه الأنبیاء علیهم السلام بقوله تعالی:(فَلَمّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَکاءَ) (الأعراف/ ۱۹۰)، إذ قالوا: إن ضمیر التثنیه فی کلا الموردین یرجع إلی آدم وحوّاء المشار لهما فی صدر الآیه المبارکه.

ولذا نری أنَّ الزمخشری یستحسن الرأی الذی یذهب إلی أنَّ الضمیر یعود إلیهما ولأعقابهما الذین - بحسب ما یری الزمخشری - اقتدوا بهما فی الشرک، إذ أنَّ صنیع الشرک فی الآیه هو تسمیه أولادهم الأربعه بعد مناف وعبد العزی وعبد قصی وعبد الدار مکان عبد الله وبعد الرحمن وعبد الرحیم(۱).

۱- (۱) ظ: الکشّاف ۱۷۷:۲، مختصر تفسیر ابن کثیر ۷۵:۲ مصدر سابق.

ولا- أدری من أین جاء وجه الاستحسان بجعل النبیّ آدم علیه السلام مشرکاً، فهذا توجیه بعید عن حقیقه النبوه والعصمه والاصطفاء کما یقول تعالی:(إِنَّ اللّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِیمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِینَ) (آل عمران/ ۳۳).

ولا- یکاد یختلف الرازی عن الزمخشری وغیره من القائلین بجزئیه العصمه، عندما یذهب إلی أنّ مراد الآیه یقتضی صدور الشرک عنها، ثم زاد فی الطین بلّه باعتماده نصوص روائیه(۱) فی دفع الآیه باتجاه معنی یؤکد الفهم القائم علی ظاهرها والموصی بوقوع الخطأ إذ یقول: (ثم قالوا إنّ إبلیس لما أنَّ حملت حواء عرض لها ولد فقال لها: إن أحببت أنَّ یعیش ولدک فسمیه بعبد الحارث، کان إبلیس یسمی الحارث فلما ولدت سمته بهذه التسمیه، فلذا قال الله تعالی:(فَلَمّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَکاءَ فِیما آتاهُما فَتَعالَی اللّهُ عَمّا یُشْرِکُونَ)۲ (الأعراف/ ۱۹۰).

(۳) قوله تعالی:(فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّیْطانُ لِیُبْدِیَ لَهُما ما وُورِیَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما وَ قالَ ما نَهاکُما رَبُّکُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَهِ إِلاّ أَنْ تَکُونا مَلَکَیْنِ أَوْ تَکُونا مِنَ الْخالِدِینَ * وَ قاسَمَهُما إِنِّی لَکُما لَمِنَ النّاصِحِینَ * فَدَلاّهُما بِغُرُورٍ فَلَمّا ذاقَا الشَّجَرَهَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَ طَفِقا یَخْصِفانِ عَلَیْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّهِ وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أَنْهَکُما عَنْ تِلْکُمَا الشَّجَرَهِ وَ أَقُلْ لَکُما إِنَّ الشَّیْطانَ لَکُما عَدُوٌّ مُبِینٌ * قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ * قالَ اهْبِطُوا بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَکُمْ فِی الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلی

۱- (۱) ظ: القرطبی الجامع لأحکام القرآن ۴:۲۶۰.

حِينٍ) (الأعراف / ۱۹-۲۴).

هذه واحده من الآیات التی استدل بها المخطئون لعصمه الأنبیاء إذ قالوا إن النَّبی آدم علیه السلام استحق اللوم والعتاب والتوبیخ هنا لمخالفته أمر منهی عنه وهذا نوع من الإخلال بالعصمه.

قال الزمخشری (عتاب عن الله تعالی وتوبیخ وتنبیه علی الخطأ حین لم یتحذرا مما حذرهما الله من عداوه إبلیس، وروی أنّه قال لآدم علیه السلام ألم یکن لک فیما منحتک من شجر اللجنه منـدوحه من هـذه الشجره؟ فقال: بلی وعزتک ولکن ما ظننت أنَّ أحداً من خلقک یحلف بک کاذباً، قال: بعزّتی لأحبطنک إلی الأرض ثم لا تتناول العیش إلاّ نکداً)(۱).

ویذهب مُحَمَّد رشید رضا إلی إثبات وقوع ما یوجب العتاب من آدم علیه السلام إذ إنّه قد ارتکب ما یوجب عتابه ولومه إذ یری أنَّ الاستفهام فی قوله تعالی (أَ لَمْ أَنْهَکُما) (الأعراف/ ۲۲) للعتاب والتوبیخ، أی وقال لهما ربهما الذی یربیها فی طور المخالفه والعصیان کما یربیها فی حال الطاعه والإذعان (أَ لَمْ أَنْهَکُما عَنْ تِلْکُمَا الشَّجَرَهِ)۲ (الأعراف/ ۲۲).

وزعم البیضاوی أنَّ الآیه بصدد إثبات أنَّ آدم علیه السلام لم یلتزم بما نهی عنه وانجر وراء قول إبلیس فالآیه (عتاب علی مخالفه المنهی عنه، وتوبیخ علی الاغترار بقول العدو، وفیه دلیل علی أنَّ مطلق النهی للتحریم)(۲).

۱- (۱) الکشاف ۹۹:۲.

۲- (۳) تفسیر البیضاوی ۷۳:۲.

ويبدو لنا أنَّ هذا لا يصحّ فى حق الأنبياء عليهم السلام وهم عقلاء البشر وأصحهم إدراكاً وأصفاهم نفساً، فلا يمكن أنَّ يكونوا - ومنهم آدم عليه السلام - عاجزين عن إدراك ما يفعله ويدركه سائر الناس ولاسيما فيما له مساس بإدراك جهات الحسن والقبح، فعليه لا يمكن أنَّ يكون آدم عليه السلام قد إرتكب نهياً تحريمياً استحق بموجبه صفه العصيان.

الثانى: ما يتعلق بنبى الله نوح عليه السلام

قال تعالى: (وَ هِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ وَ نادى نُوحٌ ابْنَهُ وَ كانَ فِي مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَ لا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ * قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَ حالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ * وَ نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ * قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ) (هود / ۴۲-۴۶).

استدل الذاهبون إلى نفى عصمه نوح عليه السلام بهذه الآيه المباركه من خلال الخطاب القرآنى المتوجه له عليه السلام إذ أنَّهُ عليه السلام خاطب ربه فى قضيّه ابنه الذى أصبح من المغرقين، ومنهم الزمخشرى إذ ذهب إلى أنَّ نوح عليه السلام إنما عوتب فى الآيه المباركه لأنّه أشتبه عليه ما يجب أنَّ لا يشتبه عليه(۱).

ولذا فإنَّ ظاهر قوله تعالى:(إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ)

۱- (۱) ظ: الكشاف ۳:۳۷۹.

(هود/ ۴۶) یدل علی أنّه لم یکن ابناً، وإذا کان کذلک کان قوله (إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی) (هود/ ۴۵) کذباً فهو معصیه.

الثانی: أنَّ سؤال نوح علیه السلام کان معصیه لثلاث آیات:

(أ) قوله: (فَلا تَسْئَلْنِ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّی أَعِظُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْجاهِلِینَ) (هود/ ۴۶).

(ب) قوله خبراً عن نوح (قالَ رَبِّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَسْئَلَکَ ما لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ وَ إِلاّ تَغْفِرْ لِی وَ تَرْحَمْنِی أَکُنْ مِنَ الْخاسِرِینَ) (هود/ ۴۷).

(ج) قوله:(إِنَّهُ عَمَلٌ غَیْرُ صالِحٍ)۱ (هود/ ۴۶).

والظاهر أنَّ فی قوله (فَلا تَسْئَلْنِ) (هود/ ۴۶) نهیاً عمّا لم یقع بعد قول نوح بعد استماع خطابه سبحانه (رَبِّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَسْئَلَکَ ما لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ) (هود/ ۴۷) ولو کان سأل شیئاً من قبل لکان علیه أنَّ یقول: أعوذ بک مما سألت، وأما طلب الغفران فی قوله:(وَ إِلاّ تَغْفِرْ لِی وَ تَرْحَمْنِی أَکُنْ مِنَ الْخاسِرِینَ) (هود/ ۴۷)، فمحصله أنَّ هذا کلاماً صورته التوبه وحقیقته الشکر علی ما أنعم الله علیه من التعلم والتأدب.

فلا یکون هذا خطأ منه علیه السلام أو یکون ما فیه موجب لعتابه ولومه.

والقرطبی یری أنَّ ما ذهب إلیه نوح علیه السلام هو جزء من ذنوب الأنبیاء علیه السلام فیقول (وهذه ذنوب الأنبیاء علیهم السلام فشکر الله تذلله وتواضعه)(۱).

۱- (۲) الجامع لأحکام القرآن ۵:۳۴.

الثالث: الآيات التى تتعلّق بنبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام

إنّ المتتبع لآيات الذكر الحكيم يرى أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أثنى على نبيّه إبراهيم الخليل عليه السلام فى كثير من الآيات التى ورد فيها ذكره ومع هذا الثناء نجد أنَّ بعض المخطئه للأنبياء عليهم السلام يريد أنَّ ينسب إليه ما لا يليق بشأنه مستدلاً بآيات توهم بأنّها فى مورد العتاب واللوم له عليه السلام نورد هنا أُنموذجاً فيها:

منها: قوله تعالى (وَ كَذلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّى فَلَمّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) (الأنعام / ٧٥-٧٦).

قال الرازى: تمسكوا بالآيه من وجوه نورد هنا الوجه الأول منها اختصاراً على موضع الحاجه:

الشبهه الأولى: قوله تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام (قالَ هذا رَبِّى) (الأنعام/ ٧٦)، فلا يخلوا إما أنَّ يقال: إنّه قال هذا الكلام فى النظر والاستدلال، أو بعده، فإن كان الأول كان قطعه بذلك مع تجويزه أنَّ يكون الأمر بخلافه إخباراً عما يجوز المخبر كونه كاذباً فيه، وذلك غير جائز وإن كان الثانى كان ذلك كذباً قطعاً، بل كفر قطعاً، ثم يجيب عليه بعد ذلك قيل إنّه من كلام إبراهيم قبل البلوغ، فإنّه لما خطر بباله، قبل بلوغه حد التكليف، إثبات الصانع فتفكر فرأى النجوم، فقال:(هذا رَبِّى) فلما شاهد حركتها قال: لابد أنَّ تكون ربّاً، وكذا الشمس والقمر فبلغه الله تعالى فى ذلك حد التكليف، فقال:(إِنِّى بَرِىءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ) (الأنعام/ ٧٨) وإنما بلغ ذلك فى النجوم والشمس والقمر لما

فيه من العلوم والنور(۱).

ثم إنّ الرازی يرجح أنَّ يكون قول إبراهيم عليه السلام هذا كان على وجه الاعتبار والاستدلال لا على وجه الإخبار ولذلك فإنّ الله تعالى لم يذم إبراهيم عليه السلام(۲).

ويرى البيضاوی أنَّ قوله هذا كان باعث الاستدلال على قومه لإرشادهم للحق وإبعادهم عن الظلام لأنّ البيضاوی يرى أنّ أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنام والكواكب فأراد أنَّ ينبههم عن ضلالتهم ثم أنّه يرى أنَّ ما وقع من إبراهيم عليه السلام كان زمان المراهقه أو أبان البلوغ(۳).

ويبدو أنَّ هذا وإن كان فيه نوع تنزيه للنّبی عليه السلام إلّا أنّه من جانب آخر يطعن فی عصمته من جهه كفر أبيه أنَّ ثبت أنّه أبوه وفی جانب آخر يكيل الطعن من أنَّ النّبی زمن المراهقه ليس له سيطره على فكره وعقيدته وهذا باطل لأنّ إبراهيم عليه السلام من المصطفين الأخيار والمجتبين الأبرار المصونين قبل النبوه وخلالها.

وفی التسهيل يرى أحد الوجهين أمّا أنَّ يكون ما صدر منه قبل التكليف أو بعده والثانی يكون معه قوله على سبيل الرد عليهم والتوبيخ لهم(۴).

وكلا الوجهين قد لا يصح لأنّه لا فرق فی كونه مسدداً بالوحی سواء قبل البلوغ أو بعده فهو لا ينطق عن هوى.

۱- (۱) ظ: عصمه الأنبياء ۲۸-۲۹.

۲- (۲) المصدر نفسه ۲۹.

۳- (۳) ظ: تفسير البيضاوی ۲۹:۷.

۴- (۴) ظ: محمد بن أحمد جزی الغرناطی (ت ۷۴۱ ه -) ۲۶۶:۱.

ومثله ما يحكيه فى الجواهر الحسان عن ابن عباس إذ يرى أنَّ هذا واقع حال صباه وقيل بلوغه سنّ التكليف ويحتمل كذلك أنّها وقعت بعد بلوغه وكونه مكلفاً(۱).

فى حين يرى صاحب مراح لبيد أنَّ هذا منه كان على وجه المجاراه مع قومه لأنّهم كانوا يعبدون الأصنام والكواكب(۲).

وهذا غير لائق بساحته عليه السلام لأنّه لا يجارى أحد على حساب الهدى فالأنبياء مسلكهم واضح وطريقهم قويم لا اعوجاج فيه ولا مهادنه لأنّهم يمثلون الصراط القويم والموقف الحق.

الرابع: الآيات التى تتعلّق بنبى الله موسى عليه السلام

قال تعالى:(وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) (القصص / ۱۵-۱۷).

استدل المخطئون لعصمه الأنبياء بهذه الآيه المباركه فذهبوا بها مذاهب شتى قاصدين من وراء ذلك إظهار النقص للأنبياء عليهم السلام وإنّه ليس من المستبعد أنَّ يظهر منهم جرائم وآثام تصل إلى مستوى القتل بحيث يجرّ ذلك لهم اللوم والعتاب من الله تعالى.

۱- (۱) ظ: عبد الرحمن الثعالبى ۱:۴۹۴.

۲- (۲) ظ: محمد بن عمر الجاوى، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ۱:۳۲۸.

وهـذا المعنى نقرأه عند الزمخشـرى إذ ذهب إلى أنَّ موسـى عليه السـلام عندما نسب قتل الكافر إلى عمل الشـيطان وسـماه ظلماً لنفسه واسـتغفر منه؟ لأنّه قتل قبل أنَّ يؤذن له فى القتل فكان ذنباً يسـتغفر منه، ثم أنّه يؤيـد ما ذهب إليه بقول ابن جريـح من أنّه ليس لنبى أنَّ يقتل ما لم يُؤمر(۱).

وأما الفخر الرازى فنقل أنَّهُ قد احتج بهذه الآيه من طعن فى عصمه الأنبياء عليهم السلام من وجوه(۲):

(أحـدها): إنّ ذلـك القبطى أمّـا أنَّ يقـال إنّه كـان مسـتحق القتـل أو لم يكن كـذلك، فـإن كـان الأـول فلم قال (هـذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ) (القصص/ ۱۵) ولم قال:(رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِـى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ) (القصص/ ۱۶) ولِمَ قال فى سوره أخرى (فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضّالِّينَ) (الشعراء / ۲۰)، وإن كان الثانىَ وهو أنَّ ذلك القبطى لم يستحق القتلِ كان قتله معصيه وذنباً.

(ثانيها): إنَّ قوله:(وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ) (القصص/ ۱۵) يدل على أنّه كان كافراً حربياً فكان دمه مباحاً فلِمَ استغفر عنه، والاستغفار عن الفعل المباح غير جائز لأنّه يوهم فى المباح كونه حراماً.

(ثالثها): إنّ الوكز لا يقصد به القتل ظاهراً فكان ذلك القتل قتل خطأ، فلِمَ استغفر منه.

وأجاب الرازى عن ذلك:

أمّا الأول: فلا يجوز أنَّ يقال إنّه كان لكفره مباح الدم، أما قوله: (هذا

۱- (۱) الكشاف ۴۰۲:۳، ظ: القرطبى، الجامع لأحكام القرآن ۱۷۰:۷.

۲- (۲) عصمه الأنبياء ص ۸۹.

مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ) (القصص/ ۱۵) ففيه وجوه: أحدها: لعلّ الله تعالى وأن أباح قتل الكافر إلّا أنّه قال الأولى تأخير قتلهم إلى زمان آخر، فلمّا ترك المندوب من عمل الشيطان(۱).

وهذا الوجه ضعيف سواء بصيغه الرازى أم ما نقل عن ابن جريج، لأنّه مبنى على كون القتل عمداً وهو لم يثبت وعلى فرض العمد فالعدو كان مستحقاً للقتل وليس فى الآيات أىُّ إشاره إلى أنّه عليه السلام قد عمل فى ذلك ليكون الاستعمال من عمل الشيطان كما أنّه على فرض استحقاق القتل فهذا يعنى أنَّ الأمر موجود فكيف ذهبوا إلى أنّه لم يؤمر بذلك.

الخامس: النَّبى الأكرم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم

وكما هى الحال مع باقى الأنبياء عليهم السلام نجد هؤلاء المفسرين يستندون إلى كثير من الآيات القرآنيه يستدلون بها على أنَّ النّبى صلى الله عليه وآله وسلم قد جاز عليه الخطأ والسهو والنسيان والذنب الصغير، ومن تلك الآيات:

(الآيه الأولى) قوله تعالى:(ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتّى يُثْخِنَ فِى الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَ اللّهُ يُرِيدُ الْآخِرَهَ وَ اللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ) (الأنفال / ۶۷-۶۸).

قالوا: إنّ الآيه تدل على عتاب الله لنبيه مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وتكون على استبقاء الأسرى وأخذ الفداء بدلاً عن قتلهم، واعتبروا ذلك من أخطائه صلى الله عليه وآله وسلم الذى يرونه إخلالاً فى العصمه المطلقه له.

۱- (۱) مفاتيح الغيب ۲۴:۲۰۰-۲۰۱، ظ: الفخر الرازى عصمه الأنبياء ۸۹، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجى (ت ۶۵۶ ه -) المواقف: ۲۹۷:۸، دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان.

ذکر البغوی فی تفسیره حدیثاً عن عمر بن میمون قوله: اثنان فعلهما رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ولم یؤمر بهما: إذْنُه للمنافقین، وأخذه الفدیه من أساری بدر؛ فعاتبه الله(۱).

ویبدو أنَّ هذا مخالفاً لقوله تعالی فی حق نبیّه صلی الله علیه وآله وسلم:(وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی) (النجم/ ۳) أما الزمخشری فیری أنَّ ذلک خطأً فی الاجتهاد؛ لأنهم نظروا فی أنَّ استبقاءهم ربما کان سبباً فی إسلامهم وتوبتهم، وأن فداءهم یتقوّی به علی الجهاد فی سبیل الله وخفی علیهم أنَّ قتلهم أعز للإسلام واهیب لمن وراءهم وأقل لشوکتهم(۲).

وهنا الزمخشری لم ینزّه فی هذه القضیه غیر أبی بکر وسعد بن معاذ کما هو فی تفسیره الکشّاف، فخطّئ النَّبی کأحد الصحابه ثم أنّه أبلغ فی تخطئه النّبی صلی الله علیه وآله وسلم بقوله: (فخفی علیهم) وهل یخفی علی رسول الله خافیه وهو مسدد بروح القدس فی کل آن.

ویری الفخر الرازی أنّهم تمسکوا بالاستدلال علی خطأ النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم من ثلاث أوجه:

(الأول) قوله تعالی:(ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْری) (الأنفال/ ۶۷) وذلک یقتضی استبقاء الأسری محرماً.

(الثانی) قوله تعالی:(تُرِیدُونَ عَرَضَ الدُّنْیا) (الأنفال/ ۶۷) وذلک مذکور

۱- (۱) ظ: أبو محمد الحسین بن مسعود الفراء البغوی الشافعی (ت ۵۱۴ ه -) تفسیر البغوی أو معالم التنزیل ۲۵۱:۲، ظ: أبو بکر جابر الجزائری أیسر التفاسیر ۳۲۹:۴، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۱۶ ه -- ۱۹۹۵ م، ظ: الصابونی صفوه التفاسیر ۴۷۷:۱.

۲- (۲) ظ: الکشاف ۲۲۵:۲.

فی معرض الذم.

(الثالث) قوله تعالی:(لَوْ لا کِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّکُمْ فِیما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ) (الأنفال/ ۶۸).

وفی معرض الرد یری الرازی أنَّ العتاب کما یأتی علی ترک الواجب فقد یأتی علی ترک الأولی أیضاً والأولی فی ذلک الوقت الاثخان وترک الفداء قطعاً للاطماع وحسماً للنزاع ولولا أنَّ ذلک من باب الأولی لما فوض النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم ذلک علی الأصحاب، وهذا هو العذر عن قوله:(ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْری) (الأنفال/ ۶۷).

فأما قوله:(تُرِیدُونَ عَرَضَ الدُّنْیا) (الأنفال/ ۶۷) فهو خطاب جمع فیصرف ذلک إلی القوم الذین رغبوا فی المال، وأما قوله:(لَوْ لا کِتابٌ مِنَ اللّهِ) (الأنفال/ ۶۸) فمعناه لولا ما سبق من تحلیل الغنائم لعذّبکم بسبب أخذکم هذا الفداء(۱).

وبعد أنَّ یری القرطبی أنَّ الآیه نزلت عتاباً وتوبیخاً لأصحابه صلی الله علیه وآله وسلم ویری أنَّ ذکر النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم فیها جاء نتیجه ترک تنبیهه عن ذلک فی حین کره ذلک سعد بن معاذ وعمر بن الخطاب وعبد الله بن رواحه، ولکنَّهُ صلی الله علیه وآله وسلم شغله بغت الأمر ونزول النصر فترک النهی عن الاستبقاء(۲).

ویبدو لنا أنَّ هذا تجنیاً سافراً علی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إذ

۱- (۱) ظ: عصمه الأنبیاء ۱۰۵-۱۰۶.

۲- (۲) ظ: الجامع لأحکام القرآن ۶۲:۴.

إنَّ الصحابه تری الصواب فی الأمر ولا یراه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وأنّه شغله النصر وزهوه من دونهم سفدفعه زهو الدنیا أنَّ ینسی ما به حیاه أمته وبقاؤها.

(الآیه الثانیه) قوله تعالی:(عَفَا اللّهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳).

استدلوا بهذه الآیه المبارکه علی أنَّ النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم لو لم یصدر منه الذنب لما کان هناک نوع من العفو الذی أشار إلیه قوله تعالی:(لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳) فهو ظاهر فی العتاب(۱).

ونقل الطوسی رحمه الله عن أبی علی الجبائی قوله: (إنّ فی الآیه دلاله علی أنَّ النّبی صلی الله علیه وآله وسلم کان وقع منه ذنب فی هذا الإذن..)(۲).

ویری البیضاوی أنَّ العفو فی الآیه المبارکه کنایه عن خطائه صلی الله علیه وآله وسلم فی الإذن، فإنّ العفو من روادفه ثم أنَّهُ یری أنَّ الله سبحانه وتعالی عاتب نبیّه صلی الله علیه وآله وسلم صراحه فی قوله (لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳) بیان لما کنی عنه بالعفو ومعاتبته علیه(۳).

ویری الرازی أنَّ هذا تلطفاً فی المخاطبه بعد أنَّ یَعْرض استدلال المخطئون للأنبیاء علیهم السلام بأنّ العفو فی (عَفَا اللّهُ عَنْکَ) (التوبه/ ۴۳) لا یکون إلاّ بعد الذنب(۴).

۱- (۱) ظ: تفسیر البغوی ۲:۲۵۱.

۲- (۲) ظ: التبیان ۲:۲۲۶-۲۲۷.

۳- (۳) تفسیر البیضاوی ۳:۱۴۸.

۴- (۴) عصمه الأنبیاء ۱۰۶-۱۰۷.

ثانياً: الأدله النقليه من السنه للقول بالعصمه الجزئيه

اشاره

يختلف أصحاب المذاهب الأُخَر عن الشيعه الأماميه فی عصمه الأنبياء فترى أنَّ الشيعه قاطبه تذهب إلى عصمتهم عليهم السلام وأنّهم منزهون عن الصغائر والكبائر منذ الصغر وهذا ما أثبتوه فی كتبهم المعتبره نقلاً وعقلاً(۱) ، فی حين نرى أتباع المذاهب والفرق الأخرى اتجهوا اتجاهاً معاكساً لمذهب أهل البيت عليهم السلام بالقول بنفی عصمه الأنبياء عندهم وتجويز الخطأ والسهو والنسيان وغيرها من صغائر الذنوب مما جاء فی صحاحهم وكتبهم المعتبره من روايات عده نشير هنا إلى بعض منها تماشياً مع استيعاب الدراسه لذلك.

الأول: تكذيب الأنبياء عليهم السلام

إنّ ما أخرجته الصحاح من أنَّ الأنبياء عليهم السلام يكذبون فهو ثابت عندهم، فهذا شيخ الحديث البخارى، وإمام الحديث مسلم فی كتابيهما وهما أصحّ الكتب بعد القرآن عندهم، واللفظ للبخارى عن أبی هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات اثنتين منها فی ذات الله عزّ وجلّ قوله:(إِنِّی سَقِيمٌ) (الصافات/ ۸۹) وقوله: ((بل فعله كبيرهم هذا وأن هذا سألنی فأخبرته بأنّك أختی فلا تكذبينی))(۲) ومما يروى من أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فی صفه الخلق يوم القيامه: وإنهم يأتون آدم عليه السلام يسألونه الشفاعه فيعتذر إليهم، فيأتون نوحاً عليه السلام

۱- (۱) ظ: الصدوق محمد بن علی بن بابويه (ت ۳۸۱ ه -) الإعتقادات فی دين الإماميه ۹۶:۲ تحقيق، عصام محمد حسين، دار المفيد للطباعه والنشر، بيروت - لبنان، ط ۲، ۱۴۱۴ ه -- ۱۹۹۳ م.

۲- (۲) ظ: البخارى ۵۹۷، صحيح مسلم شرح النووى ۱۰۴:۸.

فیعتذر إلیهم، فیأتون إبراهیم علیه السلام، فیقولون: یا إبراهیم أنت نبیّ الله وخلیله اشفع لنا إلی ربّک، أما تری ما نحن فیه؟ فیقول لهم إنَّ ربی قد غضب غضباً لم یغضب قبله مثله، ولم یغضب بعده مثله وإنّی قد کذبت ثلاث کذبات، نفسی نفسی، اذهبوا إلی غیری)(۱).

وهذا دلیل علی أنَّ الأنبیاء علیهم السلام فی معتقدهم یکذبون والذی یصدر منه الکذب لا یکون معصوماً، فکیف یجوز علی الله تعالی أنَّ یرسل رسلاً کذابین، وروی الفخر الرازی أنَّ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال: ((ما کذب إبراهیم إلا ثلاث کذبات، قوله: إنّی سقیم، وقوله: بل فعله کبیرهم هذا، وقوله لساره: إنّکِ أختی وهو کذب))(۲).

ولهذا ورد فی الجامع الصحیح عن أبی هریره قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: ((لم یکذب إبراهیم علیه السلام فی شیء قط إلا ثلاث: قوله: (إنی سقیم) ولم یکن سقیماً، وقوله لساره (أختی) وقوله: (بل فعله کبیرهم هذا)(۳).

ومما یدل علی کذب الأنبیاء علیهم السلام عندهم أیضاً ما رواه الإمام مسلم فی صحیحه عن موسی بن طلحه عن أبیه قال: (((مررت مع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بقوم علی رؤوس النخل فقال: ما یصنع هؤلاء، فقالوا یلقحونه، یجعلون الذکر فی الأنثی فتلقح فقال رسول الله صلی الله علیه

۱- (۱) نهج الحق وکشف الصدق ۱۵۲-۱۵۳.

۲- (۲) ظ: عصمه الأنبیاء ۷۱.

۳- (۳) ظ: الترمذی أبو عیسی محمد بن عیسی بن سور (ت ۲۷۹ ه -)، الجامع الصحیح ۳۰۱:۵ نشر دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۰۸ ه -- ۱۹۷۹ م.

وآله وسلم: ما أظن يغنى ذلك شيئاً، قال: فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنى الا ظننت ظناً فلا تؤاخذونى بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنى لن أكذب على الله عزّ وجلّ (۱).

والذى يبدو فى ذلك أنَّ النّبى صلى الله عليه وآله وسلم عندهم جائز أنَّ يكذب على غير الله عزّ وجلّ.

ولهذا أخذ منها القصاصون فانتشر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(۲).

الثانى: نسيان النَّبى للصلاه وصدور السب والشتم منه صلى الله عليه وآله وسلم

منها: روى المخطئون لعصمه الأنبياء عليهم السلام أنَّ النّبى ينسى ويسهو فى صلاته، قال أبو هريره؛ صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إحدى صلاتى العشىّ، قال فصلىّ بنا ركعتين ثم خرج سرعان الناس، وهم يقولون قصرت الصلاه وفى الناس أبو بكر وعمر فهابا أنَّ يكلمّاه، فقال رجل، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسميه ذو اليدين، فقال يا رسول الله: أنسيت أم قصرت الصلاه؟ فقال: لم أنسَ ولم تقصر الصلاه، قال: بل نسيت يا رسول الله، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على القوم فقال: أصدق ذو اليدين؟ فأومأوا أى نعم... فرجع إلى مقامه فصلّى الركعتين الباقيتين ثم

۱- (۱) ظ: مسلم ۹۸:۸.

۲- (۲) ظ: سليمان بن إبراهيم القندوزى الحنفى (ت ۱۲۹۴) ينابيع الموده ۱۷:۱، انتشارات الشريف الرضى قم، مكى بن برهان الدين الحلبى الشافعى (ت ۱۰۴۴ ه -) السيره الحلبيه ۱۱:۳.

سلّم))(۱).

ومنها: ما تشير إلى أعراضه صلى الله عليه وآله وسلم عن عباده رَبِّه وإهمالها والاشتغال عنها بغيرها من أمور الدنيا.

روى فى الصحيحين أنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم صلى بالناس صلاه ركعتين ودخل حجرته ثم خرج لبعض حوائجه، فذكرّه بعض فأتمها(۲).

وذهبوا إلى أبعد من ذلك حين جوّزوا صدور السب والشتم منه صلى الله عليه وآله وسلم إلى بعض أصحابه، أخرج السيوطى فى حديث صحيح قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

((إنّما أَنَا بشر، وأنى اشترطت على رَبِّى عَزّ وجلّ: أى عبد من المسلمين شتمته أو سببته أنَّ يكون ذلك له زكاه وأجراً))(۳) فكيف يجوز على الله أنَّ يرسل للناس أنبياء لا يتورعون عن السب والكذب.

الثالث: النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم ومزامير الشيّطان

روى النافون لعصمه الأنبياء عليهم السلام المطلقه أنَّ النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم يتلذذ بسماع ما مصدره الحرام ويتهاون معه ويغضّ الطرف عنه ولم يردعه.

وما يروى عن عائشه أنها قالت: دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وآله

۱- (۱) ظ: النسائى ۲۱۲، صحيح مسلم بشرح النووى ۵۶:۳.

۲- (۲) ظ: صحيح مسلم ۲۱۶:۱ باب السهو فى الصلاه والسجود له.

۳- (۳) جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطى (ت ۹۱۱ ه -) الجامع الصغير ۳۹۳:۱، دار الفكر بيروت - ط ۱، ۱۹۸۱ م.

وسلم وعندی جاریتان تغنیان بغناء بعاث، فاضطجع علی الفراش وحول وجهه، فدخل أبو بکر فانتهرنی وقال: مزماره الشیطان عند رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فاقبل علیه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فقال: دعها، فلما غفل، غمزتهما فخرجتا(۱).

وکذا ما یروی عنها قالت - أی عائشه - وکان یوم عید إلی قوله... تشتهین تنظرین، فقالت: نعم، فأقامنی وراءه خدی علی خده)(۲).

هذا ما یروی فی أصح الکتب عند أهل السنه من أنَّ النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم یتلذذ بسماع مزامیر الشیطان حتی أنَّهُ یضع خدّه علی خد عائشه وأنّ أبا بکر ینکر ذلک علیهم ألیست هذه المزامیر من عمل الشیطان؟ وإن کانت کذلک فکیف یرضی النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم بعمل الشیطان، وفی هذا دلاله واضحه علی انتقاصهم للأنبیاء علیهم السلام ونفی تمامیّه عصمتهم.

ومنها: ما روی عن برید قال: خرج رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی بعض مغازیه، فلما انصرف جاءت جاریه سوداء، فقالت: یا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: إنی نذرت إن ردّک الله سالماً، أنَّ أضرب بین یدیک بالدف وأتغنّی، فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إن کنت نذرت فاضربی وإلاّ فلا، فجعلت تضرب، فدخل أبو بکر وهی تضرب ثم دخل علی وهی تضرب ثم دخل عثمان وهی تضرب ثم دخل عمر، فألقت الدف تحت إستها ثم قعدت علیها، فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: إنّ الشیطان لیخاف منک یا عمر إنّی

۱- (۱) ظ: صحیح البخاری ۱۷۹ کتاب العیدین ح ۹۴۹، صحیح مسلم: ۱۵۴:۳.

۲- (۲) ظ: المصدر نفسه ۱۷۹، صحیح مسلم ۱۵۵:۳.

كنت جالساً وهی تضرب، فدخل أبو بکر وهی تضرب ثم دخل علیٌّ وهی تضرب، ثم دخل عثمان وهی تضرب، ثم دخلت أنت یا عمر فألقت الدف(۱).

ویبدو لنا أنَّ الروایه لا تحتاج إلی عنایه فی کشف زیفها وفضح أمرها إذ لیس من المعقول أنَّ یکون صاحب الشریعه والمأمور علی حفظها أنَّ یخالف ما أمر به أو یناقض نفسه إذ إنّهُ صلی الله علیه وآله وسلم بیّن حرمه النذر الحرام وأنه غیر معتقد هذا من جهه ومن جهه أخری أیعقل أنَّ یخشی الشیطان صحابیاً مجرداً ویهرب منه ولا یخشی النَّبی الأعظم ویتجنبه بل کیف یعقل أنَّ یرضی النَّبی بالاستماع إلی المحرم الذی نهی عنه - أی الغناء - فلا یبقی إلاّ أنَّ هذه الروایه من الموضوعات للإخلال بعصمه الأنبیاء علیهم السلام.

الرابع: النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم وصلاه الصبح

ومما نسبه المخالفون إلی العصمه المطلقه أنَّ النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم قد فاتته صلاه الصبح فلم یستیقظ لها وزیاده علی ذلک أنَّهُ صلی بلا وضوء، وهذا ینافی خلق القرآن وأحکامه، وهذه مثلبه عظیمه لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم.

روی الإمام مسلم فی صحیحه عن عمران بن الحصین قال: کنت مع نبی الله صلی الله علیه وآله وسلم فی مسیر له فأدلجنا لیلتنا حتی إذا کان وجه الصبح عرّسنا فغلبتنا أعیننا حتی بزغت الشمس، قال: فکان أول من استیقظ منا أبو بکر، وکنا لا نوقظ نبی الله صلی الله علیه وآله وسلم من منامه إذا نام حتی

۱- (۱) ظ: الترمذی فی الجامع ۳۸۴:۵، ظ: الإمام أحمد بن حنبل (ت ۳۴۱ ه -) مسند أحمد ۳۵۳:۵، دار صادر، بیروت - لبنان، العلامه عز الدین أبی الحسن علی بن أبی الکرم محمد بن محمد بن عبد الکریم بن عبد الواحد الشیبانی المعروف بابن الأثیر (ت ۶۳۰ ه -)، أسد الغابه فی معرفه الصحابه ۶۴:۴ دار الکتاب العربی، بیروت - لبنان.

يستيقظ، ثم استيقظ عمر، فقام عنـد نبيّ الله صـلى الله عليه وآله وسـلم فجعل يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، فلما رفع رأسه ورأى الشمس قد بزغت، قال: ارتحلوا فسار بنا حتى ابيضت الشمس نزل فصلّى بنا الغداه(١) أى الصبح.

والروايه لا تزيـد عن سابقاتها فى فداحه كذبها وافترائها على رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم إذ إنّها فى معرض بيان فضائل الصـحابه على رسول الله وأَنَّهُ بشـر عادى ليس له فضل على غيره إذ يكون عمر وأبو بكر أحرص منه على صـلاه الصبح متغافلين عن إحاطه الوحى به وتسديده له.

والأنكى من ذلك أنَّ النَّبى صـلى الله عليه وآله وسلم صلى إحدى صلواته من دون وضوء وعن نومٍ فى روايه ابن عباس كما فى الصحيح، قال:

(إنَّهُ بات عند خالته ميمونه، فقام رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم من الليل فتوضأ، ثم صلّى، ثم اضطجع فنام حتى نفخ - أى حتى غط فى النوم - ثم أتاه بلال فأذنه بالصلاه فخرج فصلّى الصبح ولم يتوضأ، قال: سفيان وهذا للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خاصه(٢).

ويبدو من خلال النص أنّهم نسـبوا إلى النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم النسيان باعتبار أنَّهُ صلّى عن نوم وكذا هم أرادوا منه صلى الله عليه وآله وسـلم أنَّهُ قـد تلاعب فى التشـريع إذ إنه تجاهل الطهاره وباعتبار أنَّ الصـلاه مشـروطه بها فعمله هذا بحسب زعمهم منافٍ للتشريع الذى يكون منافياً للعصمه.

١- (١) صحيح مسلم ١٩۴:۵.

٢- (٢) ظ: صحيح مسلم ٢٩۵:۶، البخارى ١٧٩:١.

وذلک مما تمنع منه الأدله القاطعه علی أنَّهُ لا یجوز علیه السهو والغلط (۱).

الخامس: صلاه النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم جنباً

نسب المخالفون للعصمه إلی أنَّ النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم قد خرج للصلاه بالناس وهو جنب روی البخاری فی صحیحه فی باب إذا ذکر فی المسجد أنَّهُ جنب، عن أبی هریره قال: أقیمت الصلاه وعدلت الصفوف قیاماً فخرج إلینا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فلما قام فی مصلاه ذکر أنَّهُ جنب فقال لنا مکانکم ثم رجع فاغتسل...)(۲).

ومثله ما رواه الإمام مسلم فی صحیحه فی باب متی یقوم الناس للصلاه، عن أبی هریره قال: أقیمت الصلاه فقمنا فعدلنا الصفوف قبل أنَّ یخرج إلینا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم حتی إذا قام فی مصلاه قبل أنَّ یکبّر ذکر فانصرف، قال لنا مکانکم فلم نزل قیاماً ننتظره حتی خرج إلینا وقد اغتسل ینظف رأسه ماء فکبّر فصلّی بنا(۳).

والظاهر أنَّ أبا هریره ومن سلک مسلکه وروی حدیثه أراد بذلک أنَّ یحط من مکانه النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم لأنّ ما یرید أنَّ یصل إلیه هو دعوی نسیان النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم وکذلک نفی اهتمامه بالأحکام الشرعیه التی یکون الغسل واجباً فیها.

۱- (۱) ظ: الطوسی أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ۴۶۰ ه -) الاستبصار، ۱:۳۷۱ دار الکتب الإسلامیه ط ۱۳۹۰ ه -، الطوسی أبو جعفر محمد بن الحسن، التهذیب ۲:۱۸۱، دار الکتب الإسلامیه، طهران، ط ۱۳۶۴ ش.

۲- (۲) ظ: صحیح البخاری: ۷۲ کتاب الغسل ح ۲۷۵.

۳- (۳) ظ: صحیح مسلم شرح النووی ۵:۱۰۶.

السادس: الأنبياء عليهم السلام وحُبُّ النساء

ومما ينسب إلى أنبياء الله سبحانه فى معتقد النافين للعصمه المطلقه لهم عليهم السلام ما لا يدركه العقل، فقد جاء فى صحيح البخارى عن انس بن مالك قال: كان النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم يطوف على نسائه فى الليله الواحده وله يومئذٍ تسع نسوةٍ (١).

وأما ما جاء عن نبىّ الله سليمان عليه السلام فأعظم من ذلك، روى البخارى وغيره عن أبى هريره عن النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال سليمان بن داود عليه السلام لأطوفن الليله بمئه إمرأةٍ، تلدُ كلُّ إمرأةٍ غلاماً يقاتل فى سبيل الله، فقال له الملك قل: إن شاء الله، فلم يقل ونسى، فأطاف بهن، ولم تلد منهم إلا امرأةً نصف إنسان قال النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم: ((لو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان أرجى لحاجته))(٢).

هذا ما نسبه المخالفون لعصمه الأنبياء إلى أنَّهم - الأنبياء عليهم السلام - كانوا حديث القوم وكانوا يخبرونهم بأخص ما يفعلونه مع نسائهم وهو من شؤون حياتهم التى أمرنا الله بالتستر فيها فأى عاقل يستسيغ لنفسه أنَّ ينسب إلى أنبياء الله هذه الأفعال التى تحط من مكانتهم (صلوات الله عليهم).

السابع: موسى عليه السلام وملك الموت

وممّا استدل به المخطئه لعصمه الأنبياء عليهم السلام على ما نسبوه إلى نبى

١- (١) ظ: صحيح البخارى ٩٥٩ كتاب النكاح، ح ٦٢١٥، صحيح مسلم بشرح النووى، ٦:١٠٠ باختلاف يسير.

٢- (٢) المصدر نفسه: ٩٦٣، ظ: سنن النسائى: ٦٥٦ كتاب الإيمان والنذور.

الله موسى عليه السلام من أنَّهُ لطم ملك الموت لما جاء لقبض روحه عليه السلام ففقأ عينه، فكيف يجوز أنَّ ينسب هذا إلى موسى عليه السلام مع علو مكانته وشرافته ثم أنَّهُ كيف لنبيّ الله أنَّ يوقع الأذى بملك الموت وهو مأمور من الله سبحانه بقبض روحه.

عن أبى هريره أنَّهُ قال: (أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكّه، فرجع إلى ربّه، فقال أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت، قال: أَرْجِع إليه، فقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يدهُ بكل شعره سنه، قال: أى رَبّ، ثم ماذا؟ قال ثم الموت، قال: فالآن، قال: فاسأل الله أنَّ يُدنيهُ من الأرض المقدسه، رميه بحجر).

قال أبو هريره: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كنت ثمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر))(۱).

وفى روايه أخرى عن أبى هريره... قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له أجب ربّك. قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى، فقال: أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت، وقد فقأ عينى، قال: فرّد الله إليه عينه(۲).

وكيف يجوز ذلك على موسى عليه السلام وقد اختاره الله لرسالته؟ وائتمنه على وحيه؟ وأثره بمناجاته؟ وجعله ساده رسله؟ وكيف يكره الموت هذا مع شرف مقامه ورغبته فى القرب من الله تعالى والفوز بلقائه وما ذنب ملك الموت

۱- (۱) ظ: صحيح البخارى ۶۰۹ كتاب أحاديث الأنبياء ح ۳۴۰۷.

۲- (۲) ظ: صحيح مسلم بشرح النووى ۱۰۸:۸.

عليه السلام؟ وإنما هو رسول الله إليه...(١).

الثامن: موسى عليه السلام يغتسل عرياناً

استدلوا كذلك لتخطئه النَّبى موسى عليه السلام على أَنَّهُ اغتسل عرياناً ليرى بنو إسرائيل عورته، مع ما فيه من انتقاص لأنبياء الله تعالى، قال تعالى:(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) (النور/ ٣٠).

روى البخارى فى صحيحه فى باب (من اغتسل عرياناً) عن أبى هريره عن النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم قال:

((كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراه ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أنَّ يغتسل معنا إلاّ أَنَّهُ أدر، فذهب مره يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففّر الحجر بثوبه فخرج موسى فى أثره يقول ثوبى يا حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا والله ما بموسى من بأس وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً)(٢).

يقول السيد عبد الحسين شرف الدين معلقاً: (وأنت ترى ما فى هذا الحديث من المحال الممتنع عقلاً فإنّهُ لا يجوز تشهير كليم الله بإبداء سوأته على رؤوس الأشهاد من قومه لأن ذلك ينقصه ويسقط من مقامه، ولاسيما إذا رأوه عارياً ينادى الحجر وهو لا يسمع ولا يبصر - ثوبى حجر، ثوبى حجر)(٣).

١- (١) ظ: عبد الحسين شرف الدين الموسوى، أجوبه مسائل جار الله ص ١٤، منشورات دار النعمان ط ٣، النجف الأشرف.

٢- (٢) ظ: صحيح البخارى ٣٧ كتاب الغسل ح ٢٧٨، صحيح مسلم بشرح النووى ٨:١٠٦-١٠٧.

٣- (٣) أجوبه مسائل جار الله / ٤٢.

التاسع: يوسف عليه السلام والمراوده

ومما ذهب إليه المخطئون لعصمه الأنبياء هو النيل من نبى الله يوسف الصديق عليه السلام الذى اصطفاه الله واختاره وزاده بسطه فى الجمال والعلم والشرف والعفه وضربه مثالاً للخلق القويم أبعد كل هذا يأتى هؤلاء ليرموا تراث النَّبى العفيف بوابل من تشويهاتهم ومنها محاوله مراوده امرأه العزيز حسب زعمهم.

قال الزمخشرى: (وقد فسّرَ هَمَّ يوسف عليه السلام بأنَّهُ حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع، وبأنّه حل تكه سراويله وقعد بين شعبها الأربع وهى مُستلقيه على قفاها، ثم بعد ذلك يذكر تفسير البرهان ويقول بان يوسف سمع صوتاً إياك وإياها فلم يكترث له، فسمعه ثانياً فلم يعمل به، فسمع ثالثاً أعرض عنها فلم ينجح فيه، حتى مثل له يعقوب عاضاً على أنملته، ثم يقول: وقيل ضرب بيده فى صدره فخرجت شهوته من أنامله(١).

والذى يتدبرّ فى هذه الخرافه تنجلى له صوره الزيف والكذب الموسومه بالنبى الأكرم على الله، إذ إنّه نبى العفاف ومثال الشرف فكيف يعقل أنَّ يصدر منه كل هذا وهو الذى يحارب الزنا وكل عمل باطل.

المطلب الثانى: الأدله العقليه للقائلين بالعصمه الجزئيه للأنبياء عليهم السلام

يختلف القائلون بالعصمه الجزئيه للأنبياء عليهم السلام عمن قال بالعصمه المطلقه لهم عليهم السلام، فهناك اتجاهان متعاكسان كل له دليله العقلى فى ذلك يشتركان فى أنَّ الأنبياء عليهم السلام لا يمتازون بالعصمه

١- (١) ظ: الكشاف ٢:٤٣٠-٤٣١، ظ: القرطبى، الجامع لأحكام القرآن ٥:١١٤.

المطلقه وإنما يرد عليهم ما يرد على غيرهم من بنى البشر على الرغم من كونهم أنبياءً أو رسلاً عليهم السلام.

وقد نقل ابن حزم اختلافهم فى ذلك فقال: (اختلف الناس هل تعصى الأنبياء أم لا؟ فذهبت طائفه إلى أنّ رسل الله عليهم السلام يعصون الله تعالى فى جميع الكبائر والصغائر عمداً حاشا الكذب فى التبليغ فقط، وهذا قول الكراميه من المرجئه، ويقول ابن الطيّب والباقلانى من الاشعريه ومن اتبعه وهو قول ذهبت إليه اليهود والنصارى من قبل، وسمعت من يحيى عن بعض الكراميه أنَّهم يجيزون على الرسل عليهم السلام الكذب فى التبليغ أيضاً، وأما هذا الباقلانى فإنّا رأينا فى كتاب صاحبه أبى جعفر السمانى قاضى الموصل أنَّهُ كان يقول: إن كل ذنب دق أو جل فإنّه جائز على الرسل حاشا الكذب فى التبليغ فقط، فقال: وجائز عليهم أنَّ يكفروا..)(١).

ويبدو أنَّ هذا هو منطق كل من ذهب إلى إمكان صدور الذنب من المعصومين عليهم السلام وهو الذى دعى الغزالى، إلى تبنّى هذه الفكره إذ إنّه يورد اختلاف الفقهاء فى المسأله فيقول: أما جوازه - أى صدور الذنب - فقد أطبقت المعتزله على وجوب عصمه النَّبى عليه السلام عقلاً عن الكبائر تعويلاً على أنَّهُ يورث التنفير وهو مناقض لغرض النبوّه ثم بعد ذلك أنَّهُ يختار ما يتبناه فيقول:

(والمختار ما ذكره القاضى وهو أنَّهُ لا يجب عقلاً عصمتهم إذ لا يستبان استحاله وقوعه بضروره العقل ولا ينظر العقل وليس هو مناقضاً لمدلول المعجزه، فإنّه مدلول صدق اللهّجه فيما يخبر عن الله تعالى فلا جرم ولا يجوز وقوع الكذب

١- (١) ابن حزم، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٢:٤، دار المعرفه، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٣٩٥ ه -، ١٩٧٥ م.

فیما یخبر به عن الرّب تعالی)(۱).

وهـذا مـا ینکره علی الشیعه، إذ إنهم اجمعوا علی أنَّ الأنبیـاء لاـ یخطئون ولاـ یعتریهم السـهو والنسـیان وهم مجمعون علی أنهم معصومون فی أمور الدین والدنیا(۲).

ومنهم من یقول بوجوب أنَّ یکون النَّبی معصوماً من القبائح صـغیرها وکبیرها قبل النبوه وبعدها علی طریق العمد والنسیان وعلی کل حال(۳).

ومن الأدله علی ذلک:

(۱) ما یسـتدل القاضـی عبـد الجبار حینما ینسب المعصـیه للأنبیاء علیهم السـلام من جهه ارتکابهم الصـغائر، لأنّه یعلل ذلک بأنّ الصغائر لیس لها حظ إلاّ فی تقلیل الثواب من دون التنفیر، لانّ قله الثواب ممّا لا یقدح فی صدق الرسل ولا فی القبول منهم(۴).

وهـذا مـا فیه من فـداحه القول تجاه العصـمه التی امتاز بها أنبیاء الله ورسـله علیهم السـلام إذ أنَّ صـدور الـذنب ولو صـغیراً منهم یوجب زوال الثقه بصدق أقوالهم.

۱- (۱) ظ: أبو حامد بن محمد الغزالی (ت ۵۰۵ ه -)، المنخول فی علم الاصول، تحقیق محمد حسین هیتو، دار الفکر المعاصر، بیروت - لبنان، ط ۳، ۱۴۱۹ ه - ۱۹۹۸ م.

۲- (۲) ظ: العلامه جمال الدین الحسن بن یوسف بن المطهر الحلی (ت ۶۷۲ ه -).

۳- (۳) ظ: الشـریف المرتضی علم الهدی (ت ۴۳۶ ه -)، الـذخیره فی علم الکلام ص ۳۳۸ مؤسسه النشر الإسلامیه ۱۴۱۱ ه -- ۱۹۹۱ م، محمد بن الحسن الطوسی (ت ۴۶۰ ه -) الاقتصاد فیما یتعلق بالاعتقاد ص ۶۰.

۴- (۴) ظ: عبد الجبار بن أحمد الهمذانی شرح الأحوال الخمسه ۵۷۵.

(۲) وفی المواقف یری أنَّهُ قد أجمع أهل الملل والشرائع علی عصمتهم عن تعمد الکذب فیما دلت المعجزه علی صدقهم فیه کدعوی الرساله وما یبلغونه عن الله تعالی وفی جواز صدورهم عنهم علی سبیل السهو والنسیان خلاف فمنعه الأستاذ وکثیر من الأئمه لدلاله المعجزه علی صدقهم وجوّزه القاضی أبو بکر الباقلانی(۱).

(۳) وممّا استدّل به أیضاً علی نفی عصمتهم علیهم السلام عقلاً ما ذکره الإحسائی إذ نسب القول علی بعض الناس فقال: (ومن الناس من لم یجوّز الکفر علی الأنبیاء لکنّهم جوّزوا إظهار الکفر تقیه بل أوجبوه، لأنّ إظهار الإسلام إذا کان مفضیاً إلی القتل کان إلقاءً للنفس إلی التهلکه وإلقاء النفس إلی التهلکه حرام لقوله تعالی:(وَ لا تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَهِ) (البقره/ ۱۹۵) وإذا کان إظهار الإسلام حراماً کان إظهار الکفر واجباً)(۲).

ویبدو أنَّ المستدل قد غفل عن قوله تعالی:(وَ اللّهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النّاسِ) (المائده/ ۶۷) إذ إنّ التسدید الإلهی مع الأنبیاء علیهم السلام وهو الحافظ لهم وأنّه تعالی مصدر قوتهم وعزتهم ومواقف الأنبیاء علیهم السلام مع سائر الظلمه یثبت ذلک هذا من جهه ومن جهه أخری إذا أظهر النَّبی الکفر فیدل ذلک علی أنَّ المجتمع المتأثر به سیصبح کافراً وهذا لا یتحمله العقل.

(۴) ما ینقله الإحسائی عن الفضل بن روزبهان من (أن الإنسان لما خلق من الأرض ونشأ منها فلا یخلو عن الکدورات الترابیه التی تقتضی الذنب والغفله فکان بعض الذنوب تصدر بحسب مقتضی الطبع ولما لم یکن خلاف ملکه العصمه

۱- (۱) عضد الدین عبد الرحمن بن أحمد الإیجی المواقف، ۲۶۳.

۲- (۲) الشیخ أحمد بن زین الدین الاحسائی، العصمه ۳۱.

فلا مؤاخذه به)(۱).

ويبدو فی عبارته نوع من التضاد والتسامح فی فهم العصمه من قوله (ولما لم يكن...) لأنه كيف نتصور العصمه مع إمكان صدور الذنب منه أو الغفله، فالعباره فيها تأمل..

(۵) واستدل كذلك فی حقائق المعرفه على نفی عصمتهم عليهم السلام مطلقاً بل أنهم ينالون جزء العصمه إذ يقول فأما فی سائر أفعالهم فی غير بتبليغ الرساله فإنّه يجوز عليهم النسيان والغفله والخطأ فی التأويل والعجله وقد ذكر الله عنهم ذلك وذكر توبتهم منه وندمهم وإقلاعهم واستغفارهم ثم يقول: لا يقال أنَّ النَّبی معصوم عن المذمومات والمعاصی جميعها لأَنَّهُ لو كان كذلك لم يكن له ثواب فی لزمه لنفسه عن المحرّمات ولما كان محموداً فی ترك إتباع الشهوات، ولما كان يوسف عليه السلام فی لزمِهِ لنفسهِ عن إمرأه العزيز محموداً، وقد قال تعالى:(وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ) (يوسف/ ۲۴)، فصح أَنَّهُ لزم نفسه عنها، لا عن عصمهٍ، ولا تقل إن الله عصمه منها.

بل نقول: إن الأنبياء مخيّرون متمكنون كغيرهم من الآدميين بل إنهم أقوى على نفوسهم وعلى لزمها من المحرمات لما شاهدوا من الدلائل والمعجزات(۲).

(۶) وأما الاشاعره فإنهم يرون أنَّ الأنبياء عليهم السلام مكلفون بترك الذنوب مثابون به ولو كان الذنب ممتنعاً عنهم لما كان كذلك، إذ لا تكليف بترك الممتنع ولا ثواب عليه، وكذلك قوله (قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ)

۱- (۱) الشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائی، العصمه ۲۹.

۲- (۲) أحمد بن سليمان بن محمد المطهر بن على بن الإمام الناصر، حقائق المعرفه فی علم الكلام ۴۳۰-۴۳۳ مؤسسه الإمام زيد بن على ط ۱، ۱۴۲۴ ه -- ۲۰۰۳ م، صنعاء - اليمن.

(الكهف/ ١١٠) يدل على مماثلتهم لسائر الناس فيما يرجع إلى البشريه والامتياز بالوحى لا غير فلا يمتنع صدور الذنب عنهم كما فى سائر البشر، هذا مذهب الأشاعره ومن تأمّل فيه علم أَنَّهُ الحق الصريح المطابق للعقل والنقل(١).

(٧) اختار الغزالى مـذهب القاضـى عبد الجبار فى نفى عصـمتهم عقلاً ودليله على ذلك أَنَّهُ (لا يسـتبان اسـتحاله وقوعه بضـروره العقل ولا ينظره، وليس هو مناقضاً لمـدلول المعجزه فإن مـدلوله صـدق اللهجه فيما يخبر عن الله تعالى لا عمداً ولا سـهواً ومعنى التنفير باطل فإنّه يجوز أنَّ ينبىء الله تعالى كافراً يؤيده بالمعجزه)(٢).

١- (١) ظ: الإحسائى ٣٩ مصدر سابق.

٢- (٢) المصدر نفسه ٣۴.

المبحث الثالث: توجيه آيات العتاب على القول بالعصمه

اشاره

لقد فصَّل كثير من مفسرّى المذاهب الإسلاميه ومتكلميها بعض الآيات التى لازمت حياه الأنبياء عليهم السلام وكثر حولها الجدل لأن بعضاً من هذه الآيات المباركات أثيرت حولها كثير من الشبهات التى لها اتصال مباشره بعصمه الأنبياء إذ قالوا: إنّ من هذه الآيات ما جاءت مورد عتاب ولوم وتقريع لبعض الأنبياء فكثر الجدل بين نافٍ هذه التوجهات والشبهات الواقعه فى غير محلها وبين مثبت لها ومن ثم مانعته بانتفاء ثبوت العصمه المطلقه للأنبياء عليهم السلام فأصبح هناك فريق قائل بالعصمه المطلقه وهو ما تبناه مذهب أهل البيت عليهم السلام وفريق آخر يذهب إلى أنَّ العصمه جزئيه للأنبياء وهذا الجزء كذلك اختلفوا فيه.

ومن هنا نتوقّف عند نماذج من الآيات المباركات لنماذج من الأنبياء عليهم السلام التى وقعت محل الجدل بين العلماء.

ص:٢٠٦

مدخل

يرتكز مذهب القائلين بالعصمه المطلقه للأنبياء عليه السلام على أدله يستندون إليها فى دعم ما يذهبون إليه من ان الأنبياء عليهم السلام معصومون مطهرّون لا- يأتيهم العيب والنقص، ولذا ذهب أتباع مدرسه أهل البيت عليهم السلام إلى إنتفاء عروض أى شىء من المعاصى والذنوب كبيره كانت أم صغيره قبل النبوّه أم بعدها(١).

وهذا التنزيه من الأصول الثابته فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام ولذا لا يقبل ما يخالفه من نصوص، وانطلاقاً من ذلك فهم يؤولون الآيات التى يشعر ظاهرها بأنّها خلاف الأصل(٢).

الأمر الذى دعا الشيخ المفيدرحمه الله إلى أنَّ يردّ على من يخالفه فى قوله بالعصمه المطلقه للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ويرى وقوع الصغائر منه صلى الله عليه وآله وسلم استدلالاً بما ورد فى القرآن الكريم من قوله تعالى:(لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ) (الفتح/ ٢)، وآيات أخرى بأنّ ما يتعلّق به هؤلاء لا- دليل عليه (فإنّه تأويل بضد ما توّهموه، والبرهان يعضده على البيان، وقد نطق بما وصفناه فقال جل اسمه (وَ النَّجْمِ إِذا هَوى * ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى) (النجم / ١-٢). فنفى عنه بذلك كل معصيه ونسيان(٣).

١- (١) ظ: الصدوق محمد بن على بن بابويه القمى الاعتقادات فى دين الإماميه ٢:٩٦.

٢- (٢) ظ: د. ستار جبر الأعرجى، منهج المتكلمين فى فهم النص القرآنى: ٢١٣ رساله دكتوراه، جامعه الكوفه ٢٠٠٠ م.

٣- (٣) الشيخ المفيد أوائل المقالات ٦٨.

المطلب الأول: توجيه آيات العتاب على القول بالعصمه المطلقه

اشاره

نورد هنا نماذج من آيات عتاب الأنبياء عليهم السلام مع بيان محاوله توجيهها على ضوء القول بالعصمه المطلقه

الأول: ما يتعلق بنبى الله آدم عليه السلام

ذهب أغلب مفسرى العامه إلى أنّ النَّبى آدم عليه السلام قد اقترف نوعاً من العصيان بنص ظاهر القرآن الكريم فى قوله تعالى:(وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى) (طه / ۱۲۱).

فقالوا هذا تصريح بوقوع المعصيه التى لا تكون إلّا قبيحه(۱) إذ كانت مصاحبه لإطاعه إبليس وهذا خطأ منه كان سبباً فى إخراجه من الجنه. فكان ذلك سبب عتابه من قبل البارئ جل علاه لتركه العمل بما أمره الله به من ترك الاقتراب من الشجره (وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَهِ وَ أَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ) (الأعراف / ۲۲).

ومن هنا ربط بعض بين النهى عن الأكل من الشجره وبين المعصيه على أنّها أخلال فى العصمه الأمر الذى جلب اللوم والعتاب لآدم عليه السلام.

فلابد من معرفه أنَّ كلمه (عصى) تعنى خلاف الطاعه وأن كلمه (لا تقربا) تعنى النهى، والنهى الشرعى نوعان: مولوى يجب طاعته فيما يأمر به، ويترتب عليه الثواب على الطاعه، والعقاب على المخالفه وهذا شأن أكثر الأوامر والنواهى الوارده فى الكتاب والسنّه.

۱- (۱) ظ: الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء ص ۲۴.

أو إرشادی وهو أنَّ ینطلق المولی فیه بتوجیه النصح والإرشاد والعظه والهدایه فیترک اختیار أحد الجانبین من الفعل والترک للمخاطب(۱).

والآیات الوارده فی سوره (طه) تکشف النقاب عن نوعیه هذا النهی، وتصرّح بأن النهی کان إرشادیاً لصیانه آدم عما یترتب علیه من الآثار المکروهه والعواقب غیر المحموده، ومن أجل تنزیه مقام النَّبی آدم علیه السلام ذهب علماء الإمامیه ومتکلموه القائلون بالعصمه المطلقه إلی توجیه هذه الآیات المنسوبه إلی آدم علیه السلام بما یناسب مقام آدم علیه السلام شرافته وعصمته کما جاء ذلک علی لسان الشریف المرتضی رحمه الله وغیره من علمائهم، إذ أنَّهُ - أی المرتضی - لا یری أنَّ آدم علیه السلام قد خالف الأمر الإلهی المتوجه إلیه وإنّما هو کان تارکاً لنفل ومعه لا یکون عاصیاً أو فعل قبیحاً.

إذ قال: (أما المعصیه فهی مخالفه الأمر والأمر من الحکیم تعالی قد یکون بالواجب والمندوب معاً، فلا یمتنع علی هذا أنَّ یکون آدم علیه السلام مندوباً إلی ترک التناول من الشجره، ویکون بمواقعتها تارکاً نفلاً ـ وفضلاً وغیر فاعل قبیحاً، ولیس یمتنع أنَّ یسمی تارک النفل عاصیاً کما یسمی بذلک تارک الواجب)(۲).

وبعد هذا البیان لا یمکن القبول بالقول أنَّ آدم قد أخطأ أو أنَّ الله تعالی قد تعمّد تخطئته لحکمه منه، فإذا کان الله عزّ وجلّ هو الذی خطأ آدم، فما ذنبه حتی یعاقبه ویجعله من أهل الغوایه.

ولو عدنا إلی الآیه التی قالوا إنها جاءت فی مورد عتاب له علیه السلام

۱- (۱) ظ: خلیل قدسی مهر، الفروق المهمه فی الأـصول الفقهیه ص ۵۳، نشر دار التفسیر، إیران - قم ط ۲، ۱۴۱۹ ه -. ق - ۱۳۷۷ ش.

۲- (۲) الشریف المرتضی، تنزیه الأنبیاء ص ۲۴.

وهی قوله تعالی:(أَ لَمْ أَنْهَکما عَنْ تِلْکَما الشَّجَرَهِ) (الأعراف/ ۲۲) نجد الشریف المرتضی رحمه الله یوجهها انطلاقاً من الخصائص البلاغیه المتفرده للأسلوب القرآنی بقوله (أمّا النهی والأمر فلیس یختصان عندنا بصیغه لیس فیها احتمال ولا اشتراک وقد یؤمر عندنا بلفظ النهی وینهی بلفظ الأمر فإنّما یکون النهی نهیاً بکراهه المنهی عنه فإذا قال تعالی:(وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَ) (الأعراف/ ۱۹) ولم یکره قربها، لم یکن فی الحقیقه ناهیاً کما أنَّهُ تعالی لما قال:(اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ) (فصلت/ ۴۰)(وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا) (المائده/ ۲) ولم یرد ذلک، لم یکن أمراً فإذا کان قد صحّ قوله:(وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَ) (الأعراف/ ۱۹) أراد ترک التناول، فیجب أنَّ یکون هذا القول أمراً، إن سمّاه منهی عنه، ویسمّی أمره له بأنَّهُ نهی من إذ کان فیه معنی النهی، لأن النهی ترغیبٌ فی الامتناع عن الفعل وتزهیداً فی الفعل نفسه، ولما کان الأمر ترغیباً فی الفعل وتزهیداً فی ترکه، جاز أنَّ یُسمیه نهیاً)(۱).

وینحی الشیخ الطوسی رحمه الله نفس المنحی بتوجیه الآیه بما یثبت العصمه المطلقه بأن آدم علیه السلام لم یرتکب قبیحاً لقیام الدلاله عنده علی عصمه من سائر القبائح صغیرها وکبیرها.

فیقول: (إنّ آدم علیه السلام لم یرتکب قبیحاً وأتی ما توجه إلیه بصوره النهی، کان المراد به ضرباً من الکراهه من دون الحظر، وإنما قلنا ذلک لقیام الدلاله علی عصمتهما من سائر القبائح صغائرها وکبائرها فعلی هذا لا یحتاج إلی أنَّ نقول أنهما تأولا فأخطأ)(۲).

۱- (۱) الشریف المرتضی، تنزیه الأنبیاء ص ۲۶.

۲- (۲) التبیان ۴:۳۷۳.

أما الطبرسی رحمه الله فینحی منحی آخر فی توجیه الآیه المبارکه إذ یری أنَّ هناک نوعاً من العتاب والتوبیخ لآدم وحواء إثر ارتکاب المنهی عنه إذ قالا:(رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا) (الأعراف/ ۲۳) ومعناه بخسناها الثواب بترک المندوب، فبعد أنَّ یعتبر الظلم الذی تسبباه لأنفسهما (نقصاً) یری أنهما لم یستحقا العقاب وإنما قالا ذلک لأنّ من جلَّ فی الدین قدمه کثر علی یسیر الزلل ندمه(۱).

ویری بعض المحدثین من علماء الإمامیه فی توجیه هذه الآیات (أنّها تکشف النقاب عن نوعیه هذا النهی وتصرّح بأنّ النّهی کان إرشادیاً لصیانه آدم عمّا یترتب علیه من الآثار المکروهه والعواقب غیر المحموده قال سبحانه: (فَقُلْنا یا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَکَ وَ لِزَوْجِکَ فَلا یُخْرِجَنَّکُما مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقی * إِنَّ لَکَ أَلاّ تَجُوعَ فِیها وَ لا تَعْری * وَ أَنَّکَ لا تَظْمَؤُا فِیها وَ لا تَضْحی) (طه / ۱۱۷-۱۱۹)، فإن قوله سبحانه:(فَلا یُخْرِجَنَّکُما مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقی) صریح فی أنَّ إمتثال النهی هو البقاء فی الجنه ونیل السعاده التی تمتثل فی قوله: (إِنَّ لَکَ أَلاّ تَجُوعَ فِیها وَ لا تَعْری * وَ أَنَّکَ لا تَظْمَؤُا فِیها وَ لا تَضْحی) وأنّ أثر المخالفه هو الخروج من الجنه والتعرض للشقاء الذی یتمثل فی الحیاه التی فیها الجوع والعری والظمأ وحر الشمس، وذلک کلُّه یدل علی أنَّهُ سبحانه لم یتخذ لدی النهی موقف النّهی الواجب طاعته بل کان ینهی بصوره الإرشاد والنصح والهدایه وأنّه لو خالف لتتب علیه الشقاء فی الحیاه والتعب فیها)(۲).

وممّا یعضد هذا الرأی الإمامی فی تنزیه آدم علیه السلام وعصمته ما رواه الشیخ الصدوق رحمه الله فی أمالیه بإسناده إلی أبی الصلت الهروی قال: ((لما جمع

۱- (۱) مجمع البیان ۵۰۶:۴.

۲- (۲) جعفر السبحانی، مفاهیم القرآن، ۲۲:۵، مؤسسه الشهید العلمیه، قم - إیران ۱۴۰۷ ه -. ق.

المأمون على بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات، واليهود والنصارى، والمجوس، وسائر أهل المقالات، قام إليه علىّ بن الجهم فقال: يا ابن رسول الله، أتقول بعصمه الأنبياء؟

قال عليه السلام: بلى.

قال: فما تقول فى قول الله عزّ وجلّ (وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى) ؟ (طه/ ١٢١).

فقال الرضا عليه السلام: ويحك يا على، أتقِ الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش، ولا تؤول كتاب الله برأيك، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول:(وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ) (آل عمران / ٧).

وأما قوله عزّ وجلّ (وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى) (طه/ ١٢١) فإنّ الله عزّ وجلّ، خلق آدم عليه السلام حجه فى أرضه، وخليفه فى بلاده، ولم يخلقه للجنه، وكانت المعصيه من آدم فى الجنه لا فى الأرض، لتتم مقادير أمر الله عزّ وجلّ، فلما أهبط الى الأرض جعله حجه وخليفه وعصمه الله بقوله:(إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ)١ (آل عمران / ٣٣-٣۴).

وبالتدبّر فى هذه الروايه وما يوافقها فى روايه القمى فى عيون الأخبار نجد أنَّ آدم امتاز بالعصمه والطهاره وأنّه لم يكن مخالفاً لأمر مولوى بل كان فى غايه الطاعه المطلقه وأنّه لم يستحق ذنباً ليعاقب عليه أو يؤاخذ على فعله (وإنّما كان من الصغائر الموجبه التى تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحى عيهم، فلما اجتباه

الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيره ولا كبيره)(۱).

هكذا أفاد أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام عصمه الأنبياء ونزاهتهم من هذه الروايه وغيرها من الروايات التى كشفت الفهم الخاطئ والشبهات إلوهيه عن وجه حقيقه عصمه الأنبياء عليهم السلام.

الثانى: توجيه ما يتعلق بنبى الله نوح عليه السلام

(الآيه) قال تعالى: (وَ نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ * قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ) (هود / ۴۵-۴۶).

يذهب القائلون بالعصمه المطلقه إلى توجيه هذه الآيات المباركه التى يوهم ظاهرها أنّها وارده مورد العتاب إذ أنَّ صدور السؤال من النَّبى نوح عليه السلام غير لائق بساحه الأنبياء، وبناءً عليه خوطب عليه السلام بالعتاب والنّهى عن السؤال.

فالشريف المرتضى رحمه الله ينفى بدءاً ما نسب إلى النَّبى الذى يراد منه الإخلال بالعصمه المطلقه، فى ظاهر قوله تعالى:(إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) (هود/ ۴۶) جواباً لقول نوح عليه السلام (إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى) (هود/ ۴۵) إذ إن (نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول نفى النسب، وإنما نفى أنَّ يكون من أهله الذين وعده الله بنجاتهم لأنه عزّ وجلّ كان وعد نوحاً عليه السلام بأن ينجى أهله إلا ترى إلى قوله (قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلاّ مَنْ

۱- (۱) القمى، عيون أخبار الرضاعليه السلام ۱:۱۷۴.

سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) (هود/ ۴۰) فاستثنى تعالى من أهله من أراد أهلاكه بالغرق، ويدل عليه أيضاً قول نوح عليه السلام:(إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ) (هود/ ۴۵) وعلى هذا الوجه يتطابق الأمران ولا يتنافيان)(۱).

ثم يقول بعد ذلك:

أما المراد من (لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) (هود/ ۴۶) فهو (أنّه ليس على دينك وأراد تعالى أَنَّهُ كان كافراً مخالفاً لأبيه، فكان كفره أخرجه عن أنَّ يكون له أحكام أهله)(۲).

وأما عن قوله تعالى: (فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (هود/ ۴۶) فهناك من يرى أَنَّهُ ليس يمتنع أنَّ يكون نهياً عن سؤال ما ليس لهُ به علم وإن لم يقع فيه، وأن يكون هو عليه السلام تعوّذ من ذلك وإن لم يواقعه، ألا ترى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عن الشرك والكفر وإن لم يتما منه..)(۳).

أما طلب نوح المغفره فيرى الطبرسى رحمه الله فى قوله تعالى:(وَ إِلّا تَغْفِرْ لِي وَ تَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ) (هود/ ۴۶) أنّه (إنما قال ذلك على سبيل التخشع والاستكانه لله تعالى وإن لم يسبق منه ذنب)(۴).

وللمفسرين المعاصرين من هذه الآيات فهم لا يخرج عن الإطار العام لتأكيد العصمه المطلقه.

فالشيخ مُحَمَّد جواد مغنيه يوجه الآيه المباركه إلى منحى آخر يقدّر فيه

۱- (۱) أمالى المرتضى ۱:۴۷۴.

۲- (۲) أمالى المرتضى ۱:۴۷۴.

۳- (۳) تنزيه الأنبياء ۳۸ ظ: الشريف المرتضى، أمالى المرتضى ۱:۴۷۶، الرازى، عصمه الأنبياء ۲۷.

۴- (۴) مجمع البيان ۵:۲۱۵.

أنَّ فعل النبی علیه السلام مبنی علی ظن مخالف للواقع فلا یمس بالعصمه إذ یقول (إنّ الظن المخالف للواقع لا یضرّ بالعصمه إذا کان مجرداً عن العمل لا یترتب علیه أی أثر فی الخارج لأنّه لا یکون والحال هذه أشبه بالخیال یمر بالذهن ثم یزول، کأن لم یکن علی فرض أنّ المعصوم أراد العمل بظنّه المخالف للواقع فإنّ الله سبحانه یکشف له عنه ویعصمه عن الواقع فی الخطأ)(۱).

ویوجه السید الطباطبائی الآیات المبارکات بما ینزّه معه نبیّه علیه السلام من کل ما یباعده عن العصمه فیری أنَّ الرحمه الإلهیه قد أدرکته بالعصمه فیری أنَّ نوحاً علیه السلام قد (أدرکته العصمه الإلهیه وقطعت علیه الکلام، وفسّر الله سبحانه له معنی قوله فی الوعد: (وأهلک) أنَّ المراد به الأهل الصالحون ولیس الابن الصالح، وقد قال تعالی من قبل (وَ لا تُخاطِبْنِی فِی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) (هود/ ۳۷) وقد أخذ نوح علیه السلام بظاهر الأصل أنَّ المستثنی منه هو امرأته الکافره فقط)(۲).

ویلاحظ علی صاحب التفسیر الأمثل أنَّهُ یوجه الآیات المبارکات توجیهاً آخر بما یستبطن القول بصدور ما یستدعی الاعتذار والاستغفار وإن کان لا یخالف العصمه، قال: (فأحسّ نوح أنَّ طلبه هذا من ساحه رحمه الله لم یکن صحیحاً ولا ینبغی أنَّ یتصور تجاه ولده ممّا وعد الله به نجاه أهله، لذلک توجه إلی الله معتذراً مستغفراً)(۳).

۱- (۱) الکاشف ۴:۲۴۵.

۲- (۲) المیزان ۶:۲۶۷.

۳- (۳) ناصر مکارم الشیرازی ۶:۳۳۹.

الثالث: توجيه ما يتعلق بنبى الله يونس عليه السلام

ولنبيّ الله يونس عليه السلام كما يرى المخالفون لعصمه الأنبياء جزء من الملامه والعتاب إذ أفادوا ذلك من قوله تعالى:(وَ هُوَ مُلِيمٌ) (الصافات/ ۱۴۲) أى مما وقع عليه من اللوم والعتاب، إذ أنَّ هذا أورد الآيه كامله المعنى مما صرّحت به آيات الذكر الحكيم فى سوره الصافات إذ أعلنت صراحه ذلك.

قال تعالى:(فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ) (الصافات/ ۱۴۲).

ولذا نجد أنَّ جمعاً من العلماء يذهبون إلى توجيه العتاب واللوم بحق نبينا يونس عليه السلام بأنَّهُ واقع لكنه عتاب على ترك الأولى، فقد عدَّ الشيخ الطوسى رحمه الله أنَّ (معناه أتى بما يلام عليه وأن كان مكفراً عند من قال بتجويز الصغائر على الأنبياء وعندنا قد يلام على ترك الذنب)(۱).

وهذا مذهب الإماميه جميعه إذ إنهم يقولون بالعصمه المطلقه ولا يجوزون حتى الصغائر على الأنبياء وإنما إذا حصل من قبيل هذا فإنّه يحمل على ترك الأولى، ومن هنا تدرك أنَّهُ سبحانه لم يخاطب نبيه لذنب ارتكبه أو خطأ اقترفه وإنما يكون خطاب تشريف وعتاب لطيف لا عتاب عقاب، وهذا ما أكده الطبرسى رحمه الله بقوله (مستحق للوم - لوم العتاب لا لوم العقاب - على خروجه من بين قومه من غير أمر ربه)(۲).

وإن كان السيد عبد الله شبر أكثر تحديداً إذ يرى أنَّهُ عوتب بترك الأولى

۱- (۱) التبيان ۸:۵۲۹.

۲- (۲) مجمع البيان ۸:۵۲۹.

لذهابه بلا أذن من ربه(۱).

وهـذا ما تابعه عليه صاحب تفسير الأمثل الـذى يرى أنَّ (من المسلّم أنَّ هذه لملامه لم تكن بسبب ارتكابه ذنباً كبيراً أو صـغيراً وإنما بسبب تركه العمل بالأولى واستعجاله فى ترك قومه وهجرانهم)(۲).

الرابع: توجيه ما يتعلق بنبى الله سليمان عليه السلام

ومما ورد عن نبى الله سـليمان عليه السـلام آيات فسـرها المخطئون لعصـمه الأنبياء بأنها نزلت للومه عليه السـلام وعتابه مما يخل ذلـك بعصـمته عليه السـلام ومن ذلـك قوله تعالى:(وَ لَقَدْ فَتَنّا سُـلَيْمانَ وَ أَلْقَينا عَلى كُرْسِـيِّهِ جَسَـداً ثُمَّ أَنابَ) (ص/ ۳۴) وردت قصص عده مفتريات لا تليق بساحه هذا النَّبى العظيم الكريم على الله سبحانه وتعالى وهى مما لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام، ثم أنَّ النبوه ليست محصوره فى خاتم تسـلب من النَّبى عليه السـلام بالنزع وغيره كما يظن بعضـهم وأن من كرائم الله على أنبيائه أنَّ لا يتمثل الشيطان أو الجن فى صدورهم إلى غير ذلك من الأمور.

ولذا من المناسب لمقام النَّبى عليه السـلام أنَّ يقف الشـريف المرتضـى رحمه الله موجهاً لما يرد فى هذه الآيه ليدفع ما اشتبه من كونه فعل عليه السلام ما يقتضى عتاباً.

فيقول: (وأمّا قول بعضـهم إنّما عوتب واسـتغفر لأجل أنَّ فريقين اختصما إليه، أحدهما من أهل جراده، وهى امرأه له كان يحبّها، فأحب أنَّ يقع القضاء

۱- (۱) ظ: تفسير شبّر ۴۹۶,

۲- (۲) ناصر الشيرازى ۳۶۴:۱۴.

لأهلها، فحكم بين الفريقين بالحق، وعوتب على محبّه موافقه الحكم لأهل امرأته، فليس هـذا أيضاً بشـيء لأن هذا المقدار الذى ذكروه ليس بشيء يقتضى عتاباً)(۱).

ويخالفه صدر المتألهين ذلك فيرى حصول ما يستدعى الاستغفار فيقول: (بأنّ الافتنان الذى حصل لسليمان عليه السلام والذى كان نتيجته الاستغفار هو عمله بترك الأولى فلذا استغفر وتاب)(۲).

وأيد الشيخ مغنيه رحمه الله هذا المنحى فى توجيه الآيه إذ يرى أنَّ الآيه توحى بأن هناك شيئاً صدر من النَّبى عليه السلام استحق لأجله اللوم والعتاب الذى تاب على أثره، إلّا أنَّهُ يحدّده بأنَّهُ لا يخرج عن نطاق ترك الأولى فلا يكون معصيه وأنّ التوبه لذلك لا عن حصول المعصيه فيقول: (ومهما يكن فقد تاب سليمان مما حدث منه كما تاب غيره من الأنبياء ثم يقول - وتجدر الإشاره إلى أنَّ الأنبياء عليهم السلام يتوبون لتركهم الأولى والأفضل لا لاقترافهم المعصيه(۳).

الخامس: توجيه ما يتعلق بنبينا الأكرم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم

اشاره

لقد ذكر المخطئه لعصمه الأنبياء عليهم السلام بعض الآيات التى تدل بظاهرها على نفى العصمه المطلقه، وكان لنبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم المساحه الكبرى من هذه الآيات التى أرادوا من توجيههم لها تخطئته والطعن فى عصمته صلى الله عليه وآله وسلم ونورد هنا نماذج منها مع محاوله توجيهها بالأدله الدامغه:

۱- (۱) تنزيه الأنبياء ۱۳۷.

۲- (۲) تفسير القرآن الكريم ۳:۱۲۱.

۳- (۳) الكاشف ۶:۳۷۹.

الآيه الأولى

قوله تعالى:(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَکَ تَبْتَغِی مَرْضاتَ أَزْواجِکَ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ) (التحریم / ۱).

قالوا: إنّ عتاب الله لنبیّه ظاهر فی هـذه الآیه، ولا یکون العتاب إلا عن ذنب کبیر أو صـغیر وفی هذه تخطئه له صـلی الله علیه وآله وسلم وعتاب وتوبیخ.

والظـاهر أنَّ لیس هنـاک مـا یشـیر إلی وجود ما یـدعو لعتابه أو توبیخه صـلی الله علیه وآله وسـلم لأنّ لا ذنب فی البین ومعه فلا حاجه إلی العتاب، لأن تحریم الرجل نساءه لسبب أو لغیره أمر مباح ولا یقترن معه ذنب.

قـال الشـریف المرتضـی رحمه الله موجهـاً العتـاب فیهـا بمـا نصه (لیس فی الآـیه ما یقتضـی عتاباً، وکیف یعاتبه الله علی ما لیس بذنب، لأن تحریم الرجل بعض نسائه لسبب أو لغیر سبب لیس بقبیح ولا داخل فی جمله الذنوب، وأکثر ما فیه أنَّهُ مباح)(۱).

ثم یترقی أبعـد من ذلـک فیقول: (ولا یمتنع أنَّ یکون قوله تعالی:(لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَکَ تَبْتَغِی مَرْضاتَ أَزْواجِکَ) (التحریم/ ۱) خرج مخرج التوجع من إذ یحمل المشقه من أجل إرضاء زوجاته)(۲).

فعلیه لیس هناک ما یقتضـی أنَّهُ عتاب ذنب، وإنّما هو عتاب تشـریف جاء نتیجه حرص رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم علی مرضاه أزواجه.

ومتعلّق هذه الآیه الوارده فی سوره التحریم معروف عند المفسرین، الذین

۱- (۱) تنزیه الأنبیاء ۱۶۸، ظ: الشریف المرتضی، أمالی المرتضی ۲:۲۳۲.

۲- (۲) المصدر نفسه ۱۶۸,

ذكروا أسباب نزولها، إذ رأوا أنّها تمثل موقف حفصه وعائشه زوجتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإفشاءهما سره، وتظاهرهما عليه من أجل تحريم ماريه القبطيه أو شرب العسل عند زوجته سوده بنت زمعه فقد أفشت حفصه سرّه وأخبرت به عائشه(۱) وذلك فى قوله تعالى:(وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً فَلَمّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هذا قالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) (التحريم / ۳).

وبيَّن عزّ وجلّ لهما العقوبه على ذلك الصنيع فى قوله تعالى:(إِنْ تَتُوبا إِلَى اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَهُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ) (التحريم / ۴).

ولذا أفاد الطبرسى رحمه الله (ت ۵۴۸ ه -) من هذه الآيه وقوع الأذى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فيرى قوله تعالى:(وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ) أنّ هناك تعاوناً عليه صلى الله عليه وآله وسلم بالإيذاء، ثم يستدل بعد ذلك بروايه عن ابن عباس يسال بها عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال - أى عمر - عائشه وحفصه(۲).

وفى عرضه للآيه المباركه يرى فى قوله تعالى:(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ) (التحريم/ ۱) أنَّ هنا نداء تشريفاً له صلى الله عليه وآله وسلم وتعليماً لعباده كيف يخاطبونه فى أثناء محاوراتهم ثم يستبعد أنَّ يكون هناك ذنبٌ يوجب العتاب(۳).

ويؤيد هذا المعنى تصريح الفخر الرازى بذلك مع أنَّهُ لا يقول بالعصمه

۱- (۱) ظ: البيضاوى ۲۹۲:۴، القشيرى ۲۳۲:۳، الصابونى، صفوه التفاسير ۳۸۳:۳-۳۸۴.

۲- (۲) مجمع البيان ۴۰۱:۱۰.

۳- (۳) المصدر نفسه ۳۹۹:۱۰.

المطلقه فيقول: (إنّ تحريم ما أحلّ الله له ليس بذنب بدليل الطلاق والعتاق، وأما العتاب فإنّ النهى عن فعل ذلك لابتغاء مرضات النساء أو ليكون زجراً لهن عن مطالبته مثل ذلك كما يقول القائل لغيره: لم قبلت أمر فلان واقتديت به وهو دونك وآثرت رضاه وهو عبدك فليس هذا عتاب ذنب وإنّما هو عتاب تشرف)(۱).

وهذا التوجيه يستفيد ممّا صرح به الشريف المرتضى فى كتابه تنزيه الأنبياء عليه السلام(۲).

الآيه الثانيه

قوله تعالى:(عَفَا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳).

قيل فى سبب نزول هذه الآيه المباركه، إن بعض المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ترك الخروج إلى غزوه تبوك فأذن لهم وهو يعلم صلى الله عليه وآله وسلم أنّهم منافقون ولا حاجه بهم إلى الخروج مع المسلمين المؤمنين الاتقياء الذين فيهم الكافيه عنهم، وقد أخبره الله عزّ وجلّ أنَّ الأولى أنَّ لا يأذن لهم حتى إذا لم يخرجوا ظهر نفاقهم وعرّفهم الناس لأنّهم قالوا:(وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَ اللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) (التوبه / ۴۲).

ثم أنَّ المخطئه قالوا: إنّ الآيه تدل على جواز صدور الذنب عن النَّبى لأنّ العفو إنّما يأتى بعد تحقق الذنب.

والظاهر أنَّ لسانها وارد بلطيف المعاتبه وإن كان العتاب على فعل جائز

۱- (۱) عصمه الأنبياء ۱۱۰.

۲- (۲) تنزيه الأنبياء ص ۱۶۸.

كـالمراد من هـذه الآيه، وليس للعفو متعلق إلا التلطف فى العتاب، لأنه يقول له: لو أذنت لهم فى القعود لتبين لك الصادقون من الكاذبين يعنى لتعرف من يقعد عن عذر وعن غير عذر وهو إرشاد له وليس ذنباً وإنّما قصاراه أنَّ يكون ترك الأولى.

وفى تفسير القمى (على بن إبراهيم ت ٣٠٧ ه -) عن الإمام الباقر عليه السلام يقول: (لتعرف أهل العذر والذين جلسوا بغير عذر) وعن الإمـام الرضـا عليه السـلام كمـا فى عيون الأخبار فى جواب ما سأله المأمون عن عصـمه الأنبياء عليه السـلام: (هـذا مما نزل بإياك أعنى واسمعى يا جاره خاطب الله تعالى بذلك نبيّه وأراد أمته)(١).

والظاهر أنَّ هـذا اللفظ كان شائعاً فى الاسـتعمال من غير اعتبار ذنب أو تقصـير وإنما هو من جميل التلطف بالخطاب، ولـذا ينفى الشـريف المرتضـى رحمه الله أنَّ يكون هناك أى نوع من العتاب الموجه للنّبى الأكرم صـلى الله عليه وآله وسـلم، إذ يقول: (أمّا قوله تعـالى:(عَفَا اللّهُ عَنْكَ) (التوبه/ ۴۳) فليس يقتضـى وقوع معصـيه ولاـ غفران عقـاب ولا يمتنع أنَّ يكون المقصود به التعظيم والملاـطفه فى المخـاطبه - ثم يقول - أما قوله تعالى:(لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳) فظاهره الاسـتفهام والمراد به التقريع واستخراج ذكر عله إذنه وليس بواجب حمل ذلك على العتاب، لأن أحـدنا يقول لغيره، لِمَ فعلت كـذا وكـذا، تاره معاتباً وأخرى مسـتفهماً فليس هـذه اللفظه خـاصه للعتـاب والإنكار، وإنّ أكثر ما يقتضـيه وغايه ما يمكن أنَّ يـدّعى فيها أنَّ تكون داله على أنَّهُ صـلى الله عليه وآله وسلم ترك الأولى)(٢).

١- (١) ظ: تفسير القمى ١:١٨٠، هاشم البحرانى، البرهان فى تفسير القرآن ۴:۴۶۷.

٢- (٢) تنزيه الأنبياء ۶۰، ظ: أمالى المرتضى ٢:٣٣٢.

ویشیر الطبرسی رحمه الله إلی نکته بلاغیه مهمه فی أسلوب التعبیر القرآنی إذ یری أنَّ هذا من لطیف المعاتبه بدأ بالعفو قبل العتاب ویجوز العتاب من الله فیما غیره منه أولی ولاسیما الأنبیاء علیهم السلام(۱).

وللعلاّمه المجلسی رحمه الله فی البحار توجیه آخر فیقول: (یجوز أنَّ یکون إذنه صلی الله علیه وآله وسلم لهم حسناً موافقاً لأمره تعالی ویکون العتاب متوجهاً إلی المستأذنین الذین علم الله من قبلهم النفاق، أو إلی جماعه حملوا النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم علی ذلک ومن هذا القبیل قوله تعالی:(یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّی إِلهَیْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ) (المائده/ ۱۱۶) ولا تنافی بین کون إستیذانهم حراماً وإذنه صلی الله علیه وآله وسلم بحسب ما یظهرونه من الأعذار ظاهراً واجباً أو مباحاً أو ترک أولی)(۲).

وهذا قد یکون له وجد لما امتاز به النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم من صفات فاقت الأنبیاء والرسل جمیعهم علیهم السلام، وباعتباره الخاتم وکما وصفهُ القرآن بأنَّهُ ذو خلق عظیم فکیف یجتمع العتاب مع من اصطفاه الله تعالی ومیّزه واجتباه وطهرّه.

وأما السید الطباطبائی رحمه الله فیری أنَّ الآیه (فی مقام دعوی ظهور کذبهم ونفاقهم وأنّهُم مفتضحون بأدنی امتحان یمتحنون به ومن مناسبات هذا المقام إلقاء العتاب إلی المخاطب وتوبیخه والإنکار علیه کأنّه هو الذی ستر علیهم فضائح أعمالهم وسوء سریرتهم، وهو نوع من العنایه الکلامیه یبین به ظهور الأمر ووضوحه، ولا یراد أزید من ذلک فهو من أقسام البیان عن طریق إیاک أعنی

۱- (۱) ظ: الطبرسی، جوامع الجامع ۶۷:۲ ظ: مجمع البیان ۴۶:۵.

۲- (۲) بحار الأنوار ۴۷:۱۷.

واسمعی یا جاره، خاطب الله عزّ وجلّ بها نبیّه وأراد به أمته)(۱).

فتبیّن أنَّ محصل دلالـه الآیه لم یکن فیها أی نوع من الإخلال بشخصیّه الرسول وعصمته وإنّما کان ذلک تعظیماً لشأنه وتوقیراً لرسالته هذا علی القول إنّ الکلام موجهاً له صلی الله علیه وآله وسلم وإلا فالکلام یکون لأولئک الذین تخلّفوا عن الجهاد فیکون فیه نوع من اللوم والعتاب والتقریع لطلبهم الاستئذان والإنصراف عن المسیر معه.

الآیه الثالثه

قوله تعالی:(ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْری حَتّی یُثْخِنَ فِی الْأَرْضِ تُرِیدُونَ عَرَضَ الدُّنْیا وَ اللّهُ یُرِیدُ الْآخِرَهَ وَ اللّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ) (الأنفال/ ۶۷).

قالوا: إنّ الآیه تدل علی عتاب الله لنبیّه صلی الله علیه وآله وسلم وتلّومه علی استبقاء الأسری، وأخذ الجزیه أو الفداء عوضاً عن قتلهم واعتبروا ذلک من أدله خطأ الرسول صلی الله علیه وآله وسلم.

وقد جاء فی بعض روایات سبب النزول، أنَّهُ بعد انتهاء معرکه بدر وأخذ الأسری بعد أنَّ أمر النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم أنَّ تضرب عنقا الأسیرین الخطرین (عقبه بن أبی معیط والنضر بن الحارث) فخافت الأنصار أنَّ ینفذ هذا الحکم فی سائر الأسری فیحرموا من أخذ الفداء فقالوا: یا رسول الله أنا قتلنا سبعین رجلاً وأسرنا سبعین وکلهم من قبیلتک فهب لنا هؤلاء الأسری نأخذ الفداء منهم، وکان النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم یرتقب نزول الوحی، فنزلت

۱- (۱) المیزان ۲۸۴:۹.

هذه الآيات فأجازت أخذ الفداء فی قبال إطلاق سراح الأسری(۱).

وعنـد التدبر فی الآیه ومنشأ النزول نجد أنَّ ظاهر الآیه تقتضـی توجیه القول والعتب إلی غیر النَّبی صـلی الله علیه وآله وسـلم لأنّه بعید جداً عمّا أراده الله تعالی بقوله:(تُرِیدُونَ عَرَضَ الدُّنْیا) (الانفال/ ۶۷) وبعید هذا القول عن خلقه العظیم وصفاته الحمیده وبعد هـذا نزول الشـکوک ونعلم أنَّ المعـاتب لیس رسـول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وإنّمـا العتـاب متوجه إلی غیره کمـا هو عند الشـریف المرتضـی رحمه الله إذ ذهب إلی أنَّ العتـاب فی الحقیقه (متوجه إلی سواه صـلی الله علیه وآله وسـلم لأنّ الله تعالی قد صرّح فی ذلـک قی تمام الآیه بقوله:(تُرِیـدُونَ عَرَضَ الـدُّنْیا وَ اللّهُ یُرِیـدُ الْآخِرَهَ) (الانفال/ ۶۷) وقوله تعـالی:(لَوْ لا کِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّکُمْ فِیما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ) (الأنفال / ۶۸) والقصه فی هذه مشهوره أیضاً وإنّما أضاف الأسری إلی نبیه صلی الله علیه وآله وسـلم بقوله:(ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْری) (الانفال/ ۶۷) وإن کان المراد بالخطاب من أُسـر، لأنّهم أسروهم لیکونوا فی یده صلی الله علیه وآله وسلم فهم فی الحقیقه أُسراؤه ومضافون إلیه وإن لم یأمر بأسرهم)(۲).

وأکد هذا التوجیه للآیه الشـریف المرتضـی رحمه الله فی تنزیه الأنبیاء ما نصّه (لیس فی ظاهر الآیه ما یدل علی أَنَّهُ صلی الله علیه وآله وسلم عوتب فی شأن الأسری بل لو قیل: إنّ الظاهر یقتضی توجه الآیه إلی غیره لکان أولی)(۳).

والأولویه هنا ناشئه من إنکار الله عزّ وجلّ لهم هذا الأمر وبیّن أنَّ الذی

۱- (۱) ظ: تفسیر علی بن إبراهیم، طبقاً لما جاء فی نور الثقلین ۱۲۶:۲.

۲- (۲) أمالی المرتضی ۳۳۲:۲، ظ الطباطبائی، المیزان ۱۳۶:۹.

۳- (۳) تنزیه الأنبیاء ص ۵۸.

أراده الله ورسوله غير ما فعلوه فاستحقوا بذلك هذا اللوم والعتب القاسى.

وبعد أنَّ يعرض الطباطبائى رحمه الله اختلاف المفسرين فيمن نزل بحقّه العتاب، النبى، أو بحق المسلمين، قال: (والعتاب على ما يهدى اليه سياق الكلام فى الآيه الأولى، إنما هو على اخذهم الاسرى، كما يشهد به قولهم أيضاً فى الآيه الثانيه (لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) أى فى أخذكم، وإنما كانوا أخذوا عنه نزول الآيات الأسرى دون الفداء وليس العتاب على استباحه الفداء أو أخذه)(1) ثم أنَّهُ رحمه الله يضرب دليلاً على أنَّ النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يشاركهم فى العتاب فيقول (إن العتاب فى الآيه متعلق بأخذ الأسرى وليس فيه ما يشعر بأنَّهُ استشارهم فيه أو رضى به).

وبناءً على ذلك يظهر أنَّ العتاب ما كان متوجهاً له صلى الله عليه وآله وسلم وإنّما كان لغيره من المسلمين الذين استحقوا بذلك اللوم والتوبيخ الشديدين.

وهذا المعنى ما يؤكد توجيه حتى الذاهبين إلى نفى العصمه المطلقه كالفخر الرازى إذ ذكر مؤيداً القول بانتفاء عتاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بل توجه ذلك كله إلى أصحابه الذين قاموا بأخذ الفداء من الأسرى على الرغم من بُعد رغبه النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك، وقد علل ذلك فى الشبهه الرابعه قال: (أما قوله تعالى:(تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا) (الانفال/ ۶۷) فهو خطاب جمع، فيعرف ذلك إلى القوم الذين رغبوا فى المال، وأما قوله تعالى:(لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ) (الانفال/ ۶۸) فمعناه لولا ما سبق من تحليل الغنائم لعذبتكم بسبب أخذكم الفداء، وهذا غايه التقريع فى تخطئتهم فى أخذ

۱- (۱) الميزان ۲:۱۳۴-۱۳۵.

الفداء من جهه التدبّر، ثم أنَّهُ يشير إلى أنَّ المعاتب فى شأن الأسرى هو غير النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم، بل يجب أنَّ يكون سواه(۱).

الآيه الرابعه

قوله تعالى:(عَبَسَ وَ تَوَلّى * أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى) (عبس / ۱-۲).

قيل: إنّها نزلت فى عبد الله بن أم مكتوم، إنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يناجى عتبه بن ربيعه، وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبى وأميّه بن خلف يدعوهم إلى الله ويرجوا إسلامهم فقال: يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدرى أنَّهُ مشتغل مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهه فى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقطعه كلامه، وقال فى نفسه: يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان، والعبيد فأعرض عنه واقبل على القوم الذين يكلمهم فنزلت، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك يكرمه وإذا رآه قال: مرحباً بمن عاتبنى فيه ربىّ ويقول له ((هل لك من حاجه))، واستخلفه على المدينه مرتين فى غزوتين(۲).

وهناك رأى آخر فى شأن النزول، ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام من (أنها نزلت فى رجل من بنى أميه، كان عند النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم فجاء ابن أم مكتوم فلما رآه تعذّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك، وأنكره عليه(۳).

۱- (۱) ظ: عصمه الأنبياء ۱۰۵-۱۰۶.

۲- (۲) الطبرسى، مجمع البيان ۵۵۷:۱۰.

۳- (۳) المصدر نفسه ۵۵۷:۱۰، ظ: هاشم البحرانى، البرهان ۱۸۱:۱۰.

ومن خلال قراءه سبب النزول وخصوصاً الرأى الثانى يكون الخطاب غير دال على توجهها إلى النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم بل يدل الخطاب فيها على أنَّهُ موجه إلى شخص آخر غيره صلى الله عليه وآله وسلم ولو تنزّلنا بأنّ الخطاب له مع ذلك نجد أنَّ صاحب السعاده يوجه الآيه حتى مع احتمال أنها قصد منها النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم، إذ يرى أنَّهُ (لو كانت الآيات فيه صلى الله عليه وآله وسلم والعتاب له لم يكن فيه نقص لشانه ولم يكن منافياً لما قاله تعالى فى حقّه من قوله:(وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم/ ۴) فإن إقباله وإدباره وعبوسه واستبشاره كان لله، فإن عبوسه إنْ كان لمنع الأعمى من نشر دين الله، واستماع كلمات الأعداء لله وأعداء دينه وتقريبهم إلى دينه لم يكن فيه نقص وفى خلقه، وأما أمثال العتاب له صلى الله عليه وآله وسلم فإنها تدل على تفضيحه والإعتداد به فإنّها كلّما كانت بایاك أعنى واسمعى يا جاره فالخطاب والعتاب يكون لغيره لا له صلى الله عليه وآله وسلم).

فالخطاب لغيره صلى الله عليه وآله وسلم ولو كان له لكان الخطاب بلسان (عبست وتوليت) إذن فالآيه (خبر محض لم يصرّح بالمخبر عنه، وفيها من يدل عند التأمل على أنَّ المعنى بها غير النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم لأنه وصفه بالعبوس وليس هذا من صفات النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم)(۱).

والروايه التى وصفت النَّبى بأنَّهُ يتصدّى للأغنياء، ومشيخه قريش وصناديدها ويلهى عن الفقراء، وهذا مناقض لصفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً وقوله تعالى:(أَمّا مَنِ اسْتَغْنى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّى * وَ ما عَلَيْكَ

۱- (۱) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء ۱۶۶.

أَلاّ يَزَّكّى) (عبس / ۵-۷) ففيه عتاب وتوبيخ أشد من قوله (عَبَسَ وَ تَوَلّى) (عبس/ ۱) لأن الاستغناء من الغنى ووفره المال، والمعنى: إنّ من كان غنياً تقبل عليه وتلاطفه وتحادثه وتترك الفقير وهذا كلّه إغراء بترك الحرص على إيمان قومه فلا يليق بمن بعث بالدعاء والتنبيه كما قال الفخر الرازى(۱).

ويرى المجلسى رحمه الله فى البحار أنَّ الآيه جاءت بلسان العتاب على ترك الأولى..(۲).

والذى يظهر مما سبق أنَّ منهج الإماميّه تنزيهى لساحه الأنبياء عليهم السلام عن كثير من المعانى والشبهات التى تسىء لهم عليهم السلام إساءات بالغه إذ إن مما ينسب لهم مخجل أنَّ يصدر عن مؤمن عادى فكيف بمن اصطفوا لهدايه العباد وهذا منحى منهجى يعد من أهم الثوابت فى مذهب الإماميّه.

المطلب الثانى: توجيه آيات العتاب على القول بالعصمه الجزئيه

مدخل

ذهب المفسرون وعلماء الكلام من غير الإماميه إلى تجويز القدح والمس بعصمه الأنبياء عليهم السلام حتى أنّهم انتحلوا فى ذلك مذاهب شتى بين الأخذ والرد إلى أنَّ وصل الأمر عندهم بارتكاب الأنبياء للصغائر وغيرها علناً ومن دون تحفظ وهذا ما سبقت الإشاره إليه سابقاً.

فإذا كان الأنبياء والرسل عليهم السلام يعملون بوحى من الله وهو سبحانه

۱- (۱) الفخر الرازى، عصمه الأنبياء ۱۰۸.

۲- (۲) محمد باقر المجلسى، بحار الأنوار ۷۸:۱۷.

المسدد لهم والمشرف على تربيتهم وهم صفوه عباد، كيف يمكن له سبحانه أنَّ يخطئ نبيّه أو رسوله بنفسه، ثم بعد كل ذلك يعتب عليه ويلومه على ما فعل؟

ولأنّ الله سبحانه وتعالى أراد فعلاً أنَّ يخطئه فإنّ من عدالته أنَّ لا يعتب عليه، لأنّ الله هو العدل فى حكمه، ولا يمكن أنَّ يفعل ما يناقض ذلك، وهو عزّ وجلّ لا يأمر بشيء ويعاقب على طاعته فيه.

وفى ما يأتى نورد لبعض الآيات من الذكر الحكيم تحمل فى ظاهرها ما يفهم منه بعض المفسرين أنَّهُ نوع من العتاب أمر اللوم لهم عليهم السلام:

الأول: توجيه ما يتعلق بنبى الله آدم عليه السلام

ذهب القائلون بالعصمه الجزئيه للأنبياء عليهم السلام إلى تخطئه آدم عليه السلام وأنّه قال قسطاً من العتاب واللوم لما مرّ به من الاختبار من النهى عن الأكل من الشجره، فى العتاب كما يرون من دلالة قوله تعالى:(وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَهِ وَ أَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ) (الأعراف / ٢٢).

إذ يرى الزمخشرى أنَّ آدم عليه السلام قد نال اللوم والتوبيخ لأنّه لم يعبأ بكلام البارئ عزّ وجلّ واتبع إبليس ونسى تحذير الله له من عداوه إبليس فقال موجهاً ذلك بأنَّهُ (عتاب من الله تعالى وتوبيخ وتنبيه على الخطأ إذ لم يتحذر مما حذرهما الله من عداوه إبليس، وروى أنَّهُ قال لآدم عليه السلام ألم يكن لك فيما منعتك من شجره الجنه مندوحه عن هذه الجره؟ فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت أنَّ أحداً من خلقك يحلف بك كاذباً، قال: بعزتى لأهبطنّك إلى الأرض ثم لا تنال

العیش إلا نکدا)(۱).

وللفخر الرازی توجیه آخر لهذه الآیه المبارکه إذ یری أنَّ النّهی قد یکون للتحریم وقد یکون تنزیهاً غیر ملام علیه، قال: (لا تسلم أنَّ النّهی للتحریم فقط، بل هو مشترک بین التحریم والتنزیه، وتفسیره أنَّ النهی یفید أنّ جانب الترک راجح علی جانب الفعل)(۲).

فیکون نهیاً إرشادیاً لا یعاقب علی ترکه فیکون من باب ترک الأولی، ثم أنَّهُ - رأی الرازی - یفرض أنَّهُ مع التسلیم بأن النهی کان محرماً لکن آدم فعل ناسیاً لقوله تعالی:(فَنَسِیَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) (طه/ ۱۱۵) وحینئذٍ لم یکن ذنباً لأنّ التکلیف مرتفع عن الناسی، ثم یوجه الآیه حتی مع احتمال نفی النسیان، فحتی مع أنَّهُ لقائل أنَّ یقول: إنّ آدم لم یکن ناسیاً، بدلیل هذه الآیه (ما نَهاکُما رَبُّکُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَهِ إِلاّ أَنْ تَکُونا مَلَکَیْنِ أَوْ تَکُونا مِنَ الْخالِدِینَ) (الأعراف/ ۲۰) إذ إنه عوتب علی ذلک وإنّه لو کان ناسیاً لما عوتب علی الفعل، فحیث عوتب دلّ علی أنَّهُ ما کان ناسیاً، ثم یجیب الرازی علی هذا الاحتمال - بانا نسلّم أنَّهُ لم یکن ناسیاً ولکنه أخطأ فی الاجتهاد، وذلک لأنّ کلمه (هذه) فی قوله تعالی:(وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَ) (الأعراف/ ۱۹) قد یراد بها الإشاره إلی الشخص، وقد یراد بها الإشاره إلی النوع کما فی قوله علیه الصلاه والسلام: (هذا وضوء لا یقبل الله الصلاه إلاّ به) فآدم علیه الصلاه والسلام اشتبه الأمر علیه فظن أنَّ المراد هو الشخص فعدل عنه إلی شخص آخر، إلاّ أنَّ المجتهد إذا

۱- (۱) الکشاف ۲:۹۹.

۲- (۲) عصمه الأنبیاء ۱۹.

اخطأ فی الفروع لم یکن صاحب کبیره(۱).

إلاّ أنَّ البیضاوی یحدد دلالـه الآـیه بأنّ النّهی هنا للتحریم استحق علی أثره آدم علیه السلام التوبیخ واللوم لأنّه رکن إلی قول إبلیس وترک قول ربّه. فیری الآـیه: (عتاب علی مخالفه المنهی عنه وتوبیخ علی الاـغترار بقول العدو وفیه دلیل علی أنَّ مطلق النّهی للتحریم)(۲).

ویبدو لنا أنَّ البیضاوی قد أفرط فیما ذهب إلیه فی حدود عصمه آدم علیه السلام الذی اختاره تعالی واصطفاه لنفسه، وهل یعقل أنَّ آدم علیه السلام وهو بهذه المنزله أنَّ یکون بسیطاً لدرجه أنَّهُ یغترّ بإبلیس ویرتکب ذنباً یعاتب علی فعله ویلام علی إتیانه وهو النَّبی المعصوم الذی أمضی الله له ذلک بسجود الملائکه لله ولاـ یکاد ولاـ یختلف مُحَمَّد رشید رضا عن سابقیه فی الاشتراک فی تحمیل آدم علیه السلام تبعات اللوم والعتاب والتوبیخ، فیصرح بوقوع ما یوجب العتاب من آدم علیه السلام، لانّ الاستفهام فی قوله تعالی (أَ لَمْ أَنْهَکُما) (الأعراف/ ۲۲) للعتاب والتوبیخ، أی وقال لهما ربهما الذی یربیهما فی طور المخالفه، کما یربیهما فی حال الطاعه والإذعان،(أَ لَمْ أَنْهَکُما عَنْ تِلْکُمَا الشَّجَرَهِ)۳ (الأعراف/ ۲۲) الآیه.

الثانی: توجیه ما یتعلق بنبی الله یونس علیه السلام

ولم یترک المخطئون للأنبیاء علیهم السلام نبیّ الله یونس علیه السلام بل

۱- (۱) عصمه الأنبیاء ۱۹-۲۰.

۲- (۲) تفسیر البیضاوی ۲:۷۳.

وقفوا عنده مطلقين أقلامهم بغْيه ارتكاب خطأ استحق على أثره لوم البارئ وعتابه وهذا ما فهموه من قوله تعالى:(فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ) (الصافات/ ۱۴۲).

إذ تعاملوا مع هذه الآيه بأنّها تدل على مخالفه يونس لربه وخروجه عن عصمته، وذلك عندما ترك قومه وخرج مغاضباً من دون إذن من ربه فلامه الله على ذلك...

فالطبرى يرى أنَّ يونس عليه السلام استحق اللوم وهذا الاستنتاج إثر تفسير الطبرى لمفرده اللوم، باعتبار أنّ النَّبى عليه السلام اقترف ما يلام عليه، قال:(وَ هُوَ مُلِيمٌ) مكتسب للوم، يقال ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه من الأمر وأن لم يُلم كما يقال: أصبحت محمقاً معطشاً أى عندك الحمق والعطش، ثم يستشهد بعد ذلك بقول لبيد:

سفهاً عذلت ولمت غير مليم وهداك قبل اليوم غير حكيم

فأمّا اللوم فهو الذى يلام باللسان ويعذل بالقول(۱).

ويقترب الزمخشرى من الطبرى فى تحديد معنى اللوم ليستفيد منه أنَّ يونس عليه السلام (أخل فى الملامه، يقال ربّ لائم لئيم، أى يلوم غيره، وهو أحق منه باللوم)(۲).

فالظاهر أنّهما يريان أنَّ النَّبى يونس عليه السلام مستحق لذلك اللوم

۱- (۱) ظ: ديوان لبيد بن ربيعه تحقيق د. احسان عباس، دار صادر بيروت، ظ تاج العروس، الزبيدى ج ۱۷، ص ۶۶۲.

۲- (۲) الكشاف ۶۳:۴.

والعتاب لأنّه اقترف ما يوجب ذلك فأصبح عمله معيباً، وهذا ما يؤيده القرطبى إذ وجه الآيه بقوله: (أتى بما يلام عليه، فأما الملوم فهو الذى يلام، استحق ذلك أو لم يستحق ثم يقول - وقيل المليم المعيب، يقال: لام الرجل، إذا عمل شيئاً فصار معيباً بذلك العمل)(١).

وهذا لا يليق بساحه الأنبياء المعصومين المطهّرين عليهم السلام فلا يتطرق إليهم العيب والنقص كى يعاتبوا ويلاموا وخير ما عبر عنه فى ذلك هو السيد المرتضى رحمه الله الذى قال (أما أنّ يونس عليه السلام خرج مغاضباً لربّه من إذ لم ينزل بقومه العذاب فقد خرج فى الافتراء على الأنبياء عليهم السلام وسوء الظن بهم عن الحد وليس يجوز أنَّ يغاضب ربّه إلاّ من كان معادياً له وجاهلاً بأن الحكمه فى سائر أفعاله)(٢).

الثالث: توجيه ما يتعلق بنبى الله موسى عليه السلام

وفيما يتعلق بنبى الله موسى عليه السلام من نسبه الخطأ إليه من بعض المفسرين والرواه يرون أَنَّهُ قد عوتب عندما قام خطيباً فى بنى إسرائيل وذلك عندما سُئِل عن أعلم الناس، فنسب العلم إلى نفسه ولم ينسبه إلى الله(٣) فعتب عليه، فنزل قوله تعالى:(وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً) (الكهف/ ٦٠) ومن هنا انطلق المخطئون متحاملين على نبى الله الكليم موسى لمحاوله الخدش فى عصمته أثر عتاب البارئ له..

١- (١) الجامع لأحكام القرآن ٨١:٨، ظ: البيضاوى ٢٧:٥.

٢- (٢) تنزيه الأنبياء ص ١٤١.

٣- (٣) الطبرسى: مجمع البيان ٦٢١:٦، ظ: القرطبى، الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨:٥.

وهذا المعنى ما استقرّ عليه رأى الزمخشرى إذ يرى أنَّ العتاب كان صريحاً فى حقّه عليه السلام فقال: (روى أنَّهُ لما ظهر موسى على مصر مع بنى إسرائيل واستقروا بها أمره الله أنَّ يذكر قومه النعمه، فقام فيهم خطيباً فذكر نعمه الله وقال: إنَّ الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأى الناس أعلم؟ قال: أنا: فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إلى الله، فأوحى الله، بل أعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين وهو الخضر)(۱).

ويؤيد القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن هذا الاتجاه فى فهم تلك الروايات إذ إنّه جعل سبب إلتقاء موسى بالخضر عليه السلام هو بسبب عتاب الله له على ما قاله فى نفسه عليه السلام من أنَّهُ الأعلم فأراد الله أنَّ يعطيه درساً عملياً فى ذلك(۲).

الرابع: توجيه ما يتعلق بنبينا الأكرم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم

اشاره

ذكر المفسرون باختلاف مذاهبهم - عدا الإماميه - عدداً من الآيات التى دوّنوها فى تفاسيرهم وكتبهم الكلاميه بأنّها وردت بلسان العتاب واللوم تجاه النَّبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وقد تنوع الخطاب فيها بين الشده والضعف.

فمن هذه الآيات التى وردت فى هذا المضمار:

الآيه الأولى

قوله تعالى:(عَفَا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه: ۴۳).

۱- (۱) الكشاف ۲:۶۸۳.

۲- (۲) الجامع لأحكام القرآن ۵:۲۷۸، ظ: تفسير أبى السعود ۵، ۳۲۲، الحسين بن مسعود البغوى، معالم التنزيل ۳:۱۷۰.

وللآيات المباركات سبب نزول، إذ إنّ جماعه من المنافقين جاؤوا إلى النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم وبعد أنَّ تذرعوا بحجج واهيه مختلفه طالبين من النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ ينصرفوا عن المشاركه فى معركه تبوك، فإذن لهم النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم بالانصراف(١).

فعتب الله تعالى على النَّبى كما فى الآيه محل البحث وللمفسرين مذاهب فى فهم معنى العتاب المشفوع بالعفو، أهو دليل على أنَّ إذن النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم كان مخالفه أم هو من باب ترك الأولى، أم غيره.

فما نلاحظه من توجيه تفسير القشيرى (ت ۴۶۵) لهذه الآيه المباركه أنَّهُ لم يكن صلى الله عليه وآله وسلم قد خالف حداً وإنّما كان من باب ترك الأولى قال: (لم يكن منه صلى الله عليه وآله وسلم خرق حدٍّ أو تعاطى محظور، إنّما ندر منه ترك ما هو أولى، قدّم الله ذكر العفو على الخطاب الذى هو فى صوره العتاب بقوله (لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳) أو فى جواز الزله على الأنبياء عليه السلام إذا لم يكن ذلك فى تبليغ أمر أو تمهيد شرع...)(٢).

ويستند البغوى (ت ۵۱۴) فى توجيه الآيات المباركات إلى ما ينقله عمر بن ميمون من أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعل ما أوجب عتابه، إذنه للمنافقين وأخذه الفديه من أسارى بدر، ويروى كذلك عن سفيان بن عيينه كيف أنَّ الله تلطف بنبيه إذ ذكر العفو قبل أنَّ يعيّره بالذنب الذى استجلب العتاب، وبعد هذا يردف القول بما وقرّ الله به نبيّه ورفع محلّه بافتتاح الدعاء له كما يقال:

١- (١) ظ: ابن كثير، مختصر ابن كثير ١۴٩:٢، على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى، المحلّى ٣١١:١١، دار الآفاق الجديده، تحقيق لجنه إحياء التراث العربى.

٢- (٢) أبو القاسم عبد الكريم القشيرى ٢۴٢:١.

(عفا الله عنک ما صنعت بحاجتی)(۱) وهذا کأنما جاری فی المخاطبه.

وقد أفرط بعضهم فی تجاوزه علی مقام النَّبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم إلی درجه الإساءه بزعم أنَّ الآیات دلیل علی أمکان صدور المعصیه منه، وهذا ما نلاحظه عند الزمخشری الذی أفرط فی الإساءه إلیه صلی الله علیه وآله وسلم مما دعا صاحب الحاشیه (أحمد بن المنیر الاسکندری (ت ۶۸۳ ه -) إلی ردّه وتوجیه کلامه.

إذ قال الزمخشری (((عَفَا اللّهُ عَنْکَ) (التوبه/ ۴۳) کنایه عن الجنایه، لأنّ العفو رادف لها، ومعناه أخطأت وبأس ما فعلت. و (لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳) بیان لما کنی عنه بالعفو، ومعناه: مالک أذنت لهم فی القعود عن الغزو حین استأذنوک واعتلوا لک بعللهم وهلا استأنیت بالأذن (حَتّی یَتَبَیَّنَ لَکَ) (التوبه/ ۴۳) من صدق فی عذره ممن کذب فیه.

وقیل شیئان فعلهما رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ولم یؤمر بهما: إذنه للمنافقین وأخذه من الأساری فعاتبه الله تعالی))(۲).

وهذا ما دفع صاحب الحاشیه علی الکشاف أنَّ یحتج علی الزمخشری إذ قال: (لیس له أنَّ یفسّر هذه الآیه بهذا التفسیر، وهو بین أحد أمرین: إما أنَّ لا یکون هو المراد وإمّا أنَّ یکون هو المراد ولکن أجل الله نبیه الکریم عن مخاطبته بصریح العتب، وخصوصاً فی حقّ المصطفی علیه الصلاه والسلام، فالزمخشری علی کلا التقدیرین ذاهل عما یجب من حقّه علیه الصلاه والسلام.

۱- (۱) معالم التنزیل ۲۰:۲۵۱.

۲- (۲) الزمخشری ۲:۲۶۱-۲۶۲.

ولقد أحسن من قال فی هذه الآیه: إن من لطف الله تعالی بنبیّه أنَّ بدأ بالعفو قبل العتب، ولو قال له ابتداءً: لِمَ أذنت لهم؟ لتفطر قلبه علیه الصلاه والسلام مثل هذا الأدب یجب احتذاؤه فی حق سید البشر علیه أفضل الصلاه والسلام)(۱).

وکل هذا فی الواقع قلیل بحق المصطفی الذی جعله الله مثلاً فی الخلق العظیم إذ قال تعالی مخاطباً لنبیّه (وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ) (القلم/ ۴).

وبعد أنَّ یورد السمر قندی سبب النزول من استئذان المنافقین بالتخلف وأذن الرسول صلی الله علیه وآله وسلم لهم، یری أنَّ الخطاب فی قوله تعالی (عَفَا اللّهُ عَنْکَ) (التوبه/ ۴۳) للنبی صلی الله علیه وآله وسلم ویذکر بعد ذلک ما یرویه عن بن عبد الله من أنَّ الله أخبره بالعفو قبل أنَّ یخبره بالذنب، ثم یصرح علی مسأله العتاب فیری أنَّ منشأهُ فعلان فعلهما رسول الله، الفداءه من أساری بدر وإذنه للمنافقین بالتخلّف(۲).

ویوجه القرطبی الآیه المبارکه فیراها (افتتاح کلام کما تقول أصلحک الله وأعزک ورحمک کان کذا وکذا وعلی هذا التأویل یحسن الوقف علی قول (عَفَا اللّهُ عَنْکَ) (التوبه/ ۴۳) حکاه مکی المهدوی والنحاس وأخبره العفو قبل الذنب لئلا یطیر قلبه فرقاً، وقیل المعنی (عَفَا اللّهُ عَنْکَ) ما کان من ذنبک فی أنَّ أذنت لهم فلا یحسن الوقف علی قوله (عَفَا اللّهُ عَنْکَ) علی هذا التقدیر، حکاه المهداوی واختاره النحاس، ثم قیل فی الإذن قولان، الأول لِمَ أذنت لهم فی

۱- (۱) المصدر نفسه حاشیه ۲:۲۶۱.

۲- (۲) ظ: نصر الدین محمد بن أحمد أبو اللیث السمر قندی، من أعلام القرن الرابع الهجری، بحر الغرائب ۲:۶۲، تح. د. محمود مطربی ط ۱، ۱۴۱۸ ه -- ۱۹۹۷ م.

الخروج معک وفی خروجهم وخروجهم بلا عدّه ونیّه صادقه، الثانی لِمَ أذنت لهم فی القعود لمّا اعتلوا بأعذار ذکرهما القشیری. قال وهذا عتاب تلطّف إذا قال عفا الله عنک وکان علیه السلام أذِن من غیر وصی نزل فیه، فقال قتاده وعمر بن میمون ثنتان فعلهما النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم ولم یؤمر بهما...)(۱).

ویکاد لا یبتعد ابن کثیر عن أقرانه فی أنَّ الآیات نزلت عتاباً له صلی الله علیه وآله وسلم بعد ان یروی من استحسن المعاتبه، بما ینتهی سنده إلی عون إذ قال: هل سمعتم بمعاتبه أحسن من هذا؟ نداء بالعفو قبل المعاتبه فقال:(عَفَا اللّهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (التوبه/ ۴۳) ثم یقول وقال قتاده عاتبه کما تسمعون(۲).

وللبیضاوی نصیب من توجیه العتاب للنبی صلی الله علیه وآله وسلم إذ یری أنَّ الآیات فیها نوع استفهام من النَّبی لو أنَّهُ توقف حتی یری أمر الله لدرء ما قد یلام علیه الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم فیری أنَّ النَّبی قد أخطأ قال:(عَفَا اللّهُ عَنْکَ) کنایه عن خطئه فی الإذن فإن العفو من روادفه (لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) بیان لما کنی عنه بالعفو ومعاتبته علیه، والمعنی لأی شیء أذنت لهم فی القعود حتی استأذنوک واعتلوا بأکاذیب وهلا توقفت حتی یتبین، یؤمر بها أخذه للفداء وإذنه للمنافقین فعاتبه الله علیها)(۳).

ونری أنَّهُ لا دلیل فی الآیه علی صدور أی ذنب أو معصیه من النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم وحتی ظاهر الآیه لا یدل علی ذلک لأنّ القرائن جمیعها تثبت

۱- (۱) الجامع لأحکام القرآن ۴:۱۲۹-۱۳۰.

۲- (۲) ظ: تفسیر القرآن العظیم ۲:۳۷۴.

۳- (۳) تفسیر البیضاوی ۳:۱۴۸.

أنَّ النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم سواء أذن لهم أم لم یأذن، فإنّهم لا یجدون نفعاً فی الجهاد وقد اثبت القرآن ذلک قال تعالی: (لَوْ خَرَجُوا فِیکُمْ ما زادُوکُمْ إِلاّ خَبالاً) (التوبه / ۴۷) ومعه لم یقعد المسلمون أی مصلحه فی إذن النَّبی لهم بالانصراف.

وکیف یفعل النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم ما لا یؤمر به والقرآن یصرّح بأنَّهُ صلی الله علیه وآله وسلم (وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْیٌ یُوحی) (النجم/ ۳-۴) فما هذا إلاّ تجنی علی النَّبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم وهو الذی یزن لکل عمل وزنه لأنّه مسدد بالوحی وبروح القدس.

الآیه الثانیه

قوله تعالی:(عَبَسَ وَ تَوَلّی * أَنْ جاءَهُ الْأَعْمی) (عبس / ۱-۲).

سبق أنَّ بیّنا أنَّ جمعاً من المفسرین تأثر بالسبب المروی لنزول هذه الآیه واعتقدوا خطأً أنّها نزلت عتاباً لرسول الله وذلک عندما أقبل علیه ابن أم مکتوم وأعرض النَّبی عنه وأقبل إلی غیره.. فکان کلّما رآه رسول الله یکرمه ویقول: مرحباً بمن عاتبنی به ربّی(۱).

فالفخر الرازی بعد أنَّ یری أنَّ القوم تمسکوا بأنّ عتاب الله لنبیه إثر إعراضه عن ابن أم مکتوم، فهو لا یسلم بأنّ الخطاب متوجه إلی النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم فعندها یری الروایه معارضه بأمور(۲).

۱- (۱) ظ: الزمخشری، الکشاف ۷۰۱:۴، القرطبی، الجامع لأحکام القرآن، البیضاوی ۳۸۲:۴، تفسیر ابن کثیر ۴۷۱:۴، تفسیر ابن السعود ۱۰۷:۹، زبده التفاسیر ۳۳۲:۷، صفوه التفاسیر ۳۳۴:۷.

۲- (۲) عصمه الأنبیاء ۱۰۸.

الأول: أَنَّهُ وصفه بالعبوس وليس هذا فی صفات النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم فی قرآن ولا خبر مع الأعداء والمعاندین فضلاً عن المؤمنین والمسترشدین.

الثانی: وصفه بأَنَّهُ تعدی للأغنیاء وتلهی عن الفقراء وذلک غیر لائق بأخلاقه.

الثالث: أَنَّهُ لا یجوز أنَّ یقال للنّبی (وَ ما عَلَیْکَ أَلّا یَزَّکّی) (عبس/ ۷).

فإن هذا الإغراء یترک الحرص علی إیمان قومه فلا یلیق بمن بعث بالدعاء والتنبه(۱).

وعندما نطالع الجزائری نجده یری أنَّ الآیه فیها عتاب صریح ولطیف یعاتب الله سبحانه وتعالی به رسوله الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم(۲).

ولا یخفی علی ذی لب أنَّ العبوس والتصدّی للأغنیاء من دون الفقراء والتلّهی عمن جاء مسلماً لفقره أو عماه، وقوله تعالی (وَ ما عَلَیْکَ أَلّا یَزَّکّی) (عبس / ۷) کل ذلک یتعارض مع خلق رسول الله وصفاته صلی الله علیه وآله وسلم.

وهو مردود لأنه یعتمد روایات ضعیفه فی أسباب النزول فضلاً عن أَنَّهُ مخالف للکتاب فی نصّه بوصف النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم أَنَّهُ علی خُلُقٍ عظیم فکیف یستقیم هذا المعنی مع النص.

وبالتدبّر فی الروایات واستحضار روایات أخری صحیحه ترفع المعنی نجد أنَّ التفاسیر أجمعت علی أنَّ الأعمی هو ابن أمّ مکتوم لکنّها اختلفت فیمن خوطب بالسوره ووصفه الله بتلک الصفات فقال بعضهم: هو النَّبی صلی الله علیه وآله

۱- (۱) المصدر نفسه.

۲- (۲) ظ: أیسر التفاسیر ۵:۵۱۷.

وسلم وقال آخرون: هو رجل من بنى أميه كان عند النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم فجاءه ابن أمّ مكتوم فلما رآه تعذّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه فحكى الله قصته(۱).

وعليه فالخطاب غير دال على توّجهها إلى النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم بل يدل الخطاب على توجهها لشخص آخر غير النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم ولو كان الخطاب له صلى الله عليه وآله وسلم لقال: عبست وتولّيت، هذا على أنّها مناقضه لما أنماز به النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم من صفات شهد له بها القرآن الكريم.

الآيه الثالثه

قوله تعالى:(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التحريم / ۱).

هذه من بعض الآيات التى تمسّك به الذاهبون إلى القول بالعصمه الجزئيه، بأنها ظاهره فى عتاب الله لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، ووجه العتاب فيها ناشئ من أنَّهُ لا يكمن إلّا عن ذنب كبيراً كان أو صغيراً، وفى هذا تخطئه له صلى الله عليه وآله وسلم وعتاب وتوبيخ، هكذا وجهوا الآيه المباركه يدفعها للدلاله على غير ما أريد بها.

وقضيه هذه الآيه الكريمه الوارده فى سوره التحريم متناوله عند أغلب المفسرين، إذ يذكرون أسباب نزولها، فيقولون: إنّها تتمثل فى موقف عائشه وحفصه زوجتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإفشائهما سرّه صلى الله

۱- (۱) ظ: الميزان ۲۰۴/۲۰.

علیه وآله وسلم، وتظاهرهما علیه، من أجل تحریم ماریه القبطیه علی نفسه صلی الله علیه وآله وسلم أو تحریمه شرب العسل عند إحدی زوجاته، فقد أفشت حفصه سرّه وأخبرت به عائشه، الأمر الذی دعا إلی نزول قوله تعالی:(وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِیُّ إِلی بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِیثاً فَلَمّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللّهُ عَلَیْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَکَ هذا قالَ نَبَّأَنِیَ الْعَلِیمُ الْخَبِیرُ) (التحریم/ ۳)(۱).

وعندما ینطلق القشیری (ت ۴۶۵ ه -) من سبب النزول، یری أنَّ النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم قد عوتب لذلک، فیقول: (جاء فی القصه أنَّ النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم حرّم علی نفسه ماریه القبطیّه وفی الحال حلف أنَّ لا یطأها شهراً مراعاه لقلب حفصه إذ رأت النَّبی معها فی یومها، وقیل حرّم علی نفسه العسل لمّا قالت له زوجاته إنّا نجد منک ریح المغافیر، والمغافیر صمغ فی البادیه کریه الرائحه، ویقال بقله کریهه الرائحه، فعاتبه الله علی ذلک)(۲).

وللفخر الرازی توجیه ینحی به منحی آخر کأنه یمیل معه إلی روایه تحریم النَّبی ماریه القبطیه علی نفسه، ولذا یبرر ذلک بأنَّهُ صلی الله علیه وآله وسلم لم یرتکب ذنباً یستحق العتاب الصریح، فقال: (إن تحریم ما أحل الله له لیس بذنب بدلیل الطلاق والعتاق، وأمّا العتاب فإنّ النّهی عن فعل ذلک لابتغاء مرضات النساء، أو لیکون زجراً لهن عن مطالبته مثل ذلک کما یقول القائل لغیره: لِمَ قبلت أمر فلان واقتدیت به وهو دونک وأثرت رضاه وهو عبدک، فلیس هذا

۱- (۱) ظ: البخاری، صحیح البخاری ص ۸۹۹، عبد الله بن قدامه (ت ۶۲۰ ه -)، المغنی ۲۰۲:۱۱، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان.

۲- (۲) تفسیر القشیری ۳۲۲:۳.

عتاب ذنب وإنما هو عتاب تشريف(۱).

ويبدو أنَّ هذا التوجه أعدل من غيره إذ إنه قرن للعتاب مساحه أخرى غير مساحه الخطاب الشديد الذى أحتمله بعضهم من المفسرين.

والذى يبدو أنَّ روايه تحريم ماريه غير ناهضه قبال الآيه المباركه باعتبار أنَّ لماريه بيتها وليلتها وليس من أخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذى يمثل العداله الإنسانيه، أنَّ لا يراعى ذلك، ولا يبقى إلا أنَّ يكون أنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم حرم العسل على نفسه للمؤامره غير الشرعيه المتمثله بالكذب لما قلن له صلى الله عليه وآله وسلم نجدُ فيك ريح المغافير.

وهذا المعنى من المؤامره والتظاهر عليه صلى الله عليه وآله وسلم ما وجه به القرطبى الآيه فقال: (ثبت فى صحيح مسلم عن عائشه - رضى الله عنها - أنَّ النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلًا، قالت: فتواطأت أنا وحفصه إن أيّتنا ما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلتقل: إنى أجد منك ريح المغافير، أكلت المغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك ذلك فقال: ((بل شربت عسلًا عند زينب بنت جحش ولن أعود له)). فنزل:(لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضاتَ أَزْواجِكَ)۲ (التحريم/ ۱).

ولذا انطلق من هذه الروايه فى إفاده العتاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم من خلال قوله تعالى:(وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التحريم/ ۱) يقول (لما أوجب المعاتبه

۱- (۱) الرازى، عصمه الأنبياء: ۱۱۱-۱۱۲.

رحيم برفع المؤاخذه - ثم يقول - وقيل: إن ذلك كان ذنباً من الصغائر، والصحيح أَنَّهُ معاتبه على ترك الأولى وإنْ لم تكن له صغيره ولا كبيره)(١).

وعلى فرض كلا السببين للنزول، من تحريم ماريه على نفسه أو شرب العسل فيرى فى التسهيل أنّها نزلت عتاباً على أنَّ يضيّق على نفسه بتحريم الجاريه أو تحريم العسل - وإمّا قوله تعالى:(وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التحريم/ ١) فيراه إشاره إلى أنَّ الله غفر له ما عاتبه عليه من التحريم على أنَّ عتابه فى ذلك إنّما كان كرامه له وإنّما وقع العتاب على تضييقه عليه السلام على نفسه وامتناعه مما كان فيه أدب(٢).

ويبدو للبيضاوى أنَّ روايه تحريم ماريه هى الراجحه عنده إذ أَنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم عوتب لأجل ذلك(٣).

ويكاد لا يختلف الصابونى عمّن سبقه إلا يسيراً فى توجيه العتاب الوارد فى الآيه فقال: (وفى افتتاح العتاب من حين التلطّف ما لا يخفى فقد عاتبه على إتعاب نفسه والتضييق عليها من أجل مرضات أزواجه، أما قوله تعالى (وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التحريم/ ١) - فيرى أَنَّهُ عقبى - والله واسع المغفره عظيم الرحمه إذ سامحك فى امتناعك عن ماريه، وإنما عاتبك رحمه بك وفى هذا إشاره إلى أنَّ عتابه فى ذلك إنما كان كرامه له وإنما وقع العتاب لتضييقه على نفسه)(٤).

ويبدو لنا أنّ الخطاب فى الآيه المباركه، ليس خطاب تقريع ولوم وعتاب كما تخيّله بعض المفسرين وإنّما هو نغمه تشريف وتلطف بسبب تحمّله العناء والمشقه

١- (١) المصدر نفسه ١١٩:٩.

٢- (٢) ظ: أبو القاسم محمد الكلبى (ت ٧٤١ ه -) التسهيل فى علوم التنزيل ٤٦٢:٢.

٣- (٣) ظ: تفسير البيضاوى ٢٩٢:٤.

٤- (٤) ظ: محمد على الصابونى، صفوه التفاسير ٣٨٣:٣-٣٨٤.

من أجل أرضاء زوجاته، إذ مرّ فيما سبق عتاب الله لهنّ، لقيامهن بإفشاء سرّه صلى الله عليه وآله وسلم والتظاهر عليه، الأمر الذى دعاهنّ للتوبه مما اقترفن.

الآيه الرابعه

قوله تعالى:(وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اللّهُ عَلَیْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِ أَمْسِکْ عَلَیْکَ زَوْجَکَ وَ اتَّقِ اللّهَ وَ تُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اللّهُ مُبْدِیهِ وَ تَخْشَی النّاسَ وَ اللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ) (الأحزاب / ۳۷).

ذهب المجوّزون لصدور الذنب عن الأنبياء إلى توجيه الله له، حتى لقد روى ابن جرير عن عائشه أنها قالت: ما نزلت آيه أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الآيه، ولو كتم شيئاً لما أوحى إليه من كتاب الله تعالى، لكتم هذه الآيه(۱).

ويفهم منها قناعه عائشه بخطأ النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم وندمه على ذلك وفى القصه إشاره إلى أكاذيب ما يروى من أنَّ النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم رأى زينب بنت جحش بعدما زوّجها ربيبه زيداً فهويها النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم ولمّا حضر زيد لطلاقها، أخفى رسول الله ما فى نفسه من عزمه على نكاحها بعده، لهواه لها، فعاتبه ربُّه على ذلك(۲) وممّا قالوا: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبصرها بعدما أنكحها إياهُ - أى زيد - فوقعت فى نفسه(۳).

يذهب الزمخشرى إلى تأويل الآيه بما يثبت العتاب لكنه ينقله إلى التوجه لغير

۱- (۱) تفسير ابن كثير ۳:۴۹۱.

۲- (۲) ظ: الفخر الرازى، عصمه الأنبياء ۱۰۰، القرطبى، الجامع لأحكام القرآن ۷:۱۲۵.

۳- (۳) الزمخشرى، الكشاف ۳:۵۴۹.

ما قد فهم خطأ إذ يقول: (فإنْ قلت... كيف عاتبه الله فی ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النَّبی صلی الله عليه وآله وسلم التصريح بشیء إلا الشیء فی نفسه مستهجن، وقال له الناس لا تتعلّق إلا بما يستقبح فی العقول والعادات؟ وما له لم يعاتبه فی الأمر نفسه ولم يأمره بفهم الشهوه وكف النفس عن أنَّ تنازع إلی زينب وتتبعها ولم يعصم نبيّه عن تعلّق الهجنه به وما يعرضه للقاله؟ قلت: كم من شیء يتحفّظ منه الإنسان ويستحی من إطلاع الناس عليه، وهو فی نفسه مباح متسع، وحلال مطلق، لا مقال فيه ولا عيب عند الله...)(۱).

ونحی القرطبی المنحی نفسه من توجيه العتاب فی الآيه بقوله: ((وخشی رسول الله أنَّ يلحق قول من الناس فی أنَّ يتزوّج زينب بعد زيد وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله علی هذا من أنَّ قد خشی الناس فی شیء قد أباحه الله له)(۲).

وأما الفخر الرازی فقد وجّه الآيه مجيباً عمّن تمسّك بأنّها وارده فی عتاب الرسول الأكرم صلی الله عليه وآله وسلم بأربعه وجوه نقف عند موضع الحاجه إليها:

أحدها: (الذی يدل علی أنَّهُ لم يصدر من الرسول فی هذه الواقعه مذمه، ولا عاتبه الله علی شیء منه، ولا ذكر أنَّهُ عصی أو أخطأ ولا ذكر استغفار النَّبی منه، ولا أنَّهُ اعترف علی نفسه مخطئاً)(۳).

والفخر الرازی وإنْ كان لا يقول بالعصمه المطلقه لنبينا الأكرم صلی الله

۱- (۱) الكشاف ۳:۵۵۰-۵۵۱.

۲- (۲) الجامع لأحكام القرآن ۱۲۵:۷.

۳- (۳) عصمه الأنبياء ۱۰۰.

علیه وآله وسلم ولکنّه یجب فی مثل هذه الحادثه أنَّ النَّبی الأکرم بعید عما دوّنته أقلامهم المزیفه بالطعن والافتراء، بل یری (أنَّهُ لو حصل فی ذلک سوء لکان قدحاً فی الله تعالی)(۱).

وحقیقه ما تدل علیه هذه الآیات ونصّها أنَّ الله تعالی أراد أنَّ ینسخ عاده جاهلیه متمکنه من نفوس الناس وهی تحریم زوجه المتبنّی، فأوحی الله عزّ وجلّ إلی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أنَّ یتزوج منها بعد قِران زید لها وکمال عدتها، کأی إمرأه من المسلمین، لکون ذلک ناسخاً لجاهلیه کامنه فی النفوس.

۱- (۱) المصدر نفسه ۱۰۱.

الخاتمه

بعد هذه الرحله الطويله فی آفاق (آیات العتاب) ودلالاتها وإشباعها بحثاً ودراسةً من حیثیات وزوایا متعدده ومحاوله استقصاء عناصره ومفهوماته وأشکاله ودلالاته فی اللغه ووروده فی آیات الذکر الحکیم أهم النتائج التی تمخضت عنها الدراسه إذ تبلورت فی الآتی:

(۱) إنّ العتاب فی اللغه العربیه یرجع إلی أصول متعدده من إذ البناء اللفظی ویرد بصیغ متعدده فی المفردات التی نالت عنایه الباحثین القدماء وحضیت باهتمامهم الملحوظ.

(۲) إنَّ معانی العتاب وردت فی القرآن الکریم بصیغها اللغویه الصریحه فی مواطن عده فی سور من القرآن الکریم کما وردت بمفرداتها دلت علی معانی تشیر إلی (العتاب) فی سیاق الآیات القرآنیه التی وردت فیها اللفظه أو المرادفه لها.

(۳) إنَّ العتاب أخذ موقعه کذلک فی القصص القرآنی والحدیث الشریف إذ جاء ذلک علی لسان النَّبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم وکذلک علی لسان أمیر المؤمنین الإمام علی بن أبی طالب علیهما السلام فی نهج البلاغه وفی ما ورد من روایات عن أئمه أهل البیت علیهم السلام وبصیغ متعدده.

(۴) أنَّ هنـاک بعض الآيـات التی اتخـذت ذريعه لمخطئه الأنبيـاء عليهم السـلام إذ فسـروها بأنهـا جاءت فی مورد العتاب واللوم والتقريع لهم وهـذا ممّـا يؤدی إلی الطعن بعصـمتهم وقـد أثبتت الـدراسه خلاـف ذلـک من خلال تبيان الآراء وتحليلها ومحاوله فحص أدلتها.

(۵) ثبوت العصـمه المطلقه للأنبيـاء عليهم السـلام من خلال الأدله العقليه والنقليه وآراء كبار علماء الكلام فی قبال ضـعف رأی القائلين بالعصمه الجزئيه الأمر الذی دعا توجيه معانی الآيات الوارده الذكر بذلک.

(۶) تنزيه الأنبياء عليهم السـلام ونفی إمكان صدور أی لون من ألوان الذنب منهم صـغيراً كان أو كبيراً قبل النبوه أو بعدها وهذا ما أثبتته الدراسه خلاف لما رآه المخطئه من أنَّ اللوم والعتاب سببهما وقوع الذنب والمعصيه منهم.

وأخيراً فإنّا نرجو أنَّ نكون قـد وفقنا فی إعطاء الموضوع حقّه من الـدراسه التی جلوت ما خفی منه وقدمت أشـياء جديده تسـهم فی بلوره تصور وفهم المفسرين وعلماء الكلام للآيات الوارده بشأن الأنبياء ومسيرتهم فی الهدايه علی وفق طريق الحق والعدل.

والله الموفق والهادی إلی سبيل الحق عليه توكلنا أوّلاً وأخيراً وإليه نُنيب.

المصادر والمراجع

۱. القرآن الکریم

۲. إبراهیم الحجازی (ت ۱۳۷۷ ه ـ. ش) آیات العقائد تحقیق رامین الکمکانی، مجمع البحوث الإسلامیه، مشهد ط ۱، ۱۴۲۴ ه ـ.

۳. ابن أبی الحدید، عز الدین أبی حامد عبد الحمید بن هبه الله المدائنی (ت ۶۵۶ ه ـ) شرح النهج، تحقیق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهیم، دار الکتاب العربی، العراق - بغداد ط ۱، ۱۴۲۶ ه ـ ۲۰۰۵ م.

۴. ابن الاثیر العلامه عز الدین بن الحسن علی بن إبراهیم بن أبی الکرم الشیبانی (ت ۶۳۰ ه ـ)، الکامل فی التاریخ، دار صادر بیروت - لبنان ط ۱۳۸۵ ه ـ ۱۹۶۵ م.

۵. ابن القطّاع (ت ۵۱۵ ه ـ)، الافعال، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان ۱۴۲۴ ه ـ.

۶. ابن المغازلی (ت ۴۸۳ ه ـ) مناقب علی بن أبی طالب علیه السلام، انتشارات سبط النبی، إیران - قم، ط ۱، ۱۴۲۶ ه ـ.

۷. ابن جریر الطبری (ت ۳۱۰ ه ـ)، جامع البیان عن تأویل القرآن، تحقیق خلیل المیس، دار الفکر، بیروت - لبنان ۱۴۱۵ ه ـ ۱۹۹۵ م.

۸. ابن حزم، الفصل فی الملل والأهواء والنحل، دار المعرفه، بیروت - لبنان، ط ۲، ۱۳۹۵ ه ـ، ۱۹۷۵ م.

۹. ابن عطیه الاندلسی (ت ۵۴۶ ه ـ) الوجیز فی تفسیر الکتاب العزیز، تحقیق عبد السلام عبد الشافی مُحَمَّد، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۱۳ ه ـ ۱۹۹۳ م.

۱۰. ابن منظور جمال الدین مُحَمَّد بن مکرم الافریقی المصری (ت ۷۱۱ ه ـ)، لسان العرب، دار

صادر بیروت – لبنان، ۱۹۸۶ م.

۱۱. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بیروت ۱۹۸۶.

۱۲. أبو الحسن أحمد بن فارس زکریا (ت ۳۹۵ ه –)، تحقیق عبد السلام هارون، مکتب الإعلام الإسلامی، ط ۱۴۰۴ ه –.

۱۳. أبو الحسن علی بن أحمد الواحدی (ت ۴۶۸ ه –) أسباب النزول مؤسسه الحلبی، القاهره ۱۳۸۸ ه -- ۱۹۶۸ م.

۱۴. أبو الحسن علی بن مُحَمَّد بن حبیب الماوردی البصری (ت ۴۵۰ ه –)، النکت والعیون، تحقیق عبد المقصود عبد الرحیم، دار الکتب العلمیه، بیروت – لبنان، ط ۱ (د. ت).

۱۵. أبو الصلاح الحلبی، تقریب المعارف، تحقیق فارس تبریزیان الحسون انتشارات، المحقق، ۱۴۱۷ ه -- ۱۳۷۵ ش.

۱۶. أبو الفداء إسماعیل بن کثیر القرشی الدمشقی (ت ۷۷۴ ه –) تفسیر ابن کثیر تحقیق عبد الرزاق المهدی، دار المعرفه بیروت – لبنان ط ۱۴۱۲ ه -- ۱۹۹۲ م.

۱۷. أبو الفضل شهاب الدین محمود البغدادی (ت ۱۲۷۰ ه –) روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی، منشورات دار أحیاء التراث العربی، بیروت – لبنان ط ۴، ۱۴۰۵ ه -- ۱۹۸۵ م.

۱۸. أبو القاسم عبد الکریم بن هوزان بن عبد الملک القشیری النیسابوری الشافعی (ت ۴۶۵ ه –) تفسیر القشیری، دار الکتب العلمیه، بیروت – لبنان، ط ۱، ۱۲۴۰ ه -- ۲۰۰۰ م.

۱۹. أبو القاسم فرات بن إبراهیم الکوی (ت ۳۵۲ ه –) تفسیر فرات الکوفی، تحقیق مُحَمَّد کاظم المحمودی، إیران – طهران، ط ۱، ۱۴۱۰ ه –.

۲۰. أبو القاسم مُحَمَّد بن أحمد الکلبی (ت ۴۷۱ ه –)، التسهیل لعلوم التنزیل، تحقیق مُحَمَّد سالم هاشم ط ۱، ۱۴۱۵ ه -- ۱۹۹۵ م.

۲۱. أبو بکر جابر الجزائری أیسر التفاسیر، دار الکتب العلمیه، بیروت – لبنان، ط ۱، ۱۴۱۶ ه -- ۱۹۹۵ م.

۲۲. أبو بکر مُحَمَّد بن إسحاق الکلاباذی (ت ۳۸۰ ه –) التعرّف لمذهب التصّوف تحقیق أحمد شمس الدین طه، دار الکتب العلمیه، بیروت – لبنان ط ۱، ۱۴۱۳ ه -- ۱۹۹۳.

۲۳. أبو جعفر مُحَمَّد بن الحسن بن بابویه القمی الصدوق (ت ۳۸۱ ه –)، الأمالی نشر مؤسسه الأعلمی، بیروت – لبنان، ط ۵، ۱۴۰۰ ه –.

۲۴. أبو جعفر مُحَمَّد بن الحسن بن فروّخ الصفّار (۲۹۰۲ ه -)، تعليق ميرزا محسن التبريزى، منشورات مكتبه المرعشى النجفى قم - إيران، ط ۱، ۱۴۰۴ ه -.

۲۵. أبو حامد بن مُحَمَّد الغزالى (ت ۵۰۵ ه -)، المنخول فى علم الاصول، تحقيق مُحَمَّد حسين هيتو، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ط ۳، ۱۴۱۹ ه - ۱۹۹۸ م.

۲۶. أبو حنيفه النعمان (ت ۳۶۲ ه -) المناقب والمثالب، تحقيق ماجد أحمد العطيه، منشورات الأعلمى، بيروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۲۳ ه -- ۲۰۰۲ م.

۲۷. أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى (ت ۶۷۶ ه -) شرح صحيح مسلم دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۲۱ ه -- ۲۰۰۰ م.

۲۸. ابو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت ۶۰۷ ه -)، الجامع لأحكام القرآن، دار أحياء التراث العربى، بيروت - لبنان، تصحيح هاشم سمير النجارى، ط ۱، ۱۴۲۲ ه -- ۲۰۰۲ م.

۲۹. أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى (ت ۶۲۶ ه -) معجم البلدان، دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان.

۳۰. أبو عبيد البكرى، فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال، مؤسسه الرساله، بيروت - لبنان، ۱۹۷۱.

۳۱. أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى (ت ۵۱۴)، تفسير البغوى أو معالم التنزيل، دار الكتب العلميه ۱۴۱۴ ه - - ۱۹۹۳ م.

۳۲. أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد الأزهرى (ت ۳۷۰ ه -)، تهذيب اللغه، تحقيق، عبد السلام هارون.

۳۳. ابو هلال العسكرى (ت ۲۰۰ ه -) الفروق اللغويه، تعليق مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان ط ۲، ۲۰۰۵ م - ۱۴۲۶ ه -.

۳۴. الاحقاقى ميرزا عبد الرسول الحائرى بحث حول الولايه من وحى القرآن، تحقيق على العبسى العاملى، بيروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۱۳ ه -- ۱۹۹۳ م.

۳۵. أحمد بن سليمان بن مُحَمَّد المطهر بن على بن الإمام الناصر، حقائق المعرفه فى علم الكلام مؤسسه الإمام زيد بن على ط ۱، ۱۴۲۴ ه -- ۲۰۰۳ م، صنعاء - اليمن.

۳۶. أحمد بن على القلقشدى (ت ۸۲۱ ه -)، صبح الأعشى فى صناعه الإنشاء، تحقيق د. يوسف على، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ۱، ۱۹۸۷ م.

۳۷. أحمد زينى دحلان (ت ۱۳۰۴ ه -) السيره النبويه (سيره ابن دحلان) دار أحياء التراث العربى، بيروت - لبنان.

۳۸. أحمد صبحی، فی علم الکلام، دراسه فلسفیه لآراء الفرق الإسلامیه مؤسسه الثقافه الجامعیه الاسکندریه ۱۹۸۷ م.

۳۹. إسماعیل بن أحمد النیسابوری (ت ۴۲۱ ه -) وجوه القرآن تحقیق د. نجف عوش، مطبعه الاستانه الرضویه، مشهد - ۱۴۲۲ ه -.

۴۰. إسماعیل حقی البروسوی (ت ۱۱۳۷ ه -) روح البیان، دار أحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان، ط ۷، ۱۴۰۵ ه -- ۱۹۸۵ م.

۴۱. الإمام أحمد بن حنبل (ت ۳۴۱ ه -) مسند أحمد، دار صادر، بیروت - لبنان (ب. ت. ط).

۴۲. الإمام محی الدین ابن فیض السید مُحَمَّد مرتضی، تاج العروس، تحقیق علی شیری، دار الفکر بیروت، ۱۹۹۴ م - ۱۴۱۴ ه -.

۴۳. الأمیر أبی الحسین درّام بن ابی فراس المالکی الأشتری (۶۰۵ ه -)، دار التعارف بیروت - لبنان.

۴۴. انعام نوال، المجمع المفصل فی علوم البلاغه، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان ط ۲، ۱۴۱۷ ه -- ۱۹۹۶.

۴۵. البحرانی هاشم الحسینی (ت ۱۱۰۷ ه -)، البرهان فی تفسیر القرآن، تحقیق قسم الدراسات الإسلامیه، ط ۱، ۱۴۲۱ ه -- ۲۰۰۰ م.

۴۶. البخاری، أبی عبد الله إسماعیل (ت ۲۵۶ ه -) صحیح البخاری دار أحیاء التراث العربی بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۲۲ ه -- ۲۰۰۱ م.

۴۷. بطرس البستانی، رساله التوابع والزوابع، بیروت - لبنان ۱۹۶۰ ه -.

۴۸. البغدادی، عبد القاهر بن طاهر، أصول الدین مدرسه الإلهیات دار الفنون الترکیه، استنبول ط ۱، ۱۹۸۲ م.

۴۹. البیضاوی، ناصر الدین ابی سعید بن عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشیرازی البیضاوی (ت ۶۸۲ ه -) تفسیر البیضاوی، الأعلمی، بیروت - لبنان ط ۱، ۱۴۱۰ ه -- ۱۹۹۰ م.

۵۰. البیهقی الحافظ ابی بکر بن أحمد بن الحسن بن علی (ت ۴۵۸ ه -) السنن الکبری، تحقیق مکتب البحوث والدراسات، دار الفکر، بیروت - لبنان (د. ت).

۵۱. الترمذی أبو عیسی مُحَمَّد بن عیسی بن سور (ت ۲۷۹ ه -)، الجامع الصحیح نشر دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۰۸ ه -- ۱۹۷۹ م.

۵۲. جعفر السبحانی، مفاهیم القرآن، مؤسسه الشهید العلمیه، قم - إیران ۱۴۰۷ ه -. ق.

۵۳. جلال الدین السیوطی الشافعی (ت ۹۱۱ ه -)، الاتقان فی علوم القرآن، دار الفکر، بیروت - لبنان ۱۴۲۶-۲۰۰۵.

۵۴. جلال الدین بن عبد الرحمن السیوطی (ت ۹۱۱ ه -) الجامع الصغیر، دار الفکر بیروت - ط ۱، ۱۹۸۱ م.

۵۵. الجوهری إسماعیل بن حماد الجوهری، (ت ۳۹۸ ه -) الصحاح - تاج اللغه وصحاح العربیه، تحقیق أحمد عبد الغفور عطار.

۵۶. حجازی خسرو شاهی، درر الأخبار، انتشارات التاریخ والمعارف الإسلامیه، قم ط ۱، ۱۴۱۹ ه -.

۵۷. حسن الصدر، التفسیر النافع، دار الکتب العلمیه، العراق - بغداد ط ۱، (د. ت).

۵۸. الخلیل بن أحمد الفراهیدی، کتاب العین، دار أحیاء التراث العربی، بیروت.

۵۹. خلیل قدسی مهر، الفروق المهمه فی الأصول الفقهیه، نشر دار التفسیر، إیران - قم ط ۲، ۱۴۱۹ ه -. ق - ۱۳۷۷ ش.

۶۰. خلیل یاسین، أضواء علی متشابهات القرآن، انتشارات ذوی القربی، إیران - قم، ط ۱، ۱۴۲۸ ه -.

۶۱. الخیاط المعتزلی، أبو الحسن عبد الرحیم، الانتصار، تحقیق د. نیبرج، دار الکتب المصریه، القاهره، ط ۱۹۲۵ م.

۶۲. الدکتور ستار جبر الأعرجی، منهج المتکلمین فی فهم النص القرآنی، رساله دکتوراه، جامعه الکوفه ۲۰۰۰ م.

۶۳. الدکتور مُحَمَّد حسین الصغیر، المستشرقون والدراسات القرآنیه، بیروت - لبنان (د. ت).

۶۴. دیوان لبید بن ربیعه، تحقیق د. احسان عباس، دار صادر، بیروت - لبنان.

۶۵. الذهبی، شمس الدین (ت ۴۷۸ ه -) سیر أعلام النبلاء، انتشارات مؤسسه الرساله، بیروت - لبنان.

۶۶. الرازی، فخر الدین مُحَمَّد بن عمر بن الحسین بن الحسن بن علی التمیمی البکری الرازی الشافعی (ت ۶۰۶ ه -)، مفاتیح الغیب، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان ط ۲، ۱۴۲۵ ه -- ۲۰۰۴ م.

۶۷. الرازی، مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسین التمیمی البکری فخر الدین الرازی (ت ۶۰۶ ه -)، عصمه الأنبیاء، منشورات کتبی النجفی، قم المقدسه (د. ت).

۶۸. الراغب الاصفهانی (ت ۴۲۵ ه -)، مفردات ألفاظ القرآن تحقیق صفوان داودی، دار القلم، دمشق (د. ت).

۶۹. الزمخشری (ت ۵۳۸ ه -)، الکشاف، دار أحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان، ط ۲، ۱۴۲۱ ه - ۲۰۰۱ م.

۷۰. الزهری، مُحَمَّد بن سعد بن منیع (ت ۲۳۰ ه -) الطبقات الکبری، تحقیق، ریاض عبد الله عبد الهادی دار أحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان ط ۱، ۱۴۱۷ ه -- ۱۹۹۶ م.

۷۱. السبزواری الخطیّ (ت ۱۴۱۰ ه -) التفسیر الجدید، دار التعارف للمطبوعات بیروت - لبنان، ط ۱.

۷۲. السلطان مُحَمَّد الجنابذی الملقب بسلطان علی شاه (ت ۱۳۲۷ ه -) بیان السعاده فی مقامات العباده، انتشارات مطبعه جامعه طهران، ط ۱۳۴۴/۲ ش - ۱۳۸۵ ق.

۷۳. سلیم بن قیس الهلالی کتاب سلیم بن قیس، تحقیق مُحَمَّد باقر الأنصاری، مطبعه نکارش، ط ۲، قم ۱۴۲۴ ه -.

۷۴. سلیمان بن إبراهیم القندوزی الحنفی (ت ۱۲۹۴) ینابیع الموده، انتشارات الشریف الرضی قم.

۷۵. السید عبد الله شبر (ت ۱۲۴۲ ه -) تفسیر القرآن الکریم، دار أحیاء التراث العربی، ط ۱، ۱۴۲۸ ه -- ۲۰۰۷ م.

۷۶. السید عبد الله شبر، الجوهر الثمین، مکتبه الألفین، ط ۱، الکویت.

۷۷. سید قطب فی ظلال القرآن دار أحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان ط ۷، ۱۳۹۰ ه -- ۱۹۷۱ م.

۷۸. السید هاشم الحسینی البحرانی (ت ۱۱۰۷ ه -) البرهان فی تفسیر القرآن، تحقیق قسم الدراسات الإسلامیه، ط ۱، ۱۴۲۱ ه -- ۲۰۰۰ م.

۷۹. شرح أصول الکافی والروضه تعلیق علی أکبر الغفاری، منشورات المکتبه الإسلامیه، طهران - إیران ۱۳۸۴ ه -.

۸۰. الشریف الرضی، علی بن الحسین الموسوی العلوی (ت ۴۳۶ ه -)، تنزیه الأنبیاء، انتشارات الشریف الرضی، إیران، قم ط ۱، ۱۳۷۶ ه -. ش.

۸۱. الشریف المرتضی علم الهدی (ت ۴۳۶ ه -)، الذخیره فی علم الکلام مؤسسه النشر الإسلامیه ۱۴۱۱ ه -- ۱۹۹۱ م

۸۲. الشریف المرتضی، علی بن الحسین الموسوی العلوی (ت ۴۴۳۶ ه -)، أمالی المرتضی، تحقیق مُحَمَّد ابو الفضل إبراهیم، انتشارات ذوی القربی، إیران - قم، ط ۱، ۱۳۸۴ ه -. ش.

۸۳. الشریف علی بن مُحَمَّد الجرجانی (ت ۸۱۶ ه -)، شرح المواقف، مطبعه السعاده مصر ط ۱،

۱۳۲۵ ه - ۱۹۷۰ م.

۸۴. شهاب الدین أحمد المعروف بابن عبد ربّه الاندلسی، العقد الفرید، دار ومکتبه الهلال، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۹۸۶.

۸۵. الشوکانی، مُحَمَّد بن علی بن مُحَمَّد (ت ۱۲۵۰ ه -)، فتح القدیر، دار أحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان.

۸۶. الشیخ أحمد بن زید الدین الإحسائی العصمه، منشورات مکتبه العلامه الحائری، کربلاء ط ۲، ۱۳۹۰ ه -.

۸۷. الشیخ الطریحی (ت ۱۰۸۵ ه -) مجمع البحرین تحقیق أحمد الحسینی مکتب نشر الثقافه الإسلامیه ط ۲، ۱۴۰۸ ه -- ۱۳۶۷ ش.

۸۸. الشیخ عبد علی بن جمعه العروسی الحویزی (ت ۱۱۱۲ ه -) نور الثقلین، المطبعه العلمیه، قم ط ۲

۸۹. الشیخ علی النمازی الشاهرودی (ت ۱۴۰۵ ه -) مستدرک سفینه البحار، مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرسین بقم المشرفه ط ۱۴۱۹ ه -.

۹۰. الشیخ مُحَمَّد بن مُحَمَّد رضا الهندی، کنز الدقائق، مؤسسه الطباعه والنشر، طهران ط ۱.

۹۱. الشیخ مُحَمَّد رضا المظفر، عقائد الإمامیه، مؤسسه انصاریان، ط ۶، إیران - قم ۱۴۲۴ ه -- ۲۰۰۳ م.

۹۲. صبحی الصالح، نهج البلاغه، انتشارات أنوار الهدی، إیران - قم، ط ۲، ۱۴۲۴ ه -.

۹۳. صدر المتألهین مُحَمَّد بن إبراهیم الشیرازی (ت ۱۰۵۰ ه -) تفسیر القرآن الکریم، دار التعارف، بیروت - لبنان، ط ۲، ۱۴۱۹ ه -- ۱۹۸۸ م.

۹۴. الصدوق، أبی جعفر مُحَمَّد بن علی بن الحسن بن بابویه القمی (ت ۳۸۱ ه -) معانی الأخبار، تحقیق علی أکبر غفاری، انتشارات إسلامی، ط ۱۳۶۱ ش.

۹۵. الصدوق، أبی جعفر مُحَمَّد بن علی بن الحسن بن بابویه القمی (ت ۳۸۱ ه -) الأمالی، نشر مؤسسه الأعلمی، بیروت - لبنان، ط ۵، ۱۴۰۰ ه -.

۹۶. الصدوق مُحَمَّد بن علی بن بابویه (ت ۳۸۱ ه -) الاعتقادات فی دین الامامیه تحقیق، عصام مُحَمَّد حسین، دار المفید للطباعه والنشر، بیروت - لبنان، ط ۲، ۱۴۱۴ ه -- ۱۹۹۳ م.

۹۷. الصدوق، أبی جعفر الصدوق مُحَمَّد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی، (ت ۳۸۱ ه -) عیون

اخبار الرضا علیه السلام، منشورات الشریف الرضی، قم ط ۱، ۱۳۷۸ ش، ق.

۹۸. الصدوق، أبی جعفر مُحَمَّد بن علی بن بابویه القمی (ت ۳۸۱ ه -)، من لا یحضره الفقیه، انتشارات الإمام المهدی، إیران - قم.

۹۹. الطباطبائی، مُحَمَّد حسین، المیزان فی تفسیر القرآن، الأعلمی للمطبوعات، بیروت - لبنان، ط ۲، ۱۳۹۰ ه -- ۱۹۷۱ م.

۱۰۰. الطبرسی أبو علی الفضل بن الحسن الطبرسی (ت ۵۴۸ ه -) مجمع البیان، تحقیق هاشم رسول المحلاتی، دار أحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۹۹۲ م.

۱۰۱. الطبرسی أبی علی الفضل بن الحسن (ت ۴۹ ه -)، جوامع الجامع، تحقیق مؤسسه دار النشر الإسلامی، قم ط ۳، ۱۴۲۰ ه -.

۱۰۲. الطبری، ابن جریر (ت ۳۱۰ ه -) جامع البیان عن تأویل القرآن (د. ت)، تحقیق خلیل المیسر، دار الفکر، بیروت - لبنان ۱۴۱۵ ه -- ۱۹۹۵ م.

۱۰۳. الطبری أبی جعفر مُحَمَّد بن منصور (ت ۳۱۰ ه -) تاریخ الأمم والملوک، الأعلمی، بیروت - لبنان (د. ت).

۱۰۴. الطوسی أبو جعفر مُحَمَّد بن الحسن (ت ۴۶۰ ه -) الاستبصار، دار الکتب الإسلامیه ط ۱۳۹۰ ه -.

۱۰۵. الطوسی أبو جعفر مُحَمَّد بن الحسن، التهذیب، دار الکتب الإسلامیه، طهران، ط ۱۳۶۴ ش.

۱۰۶. الطوسی، أبو جعفر مُحَمَّد الحسن (ت ۴۶۰ ه -) التبیان، تحقیق أحمد حسن قصر العاملی، مکتب الأعلام الإسلامی قم ط ۱، ۱۴۰۹ ه -.

۱۰۷. عبد الأعلی السبزواری، مواهب الرحمن، منشورات أهل البیت علیهم السلام، بیروت - لبنان، ط ۲، ۱۴۰۹ ه -- ۱۹۸۸ م.

۱۰۸. عبد الحسین شرف الدین الموسوی، أجوبه مسائل جار الله، منشورات دار النعمان ط ۳، النجف الأشرف.

۱۰۹. عبد الرحمن بن عیسی الهمذانی، الألفاظ الکتابیه، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان ۱۴۰۰ ه -- ۱۸۹۰ م.

۱۱۰. عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مخلوف أبی زید الثعالبی المالکی (ت ۸۷۵ ه -) تفسیر الثعالبی تحقیق الشیخ علی مُحَمَّد معوض، دار أحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۱۸ ه -- ۱۹۹۷ م.

۱۱۱. عبد الرزاق بن همام الصنعانی (ت ۲۱۱ ه -) تفسیر القرآن الکریم، تحقیق، محمود مُحَمَّد عبده دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان ط ۱، ۱۴۱۹ ه -- ۱۹۹۹ م.

۱۱۲. عبد القاهر الجرجانی دلائل الأعجاز، دار المعرفه، بیروت - لبنان، قم إیران ۱۴۰۴ ه -- ۱۹۷۸ م.

۱۱۳. عبد الله بن قدامه (ت ۶۲۰ ه -)، المغنی، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان.

۱۱۴. عبد الواحد التمیمی، غرر الحکم ودرر الکلم، مؤسسه الأعلمی، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۰۷ ه -- ۱۹۹۷ م.

۱۱۵. عضد الدین عبد الرحمن بن أحمد الایجی (ت ۶۵۶ ه -) المواقف، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان.

۱۱۶. علاء الدین البغدادی الخازن (ت ۷۲۵ ه -) تفسیر الخازن (لباب التأویل) دار الفکر، بیروت - لبنان (د. ت).

۱۱۷. العلامه الحلی ابی منصور الحسن بن یوسف المطهر (ت ۷۲۶ ه -)، مناهج الیقین، تحقیق یوسف الجعفری، انتشارات دار الأسوه ط ۱، ۱۴۱۵ ه -.

۱۱۸. العلامه الحلی جمال الدین الحسن بن یوسف بن علی المطهّر العلامه الحلی (ت ۷۲۶ ه -) کشف المراد فی شرح تجرید الاعتقاد، تعلیق إبراهیم الموسوی الزنجانی منشورات مؤسسه الأعلمی، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۳۹۹ ه -- ۱۹۷۲ م.

۱۱۹. العلامه الشیخ أحمد بن مُحَمَّد الصاوی المصری المالکی، حاشیه الصاوی تحقیق مُحَمَّد عبدالسلام، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان ط ۴، ۱۴۲۷ ه -- ۲۰۰۶ م.

۱۲۰. العلامه الشیخ زین الدین أبی مُحَمَّد علی بن یونس العاملی النباطی (ت ۸۷۷ ه -)، الصراط المستقیم، تحقیق مُحَمَّد الباقر العبودی، المکتبه المرکزیه لأحیاء الآثار الجعفریه ط ۱، ۱۳۸۴ ه -. ش.

۱۲۱. العلامه عز الدین أبی الحسن علی بن أبی الکرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الکریم بن عبد الواحد الشیبانی المعروف بابن الأثیر (ت ۶۳۰ ه -)، أسد الغابه فی معرفه الصحابه دار الکتاب العربی، بیروت - لبنان (د. ت).

۱۲۲. العلامه، مُحَمَّد باقر المجلسی، (ت ۱۱۱۱ ه -) بحار الأنوار، دار الکتب الإسلامیه، بیروت - لبنان.

۱۲۳. علی بن أحمد بن سعید بن حزم الأندلسی، المحلّی، دار الآفاق الجدیده، تحقیق لجنه إحیاء

التراث العربی.

۱۲۴. علی بن برهان الدین الحلبی (ت ۱۰۴۴ ه -) السیره الحلبیه، دار أحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان ط ۱.

۱۲۵. عماد الدین أبی الفداء إسماعیل بن کثیر الدمشقی (ت ۷۷۴ ه -)، مختصر تفسیر ابن کثیر تحقیق مُحَمَّد علی الصابونی، دار أحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان ط ۱.

۱۲۶. العیاشی أبو النظر مُحَمَّد بن مسعود ابن عباس السلمی السمر قندی المعروف بالعیاشی (ت ۹۳۲) تفسیر العیاشی، الأعلمی، بیروت - لبنان ط ۱، ۱۴۱۱ ه - ۱۹۹۱ م.

۱۲۷. عیدوس بن أحمد السقاف العلوی الاندلسی المعروف ب - (ابن درویش)، شواهد التنزیل، المجمع العالمی لأهل البیت علیهم السلام، قم، ط ۱، ۱۴۱۶ ه -- ۱۹۹۶ م.

۱۲۸. الفاضل المقداد، شرح الباب الحادی عشر، تحقیق محسن الصدر الرضوانی مطبعه سلمان الفارسی ط ۱، ۱۴۱۲ ه -- ۱۳۷۰.

۱۲۹. الفراء (ت ۲۰۴ ه -) معانی القرآن، تحقیق أحمد یوسف بخاتی، دار الکتب القاهره ۱۹۹۵.

۱۳۰. الفیروز آبادی: تنویر المقباس من تفسیر ابن عباس، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان ۱۴۲۵ ه -- ۲۰۰۴ م.

۱۳۱. القاضی أبی السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفی العمادی الخیفی (ت ۹۸۲ ه -) تفسیر أبی السعود أو أرشاد العقل السلیم إلی مزایا الکتاب الکریم، دار الکتب العلمیه بیروت - لبنان ط ۱۲، ۱۴۱۹ ه -- ۱۹۹۹ م.

۱۳۲. القاضی عبد الجبار بن أحمد الهمذانی (ت ۴۱۵ ه -)، شرح الأصول الخمسه تحقیق د. عبد الکریم عثمان، مکتبه وهبه، القاهره ط ۱، ۱۹۶۵ م (د. ت).

۱۳۳. القاضی عبد الجبار بن أحمد الهمذانی (ت ۴۱۵) متشابه القرآن، تحقیق عدنان مُحَمَّد زرزور، دار التراث، القاهره.

۱۳۴. القاضی عبد الجبار بن أحمد الهمذانی، المغنی تحقیق د. محمود مُحَمَّد قاسم.

۱۳۵. القرطبی أبی عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الأنصاری (ت ۶۰۷ ه -) الجامع لأحکام القرآن تحقیق هاشم سمیر النجار، دار أحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان ط ۱، ۱۴۲۲ ه -- ۲۰۰۲ م.

۱۳۶. قطب الدین النیسابوری التعلیق فی علم الکلام تحقیق د. محمود یزدی مطلق، قسم الدراسات الفلسفیه والکلامیه للجامعه الرضویه للعلوم الإسلامیه، إیران - مشهد، ط ۱، ۱۴۲۷ ق -

۱۳۸۵۰ ش.

۱۳۷. القمی، علی ابن ابراهیم ابن هاشم (ت ۳۰۷ ه -)، تفسیر القمی، مؤسسه دار الکتاب للطباعه والنشر، قم ۳.

۱۳۸. الکلینی، ثقه الإسلام أبی جعفر مُحَمَّد بن یعقوب بن إسحاق (ت ۳۲۹ ه -) الکافی، تحقیق علی أکبر غفاری، دار الکتب الإسلامیه، طهران ط ۳، ۱۳۸۸ ش.

۱۳۹. مُحَمَّد باقر الصدر، تنوع أدوار ووحده هدف.

۱۴۰. مُحَمَّد باقر المجلسی، مرآه العقول، دار الکتب الإسلامیه، إیران ط ۲، ۱۴۰۴ ه -.

۱۴۱. مُحَمَّد بن أبی بکر بن عبد القادر الرازی (ت ۷۲۱ ه -) مختار الصحاح، دار أحیاء التراث العربی، تدقیق مُحَمَّد علاق ط ۱، ۱۴۱۹، ۱۹۹۹ م.

۱۴۲. مُحَمَّد بن الحسن الشیبانی، نهج البیان عن کشف معانی القرآن، مؤسسه دار المعارف الإسلامیه، طهران، ط ۱، ۱۴۱۳ ه -.

۱۴۳. مُحَمَّد بن الحسن الطوسی (ت ۴۶۰ ه -) الاقتصاد فیما یتعلق بالاعتقاد، دار الاضواء، بیروت - لبنان، ط ۲، ۱۴۰۶ ه -- ۱۹۸۶ م.

۱۴۴. مُحَمَّد بن جزی الغرناطی (ت ۷۴۱ ه -) التسهیل، تحقیق د. عبد الله الخالدی، دار الأرقم، بیروت - لبنان (د. ت).

۱۴۵. مُحَمَّد بن عمر الجاوی تفسیر مراح لبید لکشف حصن القرآن المجید، تحقیق مُحَمَّد أمین العتاوی، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۱۷ ه -- ۱۹۹۷ م.

۱۴۶. مُحَمَّد بن عمر الواقدی (ت ۲۱۲ ه -) المغازی، دار المعرفه الإسلامیه ط ۱۴۰۵ ه -.

۱۴۷. مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن النعمان العکبری البغدادی (ت ۴۱۳ ه -)، أوائل المقالات.

۱۴۸. مُحَمَّد جمال الدین القاسمی (ت ۱۳۲۲ ه -) محاسن التأویل، تحقیق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقی، دار أحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان، ط ۱، ۱۴۱۵ ه -- ۱۹۹۴ م.

۱۴۹. مُحَمَّد جواد مغنیه، التفسیر الکاشف، دار الکتاب الإسلامی، ط ۱، ۱۴۲۴ ه -- ۲۰۰۳ م.

۱۵۰. مُحَمَّد رشید رضا، تفسیر المنار، دار الفکر، بیروت - لبنان، ط ۲، (د. ت).

۱۵۱. مُحَمَّد علی الصابونی صفوه التفاسیر، دار الفکر، بیروت - لبنان، ط ۳، ۱۴۲۰ ه - ۲۰۰۰ م.

۱۵۲. محی الدین مُحَمَّد بن عمر الخطیب الرازی (ت ۶۶۰ ه -)، معالم أصول الدین، تحقیق طه عبد الرزاق، دار الکتب العربیه،

بيروت - لبنان ط ۱۴۰۴ ه -- ۱۹۸۴ م.

ص:۲۶۱

۱۵۳. المراغی أحمد مصطفی المراغی، تفسیر المراغی، دار أحیاء التراث العربی، بیروت - لبنان (ب. د).

۱۵۴. مصنفات الشیخ المفید، النکت الاعتقادیه، ط المؤتمر العالمی (د. ت).

۱۵۵. معانی الأخبار، تحقیق علی أکبر غفاری، انتشارات إسلامی ۱۳۶۱ ه -.

۱۵۶. مفلح بن الحسن بن راشد ابن صلاح البحرانی، من أعلام القرن التاسع، إلزام النواصب تحقیق، عبد الرضا النجفی ط ۱۴۲۰ ۱ ه -.

۱۵۷. المقریزی (ت ۴۸۵ ه -) امتاع الاسماع، تحقیق مُحَمَّد عبد الحمید المیس، دار الکتب العلمیه بیروت - لبنان ط ۱، ۱۴۲۰ ه -- ۱۹۹۹ م.

۱۵۸. مکی برهان الدین الحلبی الشافعی (ت ۱۰۴۴ ه -) السیره الحلبیه، دار احیاء التراث العربی، بیروت - لبنان (د. ت).

۱۵۹. مناهج الیقین، تحقیق یوسف الجعفری، انتشارات دار الاسوه ط ۱، ۱۴۱۵ ه -.

۱۶۰. المولی فتح الله بن شکر الشریف الکاشانی (ت ۹۹۸ ه -)، زبده التفاسیر نشر مدرسه المعارف الإسلامیه ط ۱، ۱۴۳۳ ه -.

۱۶۱. المولی محسن الفیض الکاشانی (ت ۱۰۹۱ ه -) تفسیر الصافی، دار المرتضی للنشر، مشهد ط ۱.

۱۶۲. المولی نور الدین مُحَمَّد بن المرتضی الکاشانی (ت ۱۱۱۵ ه -) المعین انتشارات مکتبه آیه الله المرعشی النجفی، ط ۱، قم.

۱۶۳. میر سید علی الحائری الطهرانی، (ت ۱۳۴۰ ه -) مقتنیات الدرر دار الکتب الإسلامیه، طهران ۱۳۳۷ ش. ه -

۱۶۴. المیرزا حسین النوری الطبرسی، ۲۶۵:۱۷، المتوفی سنه ۱۳۲۰ ه تحقیق مؤسسه آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث، ط ۲، ۱۴۰۹ ه - ۱۹۸۸ م.

۱۶۵. المیرزا مُحَمَّد المشهدی بن مُحَمَّد رمضان بن إسماعیل بن جمال الدین القمی (ت ۱۱۲۵ ه -) کنز الدقائق، مؤسسه الطباعه والنشر، إیران - قم، ط ۱، ۱۳۶۶ ه -. ش.

۱۶۶. ناصر مکارم الشیرازی، الأمثل فی تفسیر القرآن الکریم، دار الأمیر للطباعه والنشر، بیروت - لبنان ط ۱، ۱۴۲۶ ه -- ۲۰۰۵ م.

۱۶۷. النسائی أبو عبد الرحمن أحمد بن شعیب النسائی (ت ۳۰۲ ه -)، سنن النسائی، دار أحیاء

التراث العربی، بیروت - لبنان.

۱۶۸. نصر الدین مُحَمَّد بن أحمد أبو اللیث السمر قندی، من أعلام القرن الرابع الهجری، بحر الغرائب، تح. د. محمود مطربی ط ۱، ۱۴۱۸ ه -- ۱۹۹۷ م.

۱۶۹. نصر بن مزاحم المنقری (ت ۲۱۲ ه -)، وقعت صفین، تحقیق عبد السلام مُحَمَّد هارون، المؤسسه العربیه الحدیثه للطباعه والتوزیع، مصر - القاهره، ط ۲، ۱۳۸۲ ه -.

۱۷۰. نظام الدین الحسن بن الحسین القمی النیسابوری (ت ۷۲۸ ه -) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الکتب العلمیه بیروت - لبنان، ط ۱۴۱۶ ه -- ۱۹۹۶ م.

۱۷۱. نور الله الحسینی المرعشی التُستری (ت ۱۰۱۹ ه -) تحقیق شهاب الدین النجفی المرعشی منشورات مکتبه آیه الله المرعشی النجفی، إیران - قم (ب ت ط).

۱۷۲. النیسابوری، مُحَمَّد بن عبد الله الحاکم (۴۰۵ ه -) مستدرک الحاکم - دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان.

۱۷۳. هاشمیات الکمیت، تحقیق داود سلوم.

۱۷۴. الهیثمی (ت ۸۰۷ ه -) مجمع الزوائد، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان، (د. ت).

المحتويات

الإهداء ۶

المقدمه ۷

الفصل الاول

دلالات العتاب فی اللغه والاستعمال القرآنی والتراث الإسلامی

تمهید ۱۳

المبحث الأول: العتاب ومرادفاته فی لغه العرب ۱۵

أولاً: العتاب والتأصیل اللغوی ۱۵

ثانیاً: المفردات اللغویه ل - (العتاب) ۱۹

ثالثاً: الصیغ المجازیه للعتاب ۲۲

المبحث الثانی: دلالات العتاب فی ضوء المنهج القرآنی ۲۳

توطئه ۲۳

الدلاله الأولی: الاستعمال القرآنی لمفرده العتاب ۲۳

(۱) بیان ما یتعلق بمفرده العتاب ۲۴

(۲) ما یتعلق بمفرده اللوم ۲۴

(۳) ما یتعلق بمفرده التثریب ۲۴

(١) استفهام العتاب ٢٦

(٢) استفهام التبكيت ٢٦

(٣) استفهام التوبيخ ٢٧

معانى مفرده العتاب فى الاستعمال القرآنى ٢٨

الاستعمال القرآنى لمفرده اللوم ٣٠

الاستعمال القرآنى لمفرده التثريب ٣٤

الدلاله الثانيه: تنوع الخطاب القرآنى للعتاب ٣٥

الأول: العتاب الخفيف ٣٦

الثانى: العتاب الشديد ٣٧

المبحث الثالث: صيغ العتاب ومرادفاته فى القصص القرآنى والحديث الشريف ٤٠

الأول: العتاب فى القصص القرآنى ٤٠

(أ) عتاب إبراهيم عليه السلام ٤٠

(ب) عتاب موسى عليه السلام ٤٢

(ج) عتاب نبى الله لوط عليه السلام لقومه ٤٣

ثانياً: ما ورد عن النَّبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ٤٤

ثالثاً: العتاب فى حديث أهل البيت عليهم السلام (نهج البلاغه انموذجاً) ٤٨

الفصل الثانى

نماذج من آيات العتاب فى القرآن الكريم

المبحث الأول: نماذج من عتاب الأنبياء والرُّسل عليهم السلام ٥٥

نماذج من عتاب الرسل أولى العزم عليهم السلام ٥٥

توطئه ۵۵

عتاب الله تعالی لنبیه نوح علیه السلام ۵۷

عتاب الله لنبیه موسی علیه السلام ۵۸

ص:۲۶۵

نماذج من آيات (عتاب الله لنبيّه الأكرم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم) ٦٢

نماذج من عتاب الأنبياء عليهم السلام غير أولى العزم ٧٦

توطئه ٧٦

عتاب النبىّ آدم عليه السلام ٧٦

عتابُ النبىّ يونس عليه السلام ٧٩

عتابُ النبىّ داود عليه السلام ٨٢

المبحث الثانى: نماذج من آيات عتاب الله لسائر الناس ٨٥

عتاب زوجات النَّبى صلى الله عليه وآله وسلم ٨٥

نماذج من آيات عتاب المسلمين ٩٠

الآيه الأولى ٩٠

الآيه الثانيه ٩٢

الآيه الثالثه ٩٣

الآيه الرابعه ٩٤

الآيه الخامسه ٩٦

الآيه السادسه ٩٨

نماذج من آيات عتاب اليهود والنصارى ٩٩

توطئه ٩٩

الآيه الأولى ٩٩

الآيه الثانيه ١٠٢

الآيه الثالثه ١٠٤

نماذج من آيات عتاب المشركين ١٠٦

توطئه ١٠٦

الآيه الأولى ١٠٦

الآيه الثانيه ١٠٨

الآيه الثالثه ١٠٩

الآيه الرابعه ١١٠

ص:٢٦٦

الآيه الخامسه ١١١

المبحث الثالث: نماذج من آيات عتاب الله لغير البشر من مخلوقاته ١١٣

المطلب الأول: نماذج من آيات عتاب الملائكه ١١٣

المطلب الثانى: نماذج من آيات عتاب الجن ١١٨

الآيه الأولى ١١٨

الآيه الثانيه ١٢٠

الآيه الثالثه ١٢١

الفصل الثالث

عصمه الأنبياء عليهم السلام وإمكانيه العتاب مع استلزامه المخالفه

توطئه ١٢٥

العصمه فى اللغه والاصطلاح ١٢٦

العصمه لغه ١٢٦

العصمه اصطلاحاً ١٢٦

(أولاً) الإماميه ١٢٧

(ثانياً) المعتزله ١٢٩

(ثالثاً) الأشاعره ١٣٠

المطلب الأول: الأدله النقليه على القول بالعصمه المطلقه ١٣٢

أولاً: الأدله القرآنيه ١٣٢

الآيه الأولى ١٣٢

الآيه الثانيه ١٣٤

الآیه الثالثه ۱۳۸

الآیه الرابعه ۱۴۲

الآیه الخامسه ۱۴۵

ص:۲۶۷

الآيه السادسه ١٤٧

الآيه السابعه ١٤٨

ثانياً: أدله العصمه من السنّه المطهره ١٤٩

الدليل الأول ١٥٠

الدليل الثانى ١٥٠

الدليل الثالث ١٥١

الدليل الرابع ١٥٤

الدليل الخامس ١٥٥

الدليل السادس ١٥٥

الدليل السابع ١٥٦

الدليل الثامن ١٥٧

المطلب الثانى: الأدله العقليه للقول بالعصمهِ المطلقه ١٥٨

الدليل الأول: دلاله المعجز ١٥٨

الدليل الثانى: امتناع إيذاء المعصوم عليه السلام ١٦١

الدليل الثالث: الاحتياج للمعصوم ١٦٣

الدليل الرابع: وجوب متابعه المعصوم عليه السلام ١٦٥

الدليل الخامس ١٦٧

المبحث الثانى: القول بالعصمه الجزئيه للأنبياء عليهم السلام وأدلتهم ١٦٨

المطلب الأول: الأدله النقليه ١٦٨

أولاً: الأدله القرآنيه ١٦٨

الطائفه الأولى: ما يمس ظاهرها عصمه الأنبياء جميعهم عليهم السلام ١٦٨

الطائفه الثانيه: ما يمس ظاهرها عصمه بعض الأنبياء عليهم السلام ١٧٤

الأول: ما يتعلق بنبى الله آدم عليه السلام ١٧٤

الثانى: ما يتعلق بنبى الله نوح عليه السلام ١٧٩

الثالث: الآيات التى تتعلّق بنبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام ١٨١

الرابع: الآيات التى تتعلّق بنبى الله موسى عليه السلام ١٨٣

الخامس: النَّبی الأکرم مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم ۱۸۵

ثانیاً: الأدله النقلیه من السنه للقول بالعصمه الجزئیه ۱۸۹

الاول: تکذیب الأنبیاء علیهم السلام ۱۸۹

الثانی: نسیان النَّبی للصلاه وصدور السب والشتم منه صلی الله علیه وآله وسلم ۱۹۱

الثالث: النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم ومزامیر الشیّطان ۱۹۲

الرابع: النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم وصلاه الصبح ۱۹۴

الخامس: صلاه النَّبی صلی الله علیه وآله وسلم جنباً ۱۹۶

السادس: الأنبیاء علیهم السلام وحب النساء ۱۹۷

السابع: موسی علیه السلام وملک الموت ۱۹۷

الثامن: موسی علیه السلام یغتسل عریاناً ۱۹۹

التاسع: یوسف علیه السلام والمراوده ۲۰۰

المطلب الثانی: الأدله العقلیه للقائلین بالعصمه الجزئیه للأنبیاء علیهم السلام ۲۰۰

المبحث الثالث: توجیه آیات العتاب علی القول بالعصمه ۲۰۶

مدخل ۲۰۷

المطلب الأول: توجیه آیات العتاب علی القول بالعصمه المطلقه ۲۰۸

الأول: ما یتعلق بنبی الله آدم علیه السلام ۲۰۸

الثانی: توجیه ما یتعلق بنبی الله نوح علیه السلام ۲۱۳

الثالث: توجیه ما یتعلق بنبی الله یونس علیه السلام ۲۱۶

الرابع: توجیه ما یتعلق بنبی الله سلیمان علیه السلام ۲۱۷

الخامس: توجیه ما یتعلق بنبینا الأکرم مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم ۲۱۸

الآيه الأولى ٢١٩

الآيه الثانيه ٢٢١

الآيه الثالثه ٢٢۴

الآيه الرابعه ٢٢٧

المطلب الثانى: توجيه آيات العتاب على القول بالعصمه الجزئيه ٢٢٩

مدخل ٢٢٩

الأول: توجيه ما يتعلق بنبى الله آدم عليه السلام ٢٣٠

الثانی: توجیه ما یتعلق بنبی الله یونس علیه السلام ۲۳۲

الثالث: توجیه ما یتعلق بنبی الله موسی علیه السلام ۲۳۴

الرابع: توجیه ما یتعلق بنبینا الأکرم مُحَمَّد صلی الله علیه وآله وسلم ۲۳۵

الآیه الأولی ۲۳۵

الآیه الثانیه ۲۴۰

الآیه الثالثه ۲۴۲

الآیه الرابعه ۲۴۶

الخاتمه ۲۴۹

المصادر والمراجع ۲۵۱

المحتویات ۲۶۴

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛
١.JAVA
٢.ANDROID
٣.EPUB
٤.CHM
٥.PDF
٦.HTML
٧.CHM
٨.GHB
إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
١.ANDROID
٢.IOS
٣.WINDOWS PHONE
٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹